الإمام القرافى

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة

تحقيق وتقديم
دكتور أحمد عبد الرحيم السايح
المستشار توفيق على وهبه

الناشر
مكتبة النافذة

الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة

تأليف: الإمام القـرافـى
الطبعة الأولى ٢٠٠٦
رقم الإيداع ١٠٦٦٤/٢٠٠٦



الناشر: مكتبة النافذة
المدير المسئول: سعيد عثمان

الجيزة ٢شارع الشهيد أحمد حمدى - الثلاثينى - فيصل
تليفون وفاكس: ٧٢٤١٨٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

[الأنعام: ١٠ – ١١]

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

[الأعراف: ١٥٧ – ١٥٨]



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

أن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعـــــد ...

فقد واجهت الدعوة الإسلامية منذ ظهورها حربا شرسه، ومقاومة شديدة، وصدا عنيفا، وقد تمثلت هذه المواجهة فى التشكيك فى الدين ونشر الشبهات والأباطيل حوله ومنع الناس بالقوة وبالترهيب والترغيب معهم من دخول الإسلام، بل واستخدام شتى وسائل التعذيب لصدهم عن دين الله، ولقد وصلت المواجهة إلى قيام الأعداء بشن الحروب المتتابعة، وتجميع القوى المعادية كلها لقتال المسلمين ومحاولة القضاء على الدين وفض الناس من حول رسول الله ﷺ.

وقد كانت الشبهات التى يثيرها المشركون حول الإسلام ورسوله ﷺ، ينزل القرآن بالرد الحاسم عليها بما يدحض أباطيلهم ويبطل شبهاتهم ويزيل شكوكهم.

ولم يبدأ الرسول ﷺ بمقاتلة الكفار والمشركين، بل هم الذين بدأوا الحرب، وحاولوا بكل ما استطاعوا تجميع أعداء الإسلام، ليكونوا جبهة قوية تتمكن من القضاء على محمد ﷺ وأتباعه.

ورغم أن الرسول ﷺ كان يدعوهم بالحسنى ويجادلهم بالحكمة ويعظهم

بلين القول وطيب الكلام، ويجابهم بالحجج القوية، إلا أنهم صموا آذنهم واستكبروا وصدوا عن سبيل الله.

واستمر الصراع بين الحق والباطل قائما، إما بالحرب الفكرية، أو الحرب العسكرية، ولم يتوقف دعاة الباطل على مر الأيام عن ترويج باطلهم والتشكيك فى عقيدة المسلمين، على الرغم من أن القرآن قد أبطل هذه الحجج، وأزال ما يثيرونه من شكوك حينما رد على أسلافهم المكذبين.

ولم يختلف موقف أهل الكتاب من الإسلام عن موقف الكفار والمشركين فوقفوا ضده وحاربوه بشتى الطرق والوسائل، بل وحسنوا للمشركين شركهم وشهدوا بأنهم أهدى من المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً** ﴾[1].

وقد بين الإسلام بطلان عقائدهم وما أدخلوا عليها من تزوير وتعديل وتزييف. لكى يوقظ عقولهم فيتفكرون فيما هم عليه من باطل إلا أنهم تمسكوا بباطلهم واشتدوا فى عنادهم وكفرهم، وظنوا أن بإمكانهم هزيمة الإسلام والقضاء عليه. ولا زالت حرب أعداء الإسلام مستعرة، وحملاتهم مستمرة حتى الآن وبشتى الوسائل، مستخدمين أحدث تكنولوجيا العصر من أنترنت وقنوات فضائية ومواقع الكترونية وغيرها لمهاجمة الإسلام وبث الشكوك والشبهات والأباطيل حوله، فشبكة المعلومات تعج بآلاف الكتب المعادية ناهيك عن الكتب المطبرعة التى لا تحصى ولا تعد، وكذا الصحف والمجلات التنصيرية، بل والحروب العسكرية، وما الحروب الصليبية والاستعمارية، والحروب الحديثة الموجهة ضد بلاد الإسلام عنا ببعيد.

وما درى هؤلاء الجاهلون أن الله حافظ دينه وناصر دعوته إلى يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين. يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[2].

(١) سورة النساء – آية ٥١

(٢) سورة الحجر – آية ٩

فهما حالوا، ومهما شككوا فلن يصلوا إلا إلى سراب، فقد نزلت كلمة الفصل من ربنا سبحانه وتعالى فى قوله جل وعز ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[1]. وقال جلا وعلا: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾[2].

إن هؤلاء الجاهلين يرمون الناس بالطوب وبيوتهم من زجاج، فقد لحقت كتبهم التغيير والتعديل والتبديل والتحريف باعترافهم أنفسهم. فقد جاء فى مقدمة الكتاب المقدس تحت عنوان تشويه النصوص:

(لا شك أن هناك عددا من النصوص المشوهة التي تفصل النص المسِّورى الأول عن النص الأصلى. فمن المحتمل أن تقفز عين الناسخ من كلمة إلى كلمة تشبهها وترد بعد بضعة أسطر، مهملة كل ما يفصل بينها. ومن المحتمل أيضا أن تكون هناك أحرف كتبت كتابة رديئة فلا يحسن الناسخ قراءتها فيخلط بينها وبين غيرها، وقد يدخل الناسخ فى النص الذى ينقله لكن فى مكان خاطئ، تعليقا هامشيا يحتوى على قراءة مختلفة أو على شرح ما.

والجدير بالذكر أن بعض النساخ الأتقياء أقدموا بإدخال تصحيحات لاهوتية على تحسين بعض التعابير التى كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدى خطير. وأخيرا من الممكن أن نكتشف ونصحح بعض النصوص المشوهة باللجوء إلى صيغ النصوص غير المسِّورية فى حال كونها أمنت من التشوية) [3].

وتحت عنوان نقد النصوص قالت المقدمة:

أية صيغة من النصّ نختار؟ أو، بعبارة أخرى، كيف الوصول إلى نصّ عبرى

---

(١) سورة غافر – آية ٥١ (٢) الصف – آية ٩

(٣) راجع مقدمة الكتاب المقدس (العهد القديم) طبع دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠ ص٥٣.

يكون أقرب نصّ ممكن إلى الأصل؟ لم يتردّد بعض النُقّاد فى « تصحيح » النص المسّورى، كلّما لم يعجبهم، لاعتبار أدبى أو لاعتبار لاهوتى. وتقيّد البعض الآخر، كردّ فعل، بالنص المسّورى، إلاّ إذا كان تشويهه واضحًا، فحاولوا عندئذٍ أن يجدوا، بالرجوع إلى التراجم القديمة، قراءة فضلى. هذه الطرق غير علمية، ولا سيّما الأولى منها، فهى ذاتية إلى حد الخطر.

أما اليوم، فهناك اطّلاع أفضل على التفسير « الترجومى » وعلى آداب الشرق الأدنى القديمة، يساعدنا على شرح بعض الفقرات التى بقيت غامضة إلى أيّامنا. لكنّ الحلّ العلمى الحقيقى يفرض علينا أن نعامل الكتاب المقدّس كما نعامل جميع مؤلّفات الحضارة القديمة، أى أن نضع « شجرة النسب » لجميع ما نملكه من الشهود، بعد أن نكون قد درسنا بدقة فائقة مجمل القراءات المختلفة: النصّ المسورى ،ومختلف نصوص قمران، والتوراة السامريّة، والترجمات اليونانية السريانية، والترجمات اللاتينية القديمة، وترجمة القديس هيرونيمس، والترجمات القبطية والأرمنية إلخ.

وبهذه المقارنات كلّها نستطيع أن نستعيد النموذج الأصلى الكامن فى أساس جميع الشهود. وهذا النموذج الأصلى يرقى عادة إلى حوالى القرن الرابع قبل المسيح. ويمكننا أن نثبت، فى بعض الحالات المميّزة (بعض مقاطع من سفرَى الأخبار)، أن النموذج الأصلى الذى حصلنا عليه هو النص الأصلى نفسه. فى جميع الحالات تقريبًا، تَفصِل بين النموذج الأصلى والنص الأصلى حقبة من الزمن أكثر أو أقلّ طولاً، فلا بدّ، للانتقال من النموذج الأصلى إلى النص الأصلى، من اللجوء إلى بعض التكهنات، لكن وفقًا لمبادئ نقدية معروفة.

لسوء الحظ، لم تنشر نصوص قمران كلها إلى اليوم، وهذا العمل النقدى يقتضى من الكفاءات ومن الأبحاث ما يستغرق عشرات السنين(١).

---

(١) راجع مقدمة الكتاب المقدس (العهد القديم) طبع دار المشرق ببيروت عام ٢٠٠٠ ص٥٣ ، ٥٤ وهكذا نرى من أقوالهم ما يتعرض له الكتاب المقدس من تعديل وتبديل وتحريف.

وتحت عنوان : مدخل إلى العهد الجديد ورد ما يلى :

يظهر العهد الجديد بمظهر مجموعة مؤلفة من سبعة وعشرين سفراً مختلفة الحجم وُضعت كلّها باليونانية. ولم تجر العادة أن يُطلق على هذه المجموعة عبارة العهد الجديد إلا فى أواخر القرن الثانى. فقد نالت الكتابات التى تؤلّفه رويداً رويداً منزلة رفيعة حتى أصبح لها من الشأن فى استعمالها ما لنصوص العهد القديم التى عدّها المسيحيون زمناً طويلاً كتابهم المقدّس الأوحد وسمّوها « الشريعة والأنبياء »، وفقًا للاصطلاح اليهودى فى تلك الأيام. وإذا انتهى الأمر إلى أن يُطلق على جملة تلك الكتابات عبارة « العهد الجديد » فذلك يعود فى جوهره إلى أن اللاهوتيين المسيحيين الأولين رأوا، فى خُطى بولس (٢ قور ٣ / ١٤) وهو أن تلك النصوص تحتوى على أحكام عهد جديد تحدّد عباراته العلاقات التى قامت بين الله وشعبه فى المرحلة الأخيرة من تاريخ الخلاص.

وأدّى بالمسيحيين كلامهم على عهد جديد إلى إطلاق عبارة « العهد القديم » على المجموعة التى كانت فى الماضى تسمى « الشريعة والأنبياء » فأشاروا بذلك إلى أنهم يرون فى تلك المجموعة قبل كل شئ ما فى أحكام العهد الموسوى القديم الذى جدّده يسوع وتخطّاه.

إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمّها فى مجموعة واحدة أدّيا إلى تطوير طويل معقّد. والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التى تفصلنا عن عالم العَهد الجديد هى عقبة تعسّر علينا أن نتفهّم ذلك الأدب. فلا بدّ لنا اليوم من النظر إليه فى البيئة التى نشأ فيها وانتشر فى أول أمره. فلا غنى لكل مدخل إلى العهد الجديد، مهما كان مختصراً، عن البحث فى الأحوال التى حملت المسيحيين الأولين على إعداد مجموعة جديدة لأسفار مقدّسة. ولا غنى بعد ذلك عن البحث كيف أن تلك النصوص، وقد نُسخت ثم نُسخت مراراً ومن غير انقطاع، أمكنها أن تجتاز نحو أربعة عشر قرنًا من التاريخ الحافل بالأحداث

التى مضت بين تأليفها[1] من جهة وضبطها على وجه شبه ثابت عند اختراع الطباعة من جهة أخرى. ولا غنى له فى الوقت نفسه عن أن يشرح كيف يمكن ضبط النص بعدما طرأ عليه من اختلاف فى الروايات فى اثناء النسخ[2]. وفى المدخل آخر الأمر محاولة لوصف، على أحسن وجه ممكن، للبيئة التاريخية والدينية والثقافية التى نشأ فيها العهد الجديد ثم انتشر. وقد جرت العادة أن يقال لهذه المظاهر الثلاثة: مسألة قانون العهد الجديد، ومسألة نصّه، ومسألة بيئته الأصلية [3].

مقدمة الكتاب المقدس:

قد لا تجد أيها القارئ فى هذه الترجمة الجديدة جميع الألفاظ والتعابير والتراكيب التى ألفتها أذناك وذاكرتك فى الترجمة القديمة، فقد بدل بعضها للمزيد من الدقة والأمانة[4].

وتحت عنوان مدخل إلى الكتاب المقدس جاء ما يلى:

ما هو الكتاب المقدس؟ تكفى نظرة نلقيها على الفهرس الذى يبين أنه (مكتبة) بل مجموعة كتب مختلفة جدا، وإن رجعنا إلى مداخل هذه الكتب تأكد هذا الإنطباع، ذلك أنها تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات من المؤلفين المختلفين، بعضها وضع بالعبرية (مع بعض مقاطع بالآرامية)

---

(١) لاحظ كلمة تأليفها – أي أنها من تأليف كتابها، وليست هى الوحى المنزل على عيسى عليه السلام باعترافهم أنفسهم.

(٢) لاحظ جملة اختلاف الروايات فى أثناء النسخ. أضف إلى ذلك ما أشير إليه سابقا من أن النساخ الأتقياء!! كانوا يضيفون إلى النص شروحات من تلقاء أنفسهم.

(٣) راجع مقدمة الكتاب المقدس (العهد الجديد) تحت عنوان (مدخل إلى العهد الجديد) طبع دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠ ص٧ ، ٥٤ وقد أشار الكتاب إلى أن المداخل مأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونية للكتاب المقدس.

(٤) تشير مقدمة الكتاب المقدس المأخوذة من الترجمة الفرنسية المسكونية إلى التعديل الذى يطرأ على الكتاب المقدس من حين لآخر.

وبعضها الآخر باليونانية. وهى تنتمى إلى أشد الفنون اختلافا كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة القصيرة.

عمن صدر الكتاب المقدس:

صدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتنعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكانا فى التاريخ بتشريعه ومبادئه فى الحياة الفردية والجماعية وهي كلها تشهد على ما صنع الله بهذا الشعب وإليه، وتروى نداءات الله وردود فعل البشر (تسابيح وشكر وتساؤلات).

قراءة الكتاب المقدس:

أسفار الكتاب المقدس هى عمل مؤلفين ومحررين عرفوا بأنهم لسان حال الله فى وسط شعبهم، ظل عدد كبير منهم مجهولا، لكنهم على كل حال لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم.

فمعظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة[١]. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغها النهائية انتشرت زمنا طويلا بين الشعب وهى تحمل آثار ردود فعل القراء فى شكل تنقيحات وتعليقات وحتى فى شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية. بل أحدث الأسفار ما هى أحيانا إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة.

والكتاب المقدس موسوعه فى العمق بثقافة إسرائيل فقد كان لهذا الشعب، كما كان لسائر الشعوب طريقة خاصة فى النظر إلى وجوده وإلى العالم الذى كان يحيط به، وإلى الوضع البشرى، وهو يعبر عن نظرته إلى العالم.

العهد القديم:

مجموعة مؤلفات خطية كان اليهود يسمونها (الشريعة والأنبياء

---

(١) أى أن مؤلفى الكتاب المقدس أخذوا مادته من تقاليد الجماعة وليس من الوحى الإلهى. وخضع عملهم للتنقيح والتعليق وإعادة الصياغة وما يحتاجه ذلك من تعديل وتبديل.

والمؤلفات) أو (الكتاب) ولما رأى المسيحيون أن كتبهم الرسولية تنص على تدابير عهد جديد قام بين الله وشعبه[1]، أطلقوا على الكتب السابقة اسم (العهد القديم) .

[تأثير الحضارة المصرية فى الكتاب المقدس]

وتقول المقدمة : أن قبل عام ٣٠٠٠ قبل ميلاد المسيح كانت مصر دولة عظمى ذات حضارة متطورة، وكان جميع ملوك يهوذا تقريبا حلفاء مصر أو توابعها، وهذا ما يبين أسباب وجود تأثير ثقافي عميق ترك مع الكتاب المقدس آثارا وجيهة ولاسيما فى الأسفار الحكمية .

كما أشات المقدمة إلى وجود تأثيرات ثقافية لبابل وآشور وفارس واليونان وغيرها من الدول التى كانت لها علاقة ببنى إسرائيل سواء علاقة استعمار واحتلال وسبى كالاحتلال الفارسى واليونانى والمصرى والسبى البابلى، أو علاقة تحالف، أو هجرة، كما هو الحال فى علاقتهم بمصر أحيانا تابعين لها، وأحيانا متحالفين معها، وأحيانا مهاجرين إليها، كما حدث منذ عهد سيدنا يوسف حتى نبوة سيدنا موسى عليهما السلام وخروج اليهود من مصر .

قانون العهد القديم :

ليس العهد القديم كل الأدب الذى صدر عن الشعب العبرانى بل هو نتيجة اختيار مؤلفات تعد كتبا يعول عليها وتسمى لهذا السبب قانونية .

الأسفار القانونية الثانية :

تجمع تحت اسم (القانونية الثانية) عدة أسفار مختلفة التواريخ والفنون، كان انتماؤها إلى قانون (أى القائمة الرسمية) الأسفار المقدسة موضوع جدال على مر العصور، وهى : يهوديت وطوبيا والمكابيون الأول والثانى والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروك ومقاطع من استير ودانيال (خاصة بالترجمة اليونانية لهذين السفرين) .

---

(١) كما أفهمهم بذلك بولس حسب ما جاء فى مقدمة (العهد الجديد) طبع دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠ .

هذه الأسفار جزء من القانون المحدد رسميا فى الكنيسة الكاثوليكية منذ المجمع التريدنتينى، والكنائس الشرقية وغير الخلقدونيه لم تتخذ قرار صريحا فى شأن هذه الأسفار.

أما المصلحون البروتستانت الذين ظهروا فى القرن السادس عشر فلم يعدوها قانونية، بل جعلوها ملحقا للكتاب المقدس. وفى رأيهم أنها لا يمكن أن تصلح لبناء الإيمان.

وفى المذهب البروتستانتى تكون هذه الأسفار فئة من الكتب التى تسمى (أبوكريفا) أى منحولة. وتدخل أيضا فى هذه الفئة: صلاة منسىٍّ وكتاب عزار الثالث (وهو تكييف يونانى لعزرا ونحميا) وكتاب عزرا الرابع (وهو رؤيا من أصل يهودى) وفى الكثلكة يطلق على هذه الأسفار منذ سكنس السينى فى القرن السادس عشر اسم (القانونية الثانية) لأنها ضمت إلى القانون فى وقت لاحق خلافا للأسفار (القانونية الأولى) التى ضمت أولا وهذه الكتب تختلف حولها الكنائس[1].

تكوين قانون العهد القديم (القانونية الأولى) :

فى الدين اليهودى اتخذ قرار رسمى فى شأن التوراة (الشريعة) منذ الزمن الذى ثبتها عزرا وأصدرها فى سنة ٣٩٨ ق.م على الأرجح. ومنذ ذلك الحين اعترفت السلطات الفارسية بأن (أسفار موسى) تؤلف دستورا يحكم جميع يهود الامبراطورية الفارسية، وكان اليهود ينسبون إليها قيمة قياسية لتكون قاعدة لإيمانهم وحياتهم العملية. فكانت هذه الأسفار قانونية، أى تنظم الوجود.

وفى وقت لاحق حددت مجموعة ثانية وهى مجموعة الأنبياء الأولين: (يشوع والقضاة والملوك) والآخرين (اشعيا وارميا وحزقيال والأنبياء الصغار الاثنى عشر) ولم تكن لها سلطة منظمة تعادل سلطة المجموعة الأولى، لكنها كانت أساسا لشرحها.

---

(١) راجع مقدمة الكتاب المقدس (العهد القديم) طبعة دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠.

ومع تثبيت مجموعة المزامير وهى ضرورية للصلاة الطقسية نشأت فئة ثالثة من الكتب المعترف بها رسميا والمستعملة فى عبادة الهيكل والإجتماعات المجمعية وهى فئه (المؤلفات) ولكنها لم تعترف بها بأمر السلطة أو بقبول مشترك فى الاستعمال الواحد، ولكن بقيت لائحتها مفتوحة.

أما يهود الاسكندرية فقد ترجمتها إلى اللغة اليونانية فى عهد بطليموس الثانى زبأمره (٢٨٥ - ٢٤٦ ق.م) على يد اثنين وسبعين شيخا كبيرا ومن هنا جاء اسم الترجمة السبعينية الذى اطلق على ترجمة (الشريعة) - أى كتب موسى عليه السلام - والذى تناول فى وقت لاحق كل ترجمة العهد القديم باللغة اليونانية القديمة. فبعد ترجمة الشريعة ترجمت مؤلفات أخرى كالأنبياء والمزامير أولا ثم سائر المؤلفات.

وتقول المقدمة:

وأضيفت إلى هذه الترجمات توسعات جعلت منها تفسيرا حقيقيا للنصوص مرتبطا ارتباطا وثيقا بتغير الأوطان الثقافى الذى سببه الانتقال من اللغة العبرية والآرامية إلى اللغة اليونانية.

ولكن يصعب علينا أن نعرف ما هى حدود قائمة الأسفار المعترف بها والمستعملة فى مختلف الأماكن التى كان اليهود يقيمون فيها بين القرن الأخير من العصر القديم والإصلاح اليهودى الذى خلف خراب أورشليم عام ٧٠م.

وكانت الجماعات اليهودية الأولى تختلف فى اعترافها واستعمالها لبعض الأسفار[١].

هذه مقتطفات مما جاء فى مقدمة الكتاب المقدس نقلناها حرفيا لتدل باعترافهم ما اعترى هذه الكتب من تبديل وتغيير واضافة وقد بينت النصوص التى نقلناها أن هذه الكتب كتبت بيد رجال أتقياء وقد تأثرت بثقافات الدول

---

(١) راجع مقدمة الكتاب المقدس (العهد القديم) طبعة دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠.

الأخرى، وتمثل ثقافة وأدب الشعب الإسرائيلى، وإن مؤلفيها مجهولون، وعند نقل المخطوط أضاف إليها الناسخون بحسن نية حسب ما أشارت المقدمة بعض النصوص والفقرات، كما سقطت نصوص أخرى أثناء النسخ، وسوف يظهر ذلك أكثر فيما سيرد مما سنستقيه من مقدمات بعض الأسفار.

سفر الأحبار:

لم يظهر هذا السفر إلا مؤخرا فى حياة إسرائيل، فمن جهة أولى لم يكن له أثر ملموس فى سائر أسفار العهد القديم، ومن جهة ثانية يقتصر على عرض تقنية الذبائح الإسرائيلية.

سفر القضاة:

الغموض قائم حول تأليف سفر القضاة وهو سفر تاريخى يفيد المؤرخ.

مجموعة أسفار الأخبار وعزرا ونحميا:

تنسب إلى كاتب واحد مجهول لا يعرف اسمه ويقال له (محرر الأخبار)، وسفر عزرا ونحميا كتبا بعد السبى البابلى وعودة بنى إسرائيل إلى فلسطين.

سفر طوبيا:

جوهرة من جواهر الأدب الكتابى. إن عبارة عن رواية شعبية اقتبست من التقليد الحكمى الشائع فى العالم الوثنى المحيط باليهودية (١).

سفر يهوديت:

مثله مثل سفر طوبيا واستير رواية من الأدب الكتابى عن أرملة جميلة تستهوى قائد حصار مدينة فلسطينية وتنتهز فرصة سكره بعد مأدبة لتقطع رأسه وتكون السبب فى هزيمة المعتدين (٢).

---

(١) راجع مقدمة سفر طوبيا ص ٨٧٥. ولاحظ ما ذكرته مقدمة هذا السفر من أنه مقتبس من الحكم الشائعة فى العالم الوثنى آنذاك. وراجع كتاب العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية - تأليف محمد طاهر التنير وبتحقيقنا ونشر مكتبة النافذة بالقاهرة ٢٠٠٥

(٢) راجع مقدمة سفر يهوديت ص ٨٩٩.

سفر استير :

يروى كيف تم خلاص الشعب اليهودى على يد امرأة يهودية تدعى استير، كما هو الأمر فى سفر يهوديت (١).

سفرا المكابيين :

ليس جزءا من الأسفار القانونية اليهودية وقد عدهما القديس هيرونيمس من الكتب المنحولة وتبعه فى ذلك البروتستانت، ورغم ذلك فقد استشهد بهما آباء الكنيسة وأعلوا شأنهما ودخلا لائحة الكتب القانونية منذ القرن الرابع. وهما عن تاريخ الشعب اليهودى فى العصر الهلينستى (٢).

المزامير :

فى المجموعة العبرية مزامير لا عنوان لها تدخل عليها فى الترجمة السبعينية تمهيدات جديدة. منها ٨٤ مزمورا تنسب إلى داود عليه السلام، وأخرى إلى كتبة مختلفين منهم: أرميا وحزقيال وزكريا وحجاى وبنى بونا دآب. تضاعف إليها أحيانا معلومات غير معروفة عن ظروف تأليف المزامير وأصحابها.

وتقول مقدمة المزامير: أن الترجمة اليونانية توصلت إلى نصوص تبدو أصح مما ورد فى الأصل العبرى(٣)؟

وهى الترجمة المعمول بها فى الكنائس اليونانية والشرقية.

ولا أدرى كيف تكون الترجمة أصح من الأصل المترجم؟؟ هذا اللغز لم يستطع حتى معدوا المقدمة أن يوضحوه لنا..

---

(١) راجع مقدمة سفراستير .. وفيه نرى كما فى سابقه كيف تحقق نساء بنى إسرائيل النصر على الأعداء، باستخدام سلاح الأنوثة .

(٢) راجع مقدمة سفرا المكابيين ص ٩٤٧ .

(٣) راجع مقدمة سفر المزامير ص ١٣١٥ وما بعدها، وان كان لم يقدم لنا دليلا على أن الترجمة اليونانية توصلت إلى نصوص تبدو أصح مما ورد فى الأصل العبرى. وعموما فإن ذلك يعطينا فكرة عن مدى تدخل النساخ والمترجمين فى تغيير وتبديل النصوص!!

سفر الأمثال :

مجموعة قطع من مختلف المصادر والتواريخ، أو هو بالأخرى مجموعة مجموعات، وهو يعود إلى الفن الأدبى الذى كان مزدهرا منذ زمن طويل فى الهلال الخصيب ومصر [١].

وهناك أكثر من وجهة شبه بين سفر الأمثال والنصوص السومرية والآشورية البابلية والكنعانية والحيثية والمصرية. فإن فيها معالجة لمواضيع واحدة وبألفاظ واحدة فيها أيضا اقتباسات مباشرة بالإضافة إلى نسبة مجموعتين صغيرتين إلى حكماء غرباء. مما يدل على وجود حياة أدبية دولية شاركت فيها [٢].

سفر الجامعة :

وهو أيضا به أجواء مشتركة من أدب البلاد المجاورة وهو كتاب غير متجانس. ويرى بعض الناس أن له عدة مؤلفين أو مراجعين لوجود أفكار متعارضة[٣].

سفر نشيد الإنشاد :

إن هذا الكتاب الصغير يشكل مسألة من أشد المسائل المتنازع عليها فى نصوص الكتاب المقدس. فما هى معنى القصيدة الغزلية (أو مجموعة القصائد الغزلية) فى العهد القديم؟ فللكتاب طابع غرامى وهو لا يتوقف إلا على الجمال الطبيعى، ولا يذكر الله ولا انجاب الأطفال، ولا الزواج، ويحفل بذكريات اسطورية. والكتاب مجهول المؤلف والتاريخ ولماذا ألف ووجوده ضمن الكتب المقدسة لم يكن إلا مصادفة. وبه أغانى عن الحب دون الإهتمام بالزواج [٤].

---

(١) مرة أخرى تشير المقدمات إلى تأثير الحضارة المصرية، والحضارات الأخرى المجاورة لفلسطين فى الكتاب المقدس، بل قيل أن فيها اقتباسات مباشرة وأن هناك حياة أدبية دولية شاركت فيها.

(٢) راجع مقدمة سفر المزامير ص ١٣١٥ .

(٣) مقدمة سفر الجامعة ص ١٣٦٠/١٣٦١ .

(٤٤ مقدمة سفر نشيد الإنشاد ص ١٣٧٨ .

سفر الحكمة:

هذا الكتاب وضعه في اليونانية يهودى من جماعة المؤمنين فى الشتات، وهو قريب من المؤلفات اليهودية فى الاسكندرية.

أن واضع سفر الحكمة شاعر ومعلم روحى أراد أن يضع مؤلفا شخصيا طريفا ومع أنه يستقى من ينابيع كثيرة فإنه يحذر من نقلها كما هى بل يدخلها بخطه فى كتابه [١].

سفر يشوع بن سيراخ:

وقد أبعد هذا الكتاب من الكتب القانونية ثم أعيد إلى منزلة الأسفار المسماه (بالقانونية الثانية) أو المنحولة. والنص العبرى الأصلى كان قد فقد ثم وجد جزء منه ولم يعرف طوال أجيال إلا عبر ترجمات لها تاريخ معقد. وهو الكتاب الوحيد بين الأسفار ما عدا الأنبياء الذى يعرف كاتبه معرفة أكيده وهو يشوع بن سيراخ. والكتاب من الأدب الحكمى. وينقسم إلى موضوعين رئيسيين تحتهما موضوعات فرعية أولها مجموعة حكم والثانى مجد الله [٢].

أسفار الأنبياء:

سفر أشعيا:

أوضح دليل على تعدد المؤلفين يظهر فى مطلع الفصل الأربعين [٣].

ونكتفى بسفر أشعيا كنموذج لأسفار الأنبياء خوفا من الأطالة بل ونكتفى بما نقلناه من آراء للكنيسة الكاثوليكية عن كتابهم المقدس وردت فى مقدمة الكتاب المقدس بعهدية القديم والجديد ومقدمات ببعض أسفار العهد القديم. وهى كلها تدل على أن هذه الكتب غير موحى بها ولكنها من تأليف عدد غير محدود من المؤلفين منهم المعروف ومنهم المجهول.

---

(١) مقدمة سفر الحكمة ص ١٣٩٣/١٣٩٤ .

(٢) راجع مقدمة سفر يشوع بن سيراخ ص ١٤٣٣/١٤٩٥.

(٣) راجع مقدمة سفر أشعيا.

وإن بعض أسفار العهد القديم تشمل القصص والأشعار والحكم والحكايات وغيرها من فروع الآداب المختلفة والتى لا تمت إلى الوحى بصلة.

وكما ورد فى المقدمات المشار إليها فإن كثيرا منها شمله التعديل والتغيير والتحريف والحذف والإضافة.

كما أن الكنيسة تطالب فى هذه المقدمات بضرورة إدخال تعديلات ضرورية على كتبهم المقدسة.

ناهيك عما أشارت إليه من اختلاف اليهود حول كتابهم واختلاف النصارى مع اليهود أيضا حول العهد القديم وأسفاره.

وكذا اختلاف الكنائس فى الأخذ ببعض الأسفار دون بعض وأن جميع الكتب سواء أسفار العهد القديم أو الجديد عبارة عن روايات آحاد ولم تنقل عن طريق التواتر، مما يسقط حجيتها.

يقول هانس كونج

إن الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) كتبه أناس مختلفون كل الاختلاف، ونتج عن ذلك أن الأناجيل والرسائل (المسيحية) جاء فيها كثير من الخلط والخطأ والنقص حتى أصبح مستحيلا القول بأن ما فى الكتاب المقدس هو وحى الله بالنص.

وأنه على عكس ما يدعى بعض علماء الدين المسيحى [1].

أما عن رأيه فى التثليث فيذكر أن قول بولس الراهب فى شأن التثليث فى

---

(١) المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار - تأليف الدكتور محمد السيد الشاهد ص ٥٢ نشر دار الأمين بالقاهرة ١٤٢١ هـ.

والكتاب ثمار إحدى ندوات الحوار التى نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا الغربية فى الفترة ما بين عام ٩٨٢ - ١٩٨٤ بين عالم كنسى ومستشرق، وأثمرت كتابا به آراء تعد من أخطر ما نشر فى الغرب عن الإسلام والمسيحية لما جاء فيه من آراء جريئة وصحيحة مثل اثبات نبوة محمد ﷺ، وإلهية مصدر القرآن الكريم وتصويبات جذرية لمفاهيم خاطئة عن الإسلام، واثبات لتحريفات فى الأناجيل وفى الأصول الحالية للعقيدة النصرانية مثل: أفكار التثليث والنبوة (إن عيسى ابن الله) وعصمة البابا (راجع مقدمة الطبعة الأولى ص ٢٧).
=

القرن الثالث عشر الميلادى لم يكن بطريقة مقنعه. وقد رد عليه أحد علماء المسلمين يدعى القرافى ٦٨٤ هـ - ١٢٨٥م[١] .

ويقول (كونج) أن رد القرافى أصبح سلاحا يستعمل ضد العقيدة من بعده، وقد أوضح القرافى فى رده عدم صحة حجج بولس الراهب فى التثليث.

ويقول : إن ضعف موقف المسيحيين أمام الحجج الإسلامية ضد التثليث هو أن الحجج التى يأتون بها غير مقنعة بالنسبة لتلك المسائل الرئيسية .

ويرجع العالم الكاثوليكى (هرمان شينجليكر) فى كتابه (عقائد المسلمين) ١٩٥٠م انهزام المسيحية فى بلادها التى نشأت فيها إلى الأسباب نفسها وهى ضعف حجج المسيحيين لعقيدة التثليث [٢].

= أما المؤلف الرئيسى والمشرف على ندوة الحوار والذى استفدنا ببعض آرائه الجريئة فى هذه المقدمة هو الأستاذ الدكتور هانس كونج مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية التابع لجامعة توبنجن بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية. ونصب قسا بالكنيسة الكاثوليكية ثم أبا روحيا بالكنيسة المركزية (الرئيسية) فى بلدة لوزان بسويسرا، ثم عين لمادة أصول الدين المسيحى بجامعة توبنجن وفى عام ١٩٦٢ عينه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشارا رسميا بمجلس الكنيسة الأعلى ومنذ عام ١٩٦٣ وهو يعمل استاذا لأصول الدين المسيحى ومديرا لمعهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية بجامعة توبنجن.

وفى عام ١٩٨٠ وقع خلاف بينه وبين البابا انتهى بسحب اعتراف الكنيسة بصلاحية لتمثيل الكنيسة والإشراف على الطلاب لتخريجهم قساوسة كاثوليك. وهو معروف بموقفه النقدى تجاه بعض تنظيمات ومعتقدات الكنيسة وبعد خلافه مع البابا أصبح كرسى الاستاذية الخاص به وكذلك المعهد الذى يديره تحت الإشراف المباشر لرئيس ومجلس إدارة الجامعة (راجع التمهيد ص ٣٠/٣١).

وقد تعمدنا نقل تعريف كامل بالدكتور (كونج) نظراً للآراء النقدية الخطيرة للدين المسيحى واعترافه الجرئ بنبوة محمد ﷺ وبصحة الوحى والقرآن الكريم، فهو متمسك بمسيحيته، ولكنه ينتقد المخالفات العقدية فيها.

(١) وهو الكتاب الذى نقدم له. والقرافى له كتابان فى الرد على النصارى: كتاب أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية وقد وفقنا الله إلى تحقيقه وطبعته مكتبة النافذة، والثانى الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة وهو الكتاب الحالى، وكانت كتبه مشهورة بين المستشرقين وعلماء اللاهوت.

(٢) المسيحية والإسلام - مرجع السابق ص ٨١ .

ويقول (كونغ) : الجدير بالملاحظة أنه لا توجد فى الكتاب المقدس سوى فقرة واحدة يذكر فيها بوضوح أن الله (الأب) والكلمة (الابن) والروح القدس شئ واحد (انظر يوحنا ٥ / ٧ وما بعدها) وحتى هذه الفقرة لا توجد فى المخطوطة القديمة للكتاب المقدس . وهى تعتبر الآن تحريفا (اضافة) جاء من أسبانيا فى القرن الثالث أو الرابع الميلادى [١] .

ولكن ما هى إذن علاقة عيسى بالله؟ قال عيس عليه السلام فى رده على من لقبة بالمعلم الجليل : ماذا دعاك أن تلقبنى بالمعلم الجليل؟ لا جليل إلا الله) مرقس ١٠ / ٧ وما بعدها .

إن عيسى لم يستعمل أبدا تعبير (ابن الله) وهذا الرأى متفق عليه اليوم بين جميع الباحثين [٢] .

ومع دخول المسيحية إلى مناطق الثقافة ازدادت فكرة نبوة عيسى لله تعقيدا . وازدادت تعقيدا بمحاولة التعريف والاقناع ، وأصبح اقناع اليهود والمسلمين بذلك مستحيلا ، وكانت نتيجة التبشير المسيحى بين اليهود والمسلمين فاشلة . بل وأدت إلى دخول كثير منهم فى الإسلام [٣] .

ولكن كيف نفسر التثليث لليهود؟ (وحاول المؤلف أن يضع تفسيراً لاشكالية التثليث للخروج من المأزق الذى وضعهم فيه علماؤهم من رجال الدين وعلماء اللاهوت فخرج بتفسير يقرب بين الأديان الثلاثة) فقال :

– الإيمان بالله (الأب) معناه فى الكتاب المقدس الإيمان بالله الواحد ويشترك فى ذلك اليهود والمسلمون .

– الإيمان (بابن الله) : معناه الإيمان بالوحى الذى أنزله الله الواحد على عيسى الإنسان .

---

(١) وهذا يدل على تحريف الكتاب المقدس بإسقاط أو حذف أو اخفاء ما لا يرغبون فى اظهاره ، وإضافة ما يرغبون فيه .

(٢) المسيحية والإسلام مرجع سابق ص ٨٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٥ .

-- الإيمان بالروح القدس: معناه الإيمان بتأثير قدرة الله وقوته في الإنسان والعالم أجمع.

والأساس فى العقيدة المسيحية ليس هو عقيدة التثليث التى نشأت وتبلورت فى الكنيسة فى عصور متأخرة[١]، ولكن الإيمان بالله الواحد وبروح والله التى أودعها الله فى عيسى.

وإذا كنا نريد أن يفهم أحدنا الآخر فهما صحيحا فعلينا إذن العودة إلى أصول دياناتنا لأن تلك الأصول هى أقرب إلى بعضها وتقربنا أكثر مما نشأ مع مرور الزمن.

ويستشهد المؤلف بكتاب (صورة المسيح فى القرآن) لمؤلف فنلندى اسمه (هايكى رازينن). ولقد أثبت هذا المؤلف فى كتابه أنه لا توجد أى إشارة ولو حتى من بعيد إلى عقيدة التثليث فى الكتاب المقدس. وإن هناك فى الكتاب المقدس بعض الفقرات التى تشبه إلى حد كبير ملحوظ ما جاء فى القرآن الكريم بخصوص عيسى عليه السلام[٢].

وما سبق يؤكد ما جاء فى القرآن من أن عيسى هو عبد الله (إنسان) تحققت فيه إرادة الله، واصطفاه وميزه عن عباده الآخرين، تحققت فيه كلمة الله، ولم يأت فقط بالمعجزات، إنما هو نفسه كان معجزة من معجزات الله [٣].

هذا بعض ما يقولونه عن دينهم وكتابهم المقدس، فماذا يقولون عن الإسلام ورسوله ﷺ وعن القرآن الكريم؟

* * *

---

(١) يبين المؤلف أن عقيدة التثليث لم تكن ضمن الديانة المسيحية التى جاء بها المسيح عليه السلام، ولكنها أدخلت وأقحمت عليها فى عصور متأخرة.

(٢) المرجع السابق ص ٨٦.

(٣) المرجع السابق ص ٨٦، ٨٧.

الإسلام وحملات التشكيك في الغرب

يقول هانس كونج:

كان الرأى السائد فى الغرب عن الإسلام أنه عقيدة خاطئة وأنه تحريف متعمد للحقيقة وخليط من العنف والشهوة، وقيل عن الرسول ﷺ أنه مخادع وأنه المسيح الدجال.

وفى مقابل ذلك كان اظهار المسيحية على أنها هى الدين المثالى الوحيد الذى يحتوى على الحقيقة المطلقة والسلام والحب والتعفف.... إلخ.

وقد كان هدفهم من ذلك التشويه المتعمد لصورة الإسلام وغيره من الديانات الأخرى حتى يحموا أبناء دينهم من التأثر بغيره من الديانات.

ورغم أنه فى العصور الوسطى المسيحية كان هناك اعجاب كبير بالحضارة العربية الراقية والفلسفة والعلوم الطبيعية والطبية بالاضافة إلى القوة الاقتصادية والعسكرية للإسلام حتى أن وجود عالم مسيحى مثل توماس الاكوينى ما كان ممكنا دون العرب[1].

إلا أن ذلك الإعجاب اختفى مع بدايات عصر النهضة، ونشطت معاداة كل شىء عربى، وإزداد ذلك عند ظهور الأتراك على أوروبا فتم احراق القرآن بعد نشره مباشرة فى عام ١٥٣٠م الذى نشر فى فنيسيا (البندقية).

ولقد أراد لوثر مؤسس الكنيسة البروتستانتية (ت ١٥٤٦م) أن يترجم

---

(١) ورغم ذلك كان هناك تفريق بين الإسلام كحضارة والإسلام كدين، فنقلت أوروبا حضارة الإسلام وتركت الدين، بل وعملت على تشويهه والتشكيك فيه ونشر الشبهات والأكاذيب والأباطيل حوله.

القرآن ولكن ليس إلا للتهجم عليه. وعندما جاء عصر التنوير فى القرن الثامن عشر بدأ الاتجاه إلى مهادنة الإسلام[١].

إن صورة الإسلام منذ يوحنا الدمشقى (ت ٧٥٠م - ١٣١هـ) كان يعتبر زندقة محرفة عن المسيحية لا بد أن تتغير.

إن الإسلام كما يقول المفكر فليفرد كانتوبل: يذكر المسيحيين بأصلهم. ويقول باول شفارترنا فى كتاب (دروس قرآنية للمسيحيين): إن الإسلام يحيى (يعيد) التصورات اليهودية فى الدين المسيحى. وهناك كثير من العلماء المسيحيين الذين يرون أن الإسلام هو تطور للدين اليهودى والمسيحى. وهناك كثير من المسيحيين جاءوا بما يؤكد براءة محمد ﷺ من كل ما اتهم به وأنه قد حفظ كثيراً من أصول الدين المسيحى.

ولكن من الغريب أن هذه الأبحاث والنتائج العلمية ظلت غير معروفة بين المسيحيين حتى الآن.

ويعلن المؤلف رفضه التام للعودة إلى الجدل المسيحى ضد الإسلام عن طريق الافتراءات والتحريف والتشويه[٢].

ويقول: يجب علينا نحن المسيحيين أن نصحح تصورنا عن محمد ﷺ وترك الأحكام الخاطئة التى نشأت من الكراهية ضد الإسلام[٣].

أن الكتاب المقدس كان يعترف بنبوات بعد عيسى عليه السلام ولكن اختفى هذا الاعتراف بدءا من القرنين الثانى والثالث الميلادى، وهذا لا يبرر لنا إنكار نبوة محمد ﷺ[٤].

---

(١) المسيحية والإسلام تأليف دكتور السيد محمد الشاهد - ص ٤٦، ط دار الأمين بالقاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق ص٥٠.

(٤) المرجع السابق ص ٨٠ وما بعدها.

أقول إنه يوجد بالكتاب المقدس اشارات إلى أن هناك وحيا إلهيا خارج حدود المسيحيين المكانية والزمانية، وهو منتشر بين جميع البشر. حتى أن كارل بارت نفسه وهو أحد كبار المكفرين الكاثوليك فى النصف الأول من هذا القرن، اضطر فى آخر أيامة أن يعترف بوجود وحى إلهى خارج الكنيسة بعد أن ظل طوال حياته ينكر ذلك.

الحقيقة أن الكتاب المقدس فيه إشارات كثيرة مباشرة وغير مباشرة إلى أن الله لا يترك أمة دون وحى يهديهم، وأنه يحب البشر ويريد هدايتهم.

يقول المؤلف الدكتور هان كونج: وبالنسبة لي شخصيا فإننى أخترت عيسى لى مرشدا فى حياتى ومماتى، وآمنت به مسيحياً، قد اخترت أيضا محمدا بنفس المعنى، طالما أنه جاء بما جاء به عيسى من الإيمان بالله والدعوة إلى عدم الشرك به كما قال عيسى عليه السلام(١).

ويعلق الدكتور محمد السيد الشاهد مؤلف كتاب المسيحية والإسلام على آراء الدكتور (كونج) فيقول:

إن العالم اللاهوتى (هانس كونج) قال ووضح ودلل على ما قال بأسلوب علمى مقنع ما لم يجرؤ عليه مسيحى منذ القرن الأول الميلادى إلى يومنا هذا.

وهذا باعتراف كثير من علماء اللاهوت والمستشرقين وفى مقدمتهم المستشرق الألمانى جوزيف فان اتس.

إن ما قررة هانس كونج يعود بالعقيدة المسيحية فى كثير من أسسها إلى المسيحية الأصلية التى دعى إليها عيسى عليه السلام، وهى الإيمان بالله وعدم الشرك، والإيمان بالرسل والأنبياء قبله، وطور هذا إلى حد الدعوة إلى الاعتراف بنبوة محمد ﷺ وصدقه وصدق وحى الله إليه، ويتلخص موقفه من المسيحية والإسلام فيما يلى:

---

(١) المسيحية والإسلام - من الجوار إلى الحوار - تأليف دكتور السيد محمد الشاهد - ص ٨٨، ط دار الأمين بالقاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م . مرجع سابق.

١ – يرفض عقيدة التثليث رفضاً تاماً ويثبت أنها أضيفت فى القرن الثالث أو الرابع الميلاديين، وبعد تأثر المسيحية بالثقافة الهلينية والرومانية وأنه لا يوجد أى دليل عليها فى الكتاب المقدس.

٢ – يؤمن بالله وبوحدانيته ويرفض كل ما يشوب ذلك مما جاء فى عقيدة التثليث من أن عيسى ابن الله. ويعتبر عيسى إنسانا فى الدرجة الأولى قد اصطفاه الله وكلفه برسالة بلغها وعاشها من ميلاده حتى مماته (رفعه إلى السماء) وأن عيسى تحققت فيه كلمة الله التى هى دليل قدرته وعظمته، وفضله الله بذلك على سائر الرسل السابقين.

٣ – يؤمن بأن محمداً رسول الله ويأتى بالأدلة على ذلك مبينا أوجه الشبه والتماثل بينه ﷺ وبين سائر الأنبياء السابقين.

٤ – يؤمن بأن القرآن وحى من الله وليس من تأليف محمد ﷺ، وجدير بالذكر أن هذا القول لم يقله أحد من قبله من المسيحيين أو اليهود أو أصحاب الديانات الأخرى أو الملحدين المعروفين.

٥ – يؤكد صحة ما جاء فى القرآن عن عيسى عليه السلام، ويرى فيه تكريما وتعظيما يفوق ما جاء فى أقوال رجال الكنيسة الذى زاد الأمر تعقيدا وجعل الناس تهرب من المسيحية ويدخل كثير منهم فى الإسلام، أو يتجهوا إلى ديانات أخرى أقل تعقيدا من المسيحية[1]. ا.هـ (بتصرف يسير).

إن أمنيات المؤلف فى تصحيح تصور النصارى عن محمد ﷺ ورفضه للعودة إلى الجدل المسيحى ضد الإسلام عن طريق الافتراءات والتحريف والتشويه لم تلق قبولا لدى فئات عديدة من النصارى. فآلاف الكتب مازالت تصدر سنويا حول العالم تشكك فى الإسلام وتنشر الشبهات والضلالات حوله. ناهيك عن أكثر من ألفى كتاب تعج بها شبكة المعلومات (الأنترنت) بالإضافة إلى مئات المواقع التى تخصصت فى مهاجمة الإسلام.

---

(١) المسيحية والإسلام – من الجوار إلى الحوار – مرجع سابق ص ٩٠ .

وكذا القنوات الفضائية المخصصة لمهاجمة الإسلام وبث الأباطيل حوله، وجمعيات وجماعات التنصير المشبوهة التى تجوب العالم شرقا وغربا وتركز على بلاد المسلمين، مدعومة ماديا ومعنويا من الدول صاحبة المصلحة فى السيطرة على مقدرات العالم.

كما أن الصحف الغربية تركز على تشويه صورة الإسلام والإساءة إلى رسوله ﷺ وكان آخر ذلك ما نشرته صيحفة (بولاند بوست) الدانمركية الناطقة بلسان الحزب الحاكم من إساءات بالغة لرسول الله ﷺ خلال شهر سبتمبر ٢٠٠٥، ورغم ردود الأفعال الغاضبة فى البلاد الإسلامية إلا أن الصحيفة استمرت فى حملتها ضد الإسلام بنشرها صورا كاريكاتورية تتهكم على الرسول ﷺ[١]. وانتقلت الحملة من الدانمراك إلى دول أوروبية أخرى كان أولها النرويج ثم ألمانيا وفرنسا ونيوزيلاندا.

وفى ألمانيا قامت السلطات فى ولاية فورتمبرج بتطبيق نظام جديد من أول يناير ٢٠٠٦ يجبر من يسعون للحصول على الجنسية الألمانية من المسلمين بالإجابة على قائمة من ٣٠ سؤالا أطلق عليها (إمتحان الضمير) وهو ما تم

---

(١) الأهرام – الثلاثاء ١٠/١٢/١٤٢٦هـ ١٠/١/٢٠٠٦م حيث أشارت إلى تدخل رئيس الوزراء الدانمركى ولكن كان تدخلا سلبيا لم يأت بنتيجة إيجابية. وفى تطور خطير نشرت الصحف الدانمركية أنها أجرت استفتاء بين المواطنين عن رأيهم فى أن تقدم الحكومة الدانمركية اعتذارا للدول الإسلامية عن التشويه المتعمد الذى قامت به الصحيفة الناطقة بلسان الحزب الحاكم وكانت نتيجة الاستفتاء أن رفضت الأغلبية مجرد الاعتذار، بل وصل العداء إلى حد رفض حتى اعتذار الجريدة التى أهانت المسلمين، عما اقترفته من إثم فى حق رسول الله ﷺ وفى حق جميع المسلمين الذين يشكلون أكثر من ربع سكان العالم.

وفى جريدة الأهرام الصادرة يوم الجمعة ٣/٢/٢٠٠٦ نشرت تحذيراً من الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية يحذر من التداعيات الخطيرة كحملة الإساءة للإسلام على استقرار العالم، وقال فى تصريحه لوكالة أنباء الشرق الأوسط : (أن حدية التعبير ينبغى ألا تكون ذريعة للنيل من المقدسات والمعتقدات والأديان).

وقالت الأهرام على صدر صفحتها الأولى (صحف فى ٦ دول أوروبية تعيد نشر الرسوم المسيئة). فهى منظمة يقصد بها تشوية الإسلام والإساءة إلى رسول الله ﷺ ﴿ **وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف: ٢١].

التركيز على أنه سيطبق على المسلمين فقط وبالذات مواطنو بلاد منظمة المؤتمر الإسلامى الـ ٧٥، وأن من يجيب بطريقة خاطئة فلن يحصل على الجنسية الألمانية.

وقد توالت الاحتجاجات من قبل اتحاد الجاليات الإسلامية فى ألمانيا بل وحتى الجميعات العلمانية التركية على وضع قائمة للمسلمين بالذات دون المسيحيين أو الهندوس أو غيرهم مما اعتبروه بمثابة الشك الجماعى ضد المسلمين ونوع من التمييز الواضح ضدهم.

والعجيب أن الكثير من الأسئلة تتعارض مع صحيح الإسلام والهدف هو اخراج المسلم من دينه مثل: موافقته على زواج ابنته المسلمة من غير المسلم والسماح بالشذوذ الجنسى لأبنائه واعتباره حرية شخصية للفرد، وحرية انتقاد الأديان (المقصود الدين الإسلامى طبعا). ومشاركة البنات فى النشاطات المدرسية وخاصة السباحة والسماح للنساء بارتداء الملابس التى ترتديها الألمانيات، وحرية تغيير الدين من الإسلام إلى غيره.

وكما هو واضح فإن هذه الأسئلة تتعارض مع الدستور الألمانى نفسه ومع أبسط قواعد حقوق الإنسان. وإن وضع قائمة للمسلمين فقط دون غيرهم يخالف المادة الأولى من الدستور الألمانى التى تنص فقرتها الأولى على أن (كل البشر سواسية أمام القانون) وكذا يخالف الفقرة الثالثة التى تنص على أنه (لا يجوز التمييز أو الحاق الغبن بأحد بسبب جنسه أو منبته أو عرقه أو لغته أو وطنه أو أصله أو عقيدته أو رؤيته الدينية أو السياسية).

وكل هذه الأسئلة تتعارض مع معتقدات الإنسان وكرامته وحريته وحقوقه الأساسية وهى فى تعرضها لعقيدة المسلم والبحث فى ضميره وشخصه وعاداته وتقاليده وعلاقته بزوجته وأبنائه تتعارض ليس مع الدستور الألمانى الذى كفل حق الإنسان فى حريته وكرامته ومساواته بغيره ورفض كل صور التمييز، بل تتعارض مع كل القواعد الدينية فى العالم وكل دساتير وقوانين الدول والمنظمات الدولية وخاصة المعنية بحقوق الإنسان.

إن ما يفعله الحزب المسيحى الديمقراطى ليس فى ولاية فورتمبرج وحدها

بل فى الولايات الألمانية التى يحكمها مما يشير إلى أن ما يحدث ليس مصادفة بل يسير على استراتيجية واضحة لا تقبل بالمسلمين إلا إذا تخلوا عن الأسس الجوهرية لدينهم(١).

ولكن فى الغرب ما دام التعصب والتمييز ضد الإسلام كدين وضد المسلمين كاتباع لهذا الدين فكل شيء مباح ابتداء من التشكيك فى صحة هذا الدين وبث الشبهات والأباطيل ضده ومحاولة انتزاعه من صدور أبنائه شتى الطرق والوسائل إلى التعرض للمسلمين فى أشخاصهم وبلادهم وكل ما يمت لهم بصلة.

إن الإسلام يتعرض على مدى العصور والأزمان لهجمات شرسة من أعدائه ومن الحاقدين عليه، زادت حدتها هذه الأيام، يحاولون تقويض بنيانه واجتثاث أصوله واقتلاع أساسه. ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(٢).

والإسلام جاء إلى الناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾(٣).

فالإسلام جاء لخير البشرية، ولما كان المسلمون يعتقدون أن دينهم هو الحق وأنهم على خير وأن دينهم جاء لهداية البشر جميعا فأرادوا أن يشاركهم جميع الناس فى هذا الخير، لم يستأثروا به لأنفسهم باعتبارهم شعب الله المختار كما فعل اليهود، وأنما دعوا الكافة ليدخلوا معهم فى دينهم لينهلوا من فضل الله ورحمته.

---

(١) راجع جريدة الأسبوع العدد ٤٥٩ فى التاسع من ذى الحجة ١٤٢٦هـ - الموافق للتاسع من يناير ٢٠٠٦م تحت عنوان:

الحزب الديمقراطى الألمانى يعلن الحرب على المسلمين.

التخلى عن الإسلام شرط للحصول على الجنسية الألمانية - تحقيق من برلين كتبه الأستاذ/ وليد الشيخ.

(٢) سورة الصف - آية ٨.

(٣) سورة الأعراف - آية ٥٨.

ولكن البعض أبى واستكبر وأصر على الضلالة، ولم يكتف بذلك ولكن شكك فى الإسلام ورسوله ونشر الشبهات والأباطيل حوله.

وعن تبليغ الرسالة لجميع الأمم ولكل من تبلغه الدعوة، وعن الذين يفترون عليه الكذب بتشكيكهم فيه قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ* وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ* وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ* ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ* انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (١). ولقد تنبأ سيدنا رسول الله ﷺ بما نحن عليه الآن حيث قال: (توشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال: لا، بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل).

استخدام القوة المسلحة:

أن العدوان الأمريكى على العراق وأفغانستان وتهديد إيران وغيرها من بلاد المسلمين خير شاهد على محاربة الإسلام، وإذا كان الستار الذى تتدثر به أمريكا هو محاربة الإرهاب وتطبيق الديمقراطية فهو ستار خادع بل هو كاشف لا يخفى ما وراءه، بل هو يكشف أكثر مما يخفى وقد ظهرت عورة أمريكا واضحة للعيان.

فالرئيس الأمريكى بوش أعلنها صراحة: إنها حرب صليبية..!! وإن كان قد عدل عن ذلك فيما بعد فإن عدوله لا يخفى الحقيقة، فهى فعلا حرب صليبية بكل المقاييس ويقف وراءها اليمين المتطرف فى الولايات المتحدة.

---

(١) سورة الأنعام – الآيات ١٩ – ٢٤.

وفى الأيام الأخيرة قامت القوات الأمريكية فى العراق باقتحام مقر هيئة علماء المسلمين أبرز مرجعية دينية للسنة فاعتقلت بعض منسوبيه وقتلت كثيرا من علماء الدين المناهضين للاستعمار الأمريكى للعراق فى مناطق متعددة[1]. وقالت بعض الصحف أن المقتحمين رسموا صليبا على باب هيئة العلماء.

وهذا الاقتحام ليس جديدا فقد تعدد عدوان قوات الاحتلال على المواطنين وعلى دور العبادة، ولم يخل مكان فى العراق من تدنيسهم له.

والجدير بالذكر أن ما ينفذه الرئيس الأمريكى الحالى، وإعلانه أحيانا عن عدائه السافر للإسلام، ثم عدوله فى بعض الأحيان عن ذلك ليس بغريب عليه، فقد أعلن مرارا أنه الرئيس الذى أرسلته العناية الإلهية لإنفاذ هذه المهمات.

ولا عجب فى ذلك فجده القس جورج بوش سبق أن أصدر كتابين حشد فيهما كماً هائلا من الافتراءات وإثارة الشبهات والأباطيل ضد الإسلام، هما:

١ – محمد مؤسس دين الإسلام ومؤسس امبراطورية المسلمين، والكتاب حافل بالهجوم والحقد والتجنى والإفتراء والتشويه لصورة سيدنا محمد ﷺ والدين الإسلامى الحنيف.

٢ – وادى الرؤيا أو تفسير رؤيا حزقيال: والكتاب لا يخلو من الهجوم على الإسلام وإثارة الشكوك والإباطيل حوله كدأبه فى الكتاب الأول.

وما يقوم به جورج بوش الحفيد هو سياسة عامة للغرب ضمن حملته ضد الإسلام، فقد سبق أن كتب الرئيس الأمريكى الأسبق كتابا أسماه (الفرصة السانحة) ذكر فيه إن الإسلام هو العدو الوحيد أمام أمريكا بعد أن تسقط الشوعية. وكان ذلك فى الثمانينات من القرن العشرين وقبل سقوط الشيوعية بسنوات، وحدد الدول المطلوب البدء بمواجهتها عسكريا وهى التى سماها بوش فيما بعد بمحور الشر، وطالب هو أيضا بأن تكون هى بداية الصراع، وبدأ فعلا بحرب أفغانستان ثم حرب العراق، وهما من دول الإسلام المستهدفة.

وعن مخططاتهم العدائية ما صرح به علنا الناتور توم تنكريدو العضو الجمهورى بالكونجرس الأمريكى حين قال: (سندمر مكة، وتساوى قبلة المسلمين ومسجدهم بالتراب، سنزيل أماكنهم المقدسة من على الخريطة).

لقد وضعوا خططهم منذ سنوات طويلة للقضاء على الدول الإسلامية

---

(١) الأهرام – الإثنين ٩ من يناير ٢٠٠٦

والسيطرة على مقدراتها الدينية والسياسية والاقتصادية والعسكرية ثم ينفذونها فى (الفرصة السانحة) .

ومما ترتكبه القوات الأمريكية من أفعال تدل على الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين ما نشرته الصحف عدة مرات وفى أوقات مختلفة نقلا عن منظمة العفو الدولية ومنظمات حقوق الإنسان عن الانتهاكات غير الإنسانية التى ترتكب ضد المعتقلين فى السجون التابعة لوكالة الاستخبارات الأمريكية .

تقول تقارير المنظمة : إن الجنود الأمريكيين فى معسكرات الاعتقال فى كل من أفغانستان والعراق وجوانتانامو وغيرها يهينون المصحف الشريف ويقفون عليه أو يمزقونه وأخيرا ما نشر عن أنهم يتقاذفونه بأرجلهم ويلعبون به كالكرة أمام المسجونين المسلمين، ويتعرض المسجونون المسلمون للضرب والإهانة والاغتصاب[١] .

وعندما اعترف مارشيللو بيرا رئيس مجلس الشيوخ الإيطالى بأن هناك صدام حضارات بين الغرب والإسلام، انبرى له روبرتو كالديرولى وزير الإصلاحات فى حكومته قائلا فى غضب : إنك تبالغ فى وصف الإسلام بالحضارة[٢] .

هذا ما تقوم به الدول الغربية وأمريكا ولن نتعرض لما تقوم به إسرائيل أو اليهود من حملات تشكيك، ولم يكن من هدفنا التعرض لذلك لولا خبر نشر اليوم حول كارت بريد يتداول فى إسرائيل يحمل صورة مؤذن يعتلى مئذنة مسجد قبة الصخرة، ويغنى بصورة ساخرة، وأسفل المنارة جموع من المسلمين يستمعون إليه، وربما يشاركونه فى الغناء والطرب .

وهذا التصرف ليس له من غرض إلا الإساءة إلى الإسلام والإستهزاء بالأذان[٣] وصدق الله العظيم : ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[٤] .

---

(١) الأهرام – الخميس ١٢/١/ ٢٠٠٦ .

(٢) راجع مقال الفتنة الدانمركية – حرب السخرية من الله ورسوله بالكاريكاتير – أمريكا بدأت اهانة النبى فهل نجرؤ على مقاطعتها – بقلم الأستاذ عادل حمودة – صحيفة الفجر – السنة الأولى – العدد ٣٦ – الاثنين ٦/٢/٢٠٠٦ .

(٣) صوت الأزهر – الجمعة ١٣ من ذى الحجة ١٤٢٦ هـ – الموافق ١٣ من يناير ٢٠٠٦ .

(٤) سورة البقرة – آية ١٢٠ .

الغرض من حملات التشكيك والتشويه ضد الإسلام :

تهدف الكنيسة من عمليات التشكيك والتشويه والتضليل إلى القضاء على الإسلام إن استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، أو على الأقل توهين العقيدة فى أنفس المسلمين، ومنع من يريد الدخول فى الإسلام من الإقدام على ذلك . وتنصير ضعاف النفوس . فهم يتصيدون الفقراء والدهماء . أما الدول الأوروبية وأمريكا فتهدف من وراء حملات تشويه الإسلام السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية على بلاد المسلمين .

يقول المستشرق البلغارى الدكتور يوردان بييف أستاذ التاريخ العربى بجامعة صوفيا البلغارية : إن أطماعا سياسية واقتصادية وراء محاولات الغرب المستمرة لتشويه صورة الإسلام .

وقال : إن المسلمين البلغار يعيشون حاليا فى أمن وسلام ويتمتعون بكامل حقوقهم (يقصد بعد سقوط الشيوعية) مؤكدا أن اضطهادهم فى أواخر الثمانينات وأوائل التسعينات لتغيير أسمائهم الإسلامية بالقوة قد ساهم فى إسقاط الشيوعية .

وأوضح فى حواره مع (اللواء الإسلامى) : أن الإسلام برىء من الإرهاب والتطرف والعنف وأنه دين سلام ويدعو إلى التعايش الإيجابى مع الآخر ويحث أتباعه على التعاون مع الجميع .

وردا على سؤال حول تفسيره للمحاولات المستمرة لتشويه صورة الإسلام فى المجتمعات الغربية قال : هذه المشكلة لها أبعادها السياسية والاقتصادية لأن البلدان الغربية والأوروبية لديها رغبة فى السيادة على تراث الشعوب العربية والإسلامية . والبلدان التابعة للعالم الإسلامى لأسباب سياسية واقتصادية، فهم يريدون السيطرة على اقتصاديات الشعوب لتحقيق مصالحهم ومطامعهم فى هذه المنطقة .

وهى جريمة ترتكبها الدول الأوروبية فى حق الشعوب الإسلامية. والغربيون يحاولون تغيير حياة المسلمين تحت شعارات الديمقراطية. وهى سياسات مكروهة ومرفوضة[١].

ونحن نرى أن عمليات التشويه يقصد بها القضاء على الإسلام أو على الأقل تشويهه فى نظر معتنقيه، لأنهم يرون أن الإسلام يجمع البلاد الإسلامية ويقوى شوكتها، وبالقضاء عليه يسهل لهم السيطرة عليها أقتصاديا وسياسيا كما ذكر الدكتور يوردان بييف.

والدليل على ذلك ذلك أن أغلبية جمعيات وجماعات التنصير وطلائعهم من المنصرين كانت تسبق الحملات الاستعمارية وتمهد لها.

هذا عن حملات التشكيك الخارجية فماذا عن الداخل؟

تبشير علنى جديد فى شوارع القاهرة:

نشرت جريدة الموجز تحقيقا صحفيا تحت عنوان (تبشير جديد على طريقة اعلانات السوبر ماركت. (منشورات الفتنة الطائفية فى إشارات المرور)[٢].

قالت الجريدة:

كان المشهد أغرب من الخيال!!

هدأت السيارة من سرعتها على طريق الأوتوستراد فإذا بكتيب أحمر صغير يلقيه شاب ويجرى مسرعا ليوزعه على بقية السيارات.

فى البداية ظننته أحد اعلانات محلات السوبر ماركت أو مكاتب الاتصالات التى تعتمد على هذا الأسلوب فى دعايتها، لكننى صدمت عندما

---

(١) جريدة (اللواء الإسلامى) العدد ١٢٥١ السنة ٢٤ الخميس ١٢ من ذى الحجة ١٤٢٦هـ الموافق ١٢ من يناير ٢٠٠٦م. حوار الأستاذ فاروق الدسوقى.

(٢) الموجز – العدد ٩٨ السنة ٣ الصادر فى الرابع من ذى الحجة ١٤٢٦هـ الموافق الرابع من يناير ٢٠٠٦م. بقلم الأستاذة ياسمين محمد.

اكتشفت أن الكتيب يحمل دراسة متعمقة حول قضية صلب المسيح ويهاجم العقيدة الإسلامية التى تختلف مع الرواية المسيحية فى هذا الشأن، والأغرب أننى وجدت الكتيب بلا أية بيانات عن جهة طبعه أو نشره أو توزيعه.. وكانت المفاجأة ما قرأته به.

هل صلب المسيح حقا؟ هذا السؤال تجده فى أول سطر فى أول جملة تقع عينك عليها بمجرد البدء فى تصفح الكتيب ثم تأتى المقدمة لتوضح أنه ليس الهدف من هذه الدراسة الموجودة داخل الكتيب والمشتملة على الأدلة والبراهين على عدم صلب المسيح اضرام نار الشحناء بين المسيحيين والمسلمين فى عالم موبوء بالبغضاء والتفرقة والتعصب والعنصرية.

وإنما الهدف - كما يقول الكتيب - هو معالجة قضية هى فى صلب الخلاف بين المسيحية والإسلام على ضوء المعطيات التاريخية والدينية والمنطقية بأسلوب يتسم بالجدية والموضوعية، وإن المراد من هذا كله هو خدمة الحقيقة من خلال مخاطبة العقل من ناحية وتوثيق أواصر اليقين فى قلوب المؤمنين من ناحية أخرى، فالصليب فى المسيحية هو قضية القضايا وعلى الإيمان بفداء المسيح المصلوب يتوقف مصير الإنسان فى أبديته المقبلة، هذا ما تنادى به المسيحية، وهذا ما يؤمن به المسيحيون.

ثم تتناول الجماعة وجه النظر الأخرى والمتعلقة بالمسلمين والإسلام الذى تصفه بأنه يتخذ موقف الرفض المطلق من الصليب ولا يرى فيه حاجة إلى خلاص الإنسان اعتمادا على أن التوبة ان اقترنت برحمة الله تكون كافية لتؤهل التائب إن كانت تلك هى مشيئة الله للدخول إلى جناته تعالى وفقا لما جاء به الوعد فى القرآن، ومن هنا يتضح الفارق فى هذين الموقفين كالفارق بين الشرق والغرب «على لسان الجماعة».

ويوضح الكتيب وجهة نظر المسيحى «المؤمن» الذى يرى فى الصليب وموت المسيح الكفارى الضمان الأكيد للحظوة بالحياة الأبدية، وذلك أن الله

متجسد محبته ورحمته وعدالته على الصليب.. واليقين هنا من وجهة «الجماعة» مصدره وعد الله، إذ قال المسيح «فكل من يؤمن بى فله حياة أبدية من غير استثناء، أى أن المؤمن المسيحى الأصل يدرك يقينا أنه إذا مات فله حياة أبدية ولا مجال فى هذا اليقين إلى عبارات «إن شاء الله»، أو أن ذلك يتوقف على رحمته تعالى، وذلك يعتبر الخلاص.

أما الخلاص فى الإسلام فهو سعى متواصل لعل المؤمن المسلم يحظى فيه برضى ربه فينعم بجنة الفردوس، وهذا السعى يتطلب جهدا قلما يحالف فيه التوفيق صاحبه، فالعمل ضرورى فى الإسلام للحصول على الثواب، بينما العمل فى المسيحية هو من ثمار الإيمان وليس للحصول على الثواب.

تعقب المسلمين :

ويدعو كتيب جماعة التبشير بعد استعراض وجهتى النظر المسيحية والإسلامية فى قضيتى صلب المسيح والخلاص أن يتحرر المسلمون من التعصب فى أثناء مطالعة هذا الكتيب وأن يضيعوا ما ورد فيه على محك الحقيقة فلا تجرفهم العاطفة إلى إساءة الظن فى مقولاته، كما أننا لا ندعوهم لموافقتنا إنما نأمل أن تولد هذه الدراسة شيئاً من التوثيق للبحث عن الحقيقة حتى لو كانت هذه الحقيقة مخالفة لما نشأنا عليه من تربية دينية، فلو لم يبذل المسلم كل جهد فى البحث عن الله لبقى كل حياته مشركا كبقية قومه وقبيلته، وهذا درس علينا أن نتلقنه جميعا إن كنا حتما مخلصين فى طلب الحق الإلهى.

ويستعرض الكتاب بعد ذلك الأسباب المنطقية التى يستند عليها المسلمون فى يقينهم الجازم بموت المسيح وهى آية واحدة واردة فى سورة [النساء: ٤ – ١٥٧].

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾.

وفى آية ١٥٨ يتابع: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ وبناء على هذه الآية اليتيمة التى تنكر موت المسيح والقابلة – كما يقول الكتيب – لتأويلات مختلفة يجزم المسلمون أن عملية الصلب لم تحدث وأن قصة موت المسيح وقيامته هى من اختراع المسيحيين الأوائل.

ملاحظات منطقية :

وبعد سرد هذه الأسباب يتعرض الكتيب لما أسماه ملاحظات منطقية، ويبدأها بسؤال موجه للقارىء ليترك له الحكم، فيسأله لو كنت أيها القارىء قاضيا وعرضت عليك قضية مماثلة لقضية موت المسيح على الصليب مدعومة بالوثائق التاريخية التى تكتظ بنصوص المحاكمة، والحوار الذى جرى بين المسيح وبيلاطى الحاكم الرمانى، وكذلك نصوص الحوار الذى دار بين أقوال شهود العيان وأسماؤهم مع أسماء الذين حضروا المحاكمة، وتفاصيل الأحداث التى وقعت قبل عملية الصلب وأثناءها وما أعقبها، ولكنها مؤيدة بالشواهد التى لا تدع محالا للشك، ثم جاء شخص ما بعد ما يزيد عن ستة قرون ممن لم يشهدوا حادثة الصلب، وبعبارة واحدة لا تسندها أية وثيقة تاريخية أو أثرية وادعى أن موت المسيح على الصليب لم يحدث وأن ما نقرأه فى الأناجيل عن هذه القصة من أوهام مسيحيى القرن فهل تقبل كقاض عادل هذا التشكيك؟!

إثبات بالوثائق :

والحقيقة الثانية أن النص الإنجيلى – مثبت بالوثائق التاريخية والحفريات، بينما لا نجد دليلاً تاريخياً أو أثريا يؤيد النص القرآنى ولا سيما بما يختص بصلب المسيح، وهكذا عندما يكون النص الكتابى مثبتا بالشواهد التاريخية والأثرية تكون الحقيقة فى صالحه، وليس فى صالح ما يفتقر إلى هذه الشواهد، وكذلك فإن المسيحى يؤمن بأن كتابه موحى به من الله، لهذا فكل نص فيه هو إلهى ولا سيما أن اقترن بحصيلة كبيرة من النبوءات السابقة التى تحققت بحرفيتها فى شخص المسيح.

أمام هذا الحشد من الأدلة يقع على المعترض مسئولية تفنيد هذه الوثائق بما هو أصح منها إن وجد لذلك سبيلا وهناك قضية هامة مر بها المفسرون المسلمون مرور الكرام، وهو قضية جسد المسيح، لقد زعم المسلمون أن الشبه قد وقع على وجه المسيح ولم يقع على جسده، إذ الوجه وجه عيسى أما جسده فليس بجسده، وقد جاء هذا القول في معرض تأويل الآية ١٥٧ من سورة النساء ولا سيما عبارة. ﴿ **وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا** ﴾.

فإن صح هذا القول على رغم ما فى هذا التأويل من ضعف يستنكره العقل فكيف أخفقت مريم أم المسيح فى اكتشاف الفارق بين جسد إبنها وجسد الشبيه.

ويتناول الفصل الثالث من الكتيب صلب المسيح وموته فى الإسلام عن طريق عرض الآيات القرآنية التى وصفت بأنها تعتمد تشويه المعانى تهربا من الاعتراف بصلب المسيح وموته وقيامته.

ولقد انقسم علماء المسلمين فى تفسير لفظه «متوفيك» إلى فريقين واستطاع «الرازى» أن يجمع مختلف الآراء فى سياق تأويله للآية إنى متوفيك. والواقع أن الرازى امتنع أن يقدم رأيا شخصيا فى الموضوع، ونزع إلى استعراض تحليلات الآخرين من غير أن يلتزم بموقف ما، ويعبر الموقف عن تهرب الرازى من التعبير عن رأيه، وذلك أسلم له فى مجتمع لا يجيز لأحد كبار علمائه أن يخرج على اجماع المسلمين فى قضية خطيرة مثل هذه. ومن هنا عمد كما يبدو إلى الجميع تاركا للقارىء المسلم حرية اختيار الرأى الذى ينسجم مع خلفيته الدينية.

ومن الآراء والوجوه التى عرضها الرازى فى تأويل لفظة متوفيك:

١ – متمم عمرك: أى أتوفاك فلا أترك أعداءك اليهود يقتلونك.

٢ – مميتك : وهو قول مروى عن ابن عباس ترجمان القرآن، ومحمد بن إسحاق فقالوا[١] : المقصود ألا يصل أعداؤه اليهود إلى قتله، ثم أنه بعد ذلك أكرمه بأن رفعه إلى السماء ،ثم اختلفوا على ثلاثة أوجه :

« أحدها » قال وهب : توفى ثلاث ساعات ثم رفع « وثانيها » قال محمد بن إسحاق توفى سبع ساعات ثم أحياه الله ورفعه « وثالثها » الربيع بن أنس قال : إنه تعالى توفاه حين رفعه إلى السماء قال الله : ﴿ **اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾ .

تفسير شلتوت :

أما الدكتور محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق فيقول : إن عبارة توفيتنى تحمل فى ذاتها معنى الموت العادى وليس هناك من سبيل لتأويل الموت بأنه سيقع بعد رجوع المسيح من السماء على فرض أنه الآن حى فى السماء، لأن الآية تحدد بكل وضوح علاقة عيسى بقومه فى زمانه وليس بعلاقته بأهل زمان رجوعه، فإن كل ما تعنيه الآيات التى تشير إلى هذا الموضوع هو أن الله قد وعد المسيح أنه سيتم له حياته وأنه سيرفعه إليه .

وفى خاتمة الكتيب توضح « الجماعة »[٢] أن هذه ليست سوى دراسة سريعة لتظهر حقيقة صلب المسيح والخلاص، وتوضح أن المسيحية دين لا يقوم بحفظ آيات الإنجيل، ولا بترتيلها بكرة وأصيلا، بل تقوم بالانتصار على عاداتنا وأهوائنا ويغيرها بما هو حسن ونافع .

ثم تقول : وبعد ذلك ننصح القارىء أن يتعمق فى قراءة هذا الكتاب ليستطيع أن يجيب على الأسئلة الموجودة بسهولة، وفى حالة الإجابة عليها تعلن « الجماعة » استعدادها لإرسال بعض كتبها الروحية جائزة على الاجتهاد والتعمق

---

(١) الصحيح « قالا » .

(٢) أى جماعة التنصير التى أعدت الكتيب الذى يشكك فى صحة النصوص القرآنية بشأن عيسى عليه السلام .

فى هذه الدراسة على شرط أن تكتب اسمك وعنوانك كاملين عند ارسال إجابتك إلينا داخل رسالة وليس على غلاف الكتيب؟!

ولم تضع الجهة المصدرة للكتاب أى عنوان أو إشارة لإرسال إجابات الأسئلة إليها ولكنه يبدو أن الإجابات سوف ترسل إلى المكان الذى يتم توزيع الكتيب فيه على طريق الأوتوستراد !!؟؟

١ – ومن أسئلة المسابقة: ما هو الخلاص فى المسيحية؟ وما هو الإخلاص فى الإسلام؟

٢ – على أى سمة يعتمد المسلمون فى إنكارهم لصلب المسيح؟

٣ – ما هو المصدر الإسلامى لفكرة الشبيه؟

٤ – ماذا قال الدكتور محمود شلتوت فى معنى توفيتنى؟

(انتهى باختصار موضوع الكتيب التنصيرى).

ولنترك موضوع النشرات والكتب التنصيرية التى توزع فى الشوارع لنرى ماذا يحدث داخل الكنائس.

تنصير الأفارقة فى مصر

نشرت جريدة الميدان فى عددها الصادر يوم الخميس الخامس من ذى الحجة ١٤٢٦ هـ – الموافق الخامس من يناير ٢٠٠٦م موضوعا خطيرا تحت عنوان (تنصير الأفارقة فى مصر) قالت الميدان:

٩ كنائس أبرزها كنسية القديس اندراوس والإنجيلية بالقاهرة وثالثة بالقنطرة شرق. والقادمون من السودان والصومال وأثيوبيا هدف هذه الكنائس. عبد الله ولد داد المسلم أصبح (مايكل) المسيحى. يقول مايكل طلقت الإسلام ظاهريا واعتنقت المسيحية مقابل فرصة عمل وغرفة نوم بشبرا الخيمة.

٧ مقاهى بوسط القاهرة أشهرها مقى أبناء السد العالى بالإسعاف نقطة ارتكاز واصطياد العناصر الجديدة لكنائس التبشير[١].

---

(١) والصحيح أن يقول كنائس التنصير.

كانت تلك عناوين الموضوع الخطير الذى نشرته جريدة (الميدان) .

والغريب أن يتزامن نشر موضوعين عن التبشير فى مدينة القاهرة فى يومين متتالين أحدهما فى جريدة (الميدان) والثانى فى جريدة الموجز.

قالت الميدان فى تحقيقها الصحفى[1] : -

٩ كنائس فى مصر وربما أكثر و ٧ مقاهى أصبحوا نقطة ارتكاز مهمة فى مسألة التبشير والدعوة إلى طلاق الديانة الإسلامية والزواج بالمسيحية! من بين هذه الكنائس هناك ثلاث تتوسط قلب القاهرة، منها اثنتان فى منطقة الاسعاف « كنيسة القديس أندراوس والكنيسة الإنجيلية، » وثالثة قريبة من منطقة دار السلام، أمّا عن الست كنائس الأخرى فهى منتشرة فى محافظات سوهاج وأسيوط والشرقية والإسماعيلية وتحديداً فى القنطرة شرق، التى يتمركز فيها الكثيرون الحاملون للدين المسيحى والقادمون من أقصى جنوب الصعيد .

ومن أشهر المقاهى التى تنشط فى هذا الجانب « « التبشير المسيحى » مقهى يقع بالقرب من دار القضاء العالى ويدعى « أبناء السد العالى »، وآخر يقع بالقرب من كاتدرائية العباسية، وثالث فى منطقة دار السلام .

فى مقهى أبناء السد العالى تحديدا يحدث الآتى سيناريو محكم يتم تنفيذه باتقان، تبدأ مشاهده الأولى بتجمعات من الأفارقة القادمين من بلاد الفقر والجوع، من السودان مثلا وأثيوبيا وأوغندا والصومال، تحت هدف التعارف والبحث معا عن إقامة شرعية فى مصر، ومصدر للعيش والرزق بعيداً عن مطاردات الأمن وجهات الاختصاص، مشهد آخر لمسيحيين اثنين أو ثلاثة على أقصى تقدير متواجدين عادة على هذا المقهى مهمتهم اصطياد هذه النوعية من الأفارقة التائهين خاصة غير المسيحيين منهم، والتقرب والتودد لهم بعض المساعدة والدعم ثم تتطور العلاقة خلال ساعات لتصل إلى صداقة لينتهى الأمر فى أحدى الكنائس الداعية للتبشير المسيحى مثل كنيسة أندراوس .

---

(١) كتبه الأستاذ عبد الرشيد مطاوع .

زرنا الأخيرة قبل أيام واصطدمنا بما يشبه الحائط السد داخلها الذى يمنع الحديث عن أى شيء، لكن بملاحظة دقيقة للداخل والخارج من الكنيسة خاصة زائريها من الأفارقة وضحت حقائق كثيرة، توقفت مع مايكل أحد الزائرين للكنيسة ٣٠ سنة سنغالى يتحدث العربية قليلا. قال إنه لم يمض على بقائه فى مصر سوى ستة أشهر نصفها كانت رحلة عذاب بحثا عن مصدر رزق للعيش وثقب للإيواء والسكن. تعرف على جورج مسيحى – مصرى كان اللقاء الأول أمام السور الخلفى للكاتدرائية بالعباسية، ثم لقاء آخر بمقهى العباسية عرض فيه جورج كل خدماته ومساعداته مقدما فرصة عمل « ساعى مكتب عند محام مسيحى » ومكان متواضع للإيواء والسكن بشبرا، شارطا عليه الالتقاء فى اليوم التالى بالكنيسة، ووافق مايكل الذى اعترف لنا أن اسمه الحقيقى عبد الله ولد داد. ومسلم لكن تسميته بمايكل حسب كلامه لنا كان فرضا، وزيارة الكنيسة واعتناق المسيحية كان مقابل غرفة سكن وعمل وحماية من مطاردات الأمن.

سألته: هل تدرك ما تقوله؟

ورد: المضطر.. وظاهريا أنا مسيحى لكن واقعيا لازلت مسلما وأقيم الصلاة سرا.

سألته: بعدما يصلون ماذا يحدث فى الكنيسة وكيف تدار حلقات التبشير؟

رد: بعد صلاة الأحد يتم جمع كل الأفارقة فى الكنيسة فى قاعة مغلقة ويقوم قس بشرح تعاليم الدين المسيحى وعقيدته وكيف يكون المسيحى وكيف يدافع عن حقوقه ووطنه.

وغير حالة مايكل أو (ولد داد محمد) هناك العشرات من الأفارقة التائهين فى مصر الذين سقطوا فى حضن هذه النوعية من الكنائس التى تسعى إلى غسل عقول وقلوب هؤلاء الأفارقة من ديانتهم القديمة، ودعوتهم إلى ديانة جديدة.

كذلك هناك موقع أبناء المسيح على شبكة الأنترنت. الموقع ضم عددا من الصفحات صفحة: تقدم معلومات مجهولة عن الجهات التى تقف خلف الموقع

من بينها: أن الموقع خاص لكل المسيحيين فى العالم، وإن ادارة بوش تبذل كل جهد لحمايتهم من أخطار ومخططات الجماعات الأصولية. وفى صفحة أخرى يشير الموقع إلى أن الهدف من التبشير زيادة عدد المسيحيين فى العالم. وغيرها من الرسائل المسمومة التى بثها الموقع فى محاولة لاشعال حرائق فتن جديدة فى نسيج الوطن فى مصر.

وتؤكد الجريدة أنه لا يوجد أى اضطهاد دينى للأقباط فى مصر، ولا فتن طائفية وكل ما يحدث مجرد وقائع فردية مصطنعة تسعى لتبرير واقع غير موجود بالمرة، ويرى كثير من قيادات الفكر المسيحى فى مصر أمثال الدكتور ميلاد حنا، سبقوا وأن أكدوا هذا فى أكثر من مرة، وقالوا أيضا: لا اضطهاد فى مصر ولا فتن طائفية **متهمين قيادات الكنيسة فى مصر أنهم السبب وراء إثارة الكثير من القضايا الأخيرة** لعجزهم عن احتواء الموقف قبل تصاعده.

الحقيقة الأخيرة.. أن جملة ما سبق ويضاف إليهم أن التبشير المسيحى فى مصر قائم وسرا ويمول من منظمات أجنبية.

مؤسسات صناعة الفتنة فى مصر:

تحت هذا العنوان كتبت (جريدة الموجز) التى تصدر فى القاهرة مقالا هاما حول عمليات نشر الشبهات والأباطيل والتضليل المتعمد ضد الإسلام من قبل بعض أعدائه، ممن أنشأوا عددا من القنوات الفضائية ومواقع على شبكة المعلومات (النت) ليس لها من غرض سوى تشويه الإسلام[١].

قالت الجريدة:

الهجوم على الإسلام ومصر هو موضة هذا العصر حتى لو لم يكن هناك ما يستدعى هذا الهجوم فإنه يتم استدعاء حوادث من الماضى وطرحها للنقاش على الساحة من جديد وإثارة الفتنة بين المسلمين والأقباط فى مصر.

---

(١) راجع (الموجز) العدد الثامن والتسعين – السنة الثالثة – الرابع من ذى الحجة ١٤٢٦ هـ الموافق الرابع من يناير ٢٠٠٦ – مقال الأستاذة سميرة الديب.

هذه الإثارة يساهم فيها أشخاص ومؤسسات وقنوات فضائية ومواقع الكترونية، هدفها الوحيد (هو تشويه الإسلام) واشعال الفتنة الطائفية .

وتقوم هذه المؤسسات ببث سمومها التى تسىء للإسلام وتشكك فى ثوابته وتسعى لتنصير المسلمين بإغرائهم بالمال والوعد بالحياة الرغدة فى الخارج، ويرددون الأكاذيب حول رموز الإسلام ومصر لاشعال نيران الفتنة الطائفية فى نسيج الوطن، وتأجيج الصراع بين المسلمين والأقباط، ولا يكفون عن طلب النجدة من البيت الأبيض لحماية الأقباط بزعم اضطهادهم فى مصر، وينشرون نماذج من رسائل اليكترونية موجهة للرئيس الأمريكى ليتدخل وينقذ أقباط مصر من التعذيب والتنكيل المزعوم.

على رأس هذه المؤسسات قناة الحياة الفضائية المشبوهة، والمتتبع لهذه القناة يجد أن هناك مذيعة تدعى أن أسمها ناهد محمود متولى وغيرته حاليا بـ« فيبى عبد المسيح »، وتظهر هذه المذيعة على شاشة الحياة فى برنامج يذاع لها أسبوعيا تكيل فيه الاتهامات للإسلام وتستهزئ بأسماء الله الحسنى، وتشكك فى آيات القرآن الكريم، وتردد أكاذيب عن اضطهاد الأقباط فى مصر، ويشاركها برنامجها الذى تسميه أسأل عن الإيمان قس مصرى يدعى زكريا بطرس، وهو قس مطرود من مصر، ولا تعترف به الكنسية المصرية، ومعروف عنه أنه وثيق الصلة بأمريكا وإسرائيل، وزياراته لهما لا تتوقف، ومؤخرا ظهر على قناة أمور الإسرائيلية فى برنامج خصص للهجوم على القرآن الكريم والتشكيك فى مدى صحته، وردد أكاذيب حول الصحابى الجليل عثمان بن عفان متهما إياه بالتلاعب فى القرآن .

ولم يقتصر نشاط هذه المدعية على قناة الحياة فقط بل تطل أيضا من خلال موقع يموله أقباط انجلترا والذى لا هم له سوى وصف آيات القرآن الكريم بأنها خرافة وينترعها من سياقها لينسب إليها أنها تحض على الإرهاب والقتل.

ويقوم مركز الكلمة لحقوق الإنسان[١] بالهجوم على الإسلام والترويج لكل

---

(١) وهو مركز تنصيرى يديره أحد النصارى المصريين.

ما يساعد على تنامى حدة الفتنة بين المسلمين والمسيحيين من خلال موقع المركز على الأنترنت والذى يعلن على صفحته الرئيسية أن الهدف ليس مهاجمة الإخوة المسلمين الأحباء، بل الهدف هو تحصين المؤمنين المسيحيين الموجودين فى العالم، فى الوقت الذى يحمل فيه الموقع كل ما يسىء للإسلام من معلومات مغلوطة.

وقد أكد الموقع أن فضائية قناة الحياة هى محطة تليفزيونية مسيحية لا طائفية، تعمل على زرع كلمة الله النقية وسط المجموعات الناطقة باللغة العربية فى كل من شمال أفريقيا والشرق الأوسط والجزيرة العربية وأوروبا[١].

ويشتمل الموقع على العديد من الموضوعات التى تسىء إلى سمعة الإسلام والرسول وتفريغ الآيات القرآنية من مضمونها ويستخدم الآيات بعكس معانيها ويؤكد أن الإسلام يدعو إلى الإرهاب والقتل لغير المسلمين.

وكذلك هناك العديد من المواقع الإلكترونية التى تبث سمومها الفكرية لرواد هذه المواقع وأهمها موقع أقباط المهجر[٢].

ويتناول هذا الموقع ردودا على بعض المقالات التى لا تلقى إعجابهم، ويتعمد على تمويل وتعاطف أقباط الخارج ومساندتهم له فى حملته الشعواء على المسلمين والحكومة المصرية.

هناك موقع آخر هو موقع الأقباط المتحدون وهو عبارة عن مجلة الكترونية على الأنترنت تنشر العديد من المقالات التى تحمل هجوماً شديداً على الإسلام وتدعى محاربته لغير المسلمين.

---

(١) أى التبشير والتنصير.

(٢) وهو موقع معادى يديره أحد النصارى المهاجرين.

وبعـــد :

فهـذا قليـل من كثيـر.. كثيـر من هذا الغثاء الذى تعج به السـاحـة الآن، وهـذا هـو الظاهر، وما خفى كان أعظم..

ونظرا لما يتعـرض له الإسـلام من حـمـلات مـغـرضـة، وهجـوم مكثف من أعدائه[1] فى كل مكان كان من المناسب اصدار كتاب الإمام القرافى (الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة) بعد تحقيقه، وهو من هو فى قوة رده على غير المسلمين فيما يثيرونه من شبهات وأحقاد وأباطيل وضلالات حول الإسلام ورسوله ﷺ.

ويكفى تدليلا على قوة المؤلف رحمه الله ودحضه لخصومه ما جاء على لسان الدكتور (هانس كونج) من أن القرافى رحمه الله رد على بولس الراهب فى شأن التثليث وأبطل حججه وأصبح رد القرافى سلاحا يستعمل ضد أمثال بولس الراهب.

والإمام القرافى رحمه الله ألف كتابين فى الرد على النصارى:

أولهما: أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية وفقنا الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه على تحقيقه ونشرته مكتبة النافذة بالقاهرة.

ثانيهما: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، وهو الكتاب الحالى.

والكتابان من أهم كتب مقارنة الأديان ودفع شبهات أعداء الإسلام.

---

(١) من التطورات الهامة فى موضوع الدفاع عن الإسلام ما نشرته جريدة الأهرام يوم ١٢/١/٢٠٠٦ عن موافقة لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب برئاسة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر السابق على إنشاء قناة تليفزيونية إسلامية للدفاع عن الإسلام ورموز من الهجمات الشرسة التى تطلقها بعض القنوات الفضائية على الإسلام ورموزه وتزوير التاريخ الإسلامى.

رحم الله الإمام القرافي وأعظم له أجره، جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين وندعوه سبحانه وتعالى أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يكتب لنا التوفيق والقبول في الدنيا والآخرة وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المحققان

ا.د. إحمد عبد الرحيم السايح **المستشار/ توفيق على وهبه**

* * *

التعريف بالإمام القرافى

الاسم: أحمد بن أدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجى المصرى المالكى المشهور بالقرافى، والصنهاجى نسبة إلى صنهاجة قبيلة بالمغرب.

وسبب شهرته بالقرافى أنه كان إذا حضر الدرس أقبل من جهة القرافة فنسب إليها من ذلك الوجه. والقرافة المقبرة.

المذهب: مالكى.

المولد: ٦٢٦ هـ بمصر.

الوفاة: ٦٨٤ هـ ودفن بمصر القديمة.

المنزلة العلمية: من الأئمة المجتهدين فى مذهب الإمام مالك، وانتهت إليه رئاسة الفقه فى المذهب، وبرع فى علم الأصول والعلوم العقلية. وكان على معرفة بعلم التفسير.

أبرز شيوخه: الحارث بن مسكين، ابن مبشر، ابن رشيق، ابن شاس، أبو عمرو بن الحاجب، ومحمد الأدريسى، العز بن عبد السلام، وغيرهم.

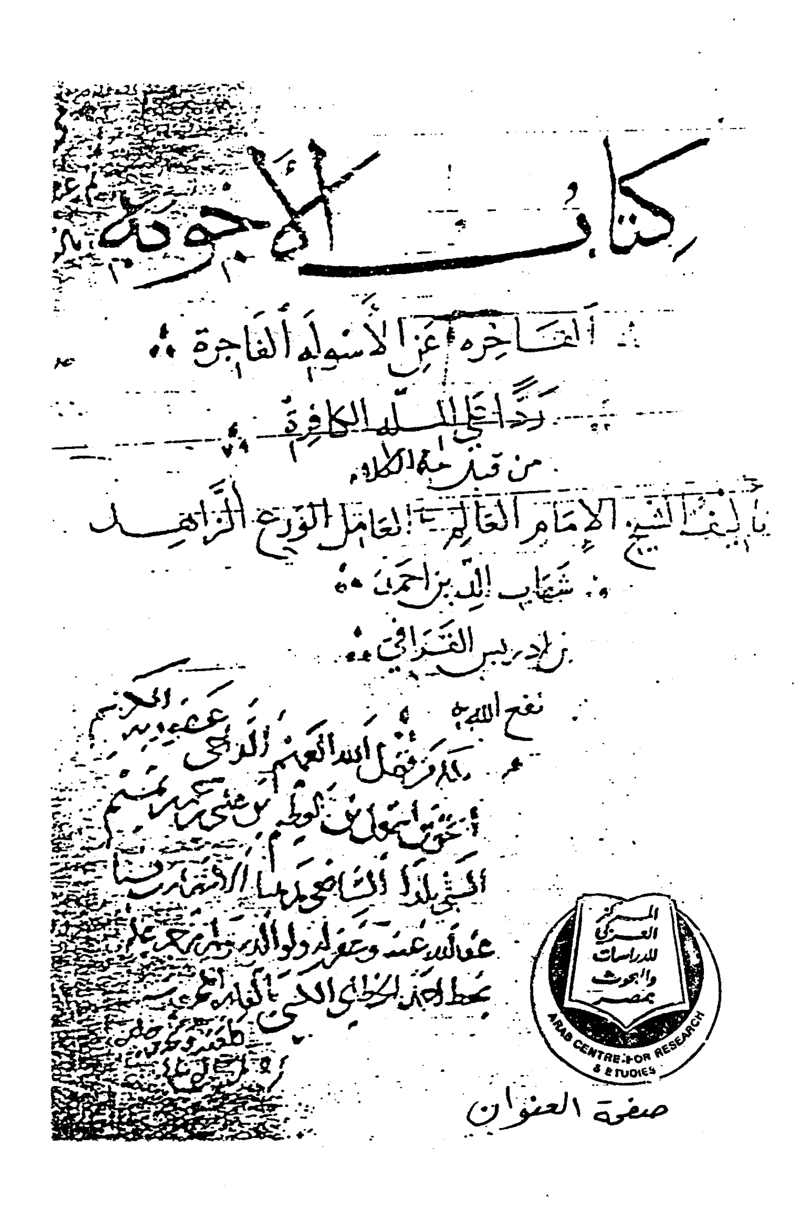
أبرز تلاميذه: محمد إبراهيم البقورى الأندلسى، أحمد بن عبد الرحمن الفاسى المعروف بالتادلى، وغيرهما.

أهم مصنفاته:

- الذخيرة.
- شرح التهذيب.
- القواعد والتلقيح فى أصول الفقه.
- الإحكام فى التمييز بين الفتاوى والأحكام.
- «نفائس الأصول» شرح كتاب المحصول فى أصول الفقه للرازى.
- العقد المنظوم فى الخصوص والعموم.

- الانتقاد فى الاعتقاد.
- الاستبصار فى مدركات الأبصار.
- مقدمة كتاب الذخيرة، نشر وزارة الأوقاف الكويتية.
- الأجوبة عن الأسئلة الواردة على خطب ابن نباتة.
- الاحتمالات المرجوحة.
- الاستغناء فى أحكام الاستثناء.
- الأمنية فى إدراك النية.
- البارز للكفاح فى الميدان.
- البيان فى تعليق الإيمان.
- التعليقات على المنتخب.
- الخصائص فى قواعد اللغة العربية.
- شرح الأربعين فى أصول الدين للرازى.
- شرح الجلاب.
- شرح تنقيح الفصول.
- اليواقيت فى أحكام المواقيت.
- أنوار البروق فى أنواع الفروق فى القواعد الفقيهة (الفروق).
- مختصر تنقيح الفصول فى الأصول.
- المنجيات والموبقات في الأدعية وما تجوز منها وما يكره وما يحرم.
- الاستبصار فيما يدرك بالأبصار.
- أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية، وقد وفقنا الله إلى تحقيقه وصدر عن مكتبة النافذة بالقاهرة.
- الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، وهو موضوع كتابنا الحالى.

النص المحقق


كتاب الأجوبة
الفاخرة عن الأسولة الفاجرة
ردا على الملة الكافرة
تأليف الشيخ الإمام العالم العامل الورع الزاهد
شهاب الدين أحمد
بن إدريس القرافي
نفع الله به

صفحة العنوان

عنوان المخطوط



الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأولى من المخطوط

الباب الثاني في أسولة لاهل الكتاب النصارى
واليهود عادتهم يولعون بايراد ما غير اسولة الرسالة المذكورة ويحولون
عنها ليكون الواقف على هذا الكتاب قد احاط بجميع ما يسال عنه اهل
الكتاب واجوبته بالحقيقة اليقينية الباب الثالث
في معارضة اسولتهم بما فيه سوال او رد على الفريقين يتعذر
عليهم الجواب عنها ان شا الله الباب الرابع
ابين ما في كتبهم مما يدل على صحة ديننا واثبات نبوة نبينا صلى الله عليه
وسلم ليكون مستندا لاهل الباطل نصحا وخصما باسند لاهل الشيع على ما ستقف
عليه ان شا الله تعالى فتكمل الاجوبة بالمعارضة للاسولة والنصوص
المستخرجة من كتبهم وتميت الكتاب بالاجوبة الفاخرة عن الاسولة
الفاجرة مستعينا بالله تعالى في الامر كله وهو حسبي ونعم الوكيل
الباب الاول في الجواب عن الرسالة على وجه الاختصار
دون الاكثار في الاستظهار فان النصارى امة عميا وطايفة جهلا تر غلب
عليهم التقليد وتجنبوا محجة النظر السديد حتى لا يبحثون عن صحة ما
يلقيه اليهم اساقفتهم ولا يتاملون ما يعتمدونه في دينهم لاكابرهم وطغاتهم
ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده وانا منك
من قوم يعتقدون ان الههم خلق امه وان امه ولدت خالقها ومن حكى

الصفحة الثانية من المخطوط

الصفحة الثانية

تعين ولنقتصر على هذه الخمسين بشارة خشية الاطالة وفي واحدة منها الكفاية
ان انصف وقصد الحق فكيف بخمسين فان قالوا كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي
غير صحيحة عندكم قلنا نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ثابتة بالمعجزات غنية
عن هذه الكتب وانما نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم
الزاما لاهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها وهي مثل جميع كتبهم في
الصحة فان كانت تحسن الاستدلال بها تم مقصودنا وان كانت لا تحسن الا
بما بطل جميع ما بيد اهل الكتاب لانه حجته مثلها ولزم ان ينسخ اهل الكتاب
ان يعتقدوا صحة هذه الكتب وهذه النبوات ولا يتعلقوا بما فيها من الدلالة
على محمد صلى الله عليه وسلم ومن مواضع تصل حد القطع من كثرتها وانما
عميت منهم البصائر وخبثت السرائر فلا يجد الحق من قلوبهم محلا ولا اتباع
الذكر الا قليلا والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله الذي جعلنا مخصوصين
بدينه القويم وصراطه المستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل

تم الكتاب ولله الحمد والمنة والثناء الحسن
الجميل وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه
وسلم ووافق الفراغ منه خليل
بن علي عفا الله عنه في صفر
سنة سبع وثمانين
[illegible]

الصفحة الأخيرة

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله العظيم من غير عدد، من غير مدد، الكبير من غير جسد، المنزه عن الصاحبة والولد، المتعالى فى ذاته وصفاته عما يقوله من عاند وجحد، الواحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يسعد قائلها إلى الأبد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بالتفضيل على جميع الملائكة والبشر انفرد، صلى عليه وعلى آله وصحبه الذين أعز الله بهم التوحيد وشيد، ووفقهم لنفائس العلوم الربانية وأيد، شهادة أنجو بها فى الدارين وأسعد.

أما بعد . . .

فإن بعض النصارى قد أنشأ رسالة على لسان النصارى مشيراً أن غيره هو القائل، وأنه هو السائل، فوجدته قد التبس عليه المنقول، وأظلمت لديه قضايا العقول، فإن كتابنا العزيز وكتبهم دالة على صحة مذهبنا وإبطال مذهبهم، وأنا أبين ذلك إن شاء الله تعالى فى أربعة أبواب:

الباب الأول فى بيان ما التبس عليه من القرآن الكريم متتبعاً فيه رسالته حرفاً حرفاً إلى آخرها.

الباب الثانى فى أسئلة لأهل الكتاب النصارى واليهود، عادتهم يتولعون بإيرادها غير أسئلة الرسالة المذكورة، والجواب عنها ليكون الواقف على هذا الكتاب قد أحاط بجميع ما يسأل عنه أهل الكتاب وأجوبته الحقيقية اليقينية.

الباب الثالث فى معارضة اسئلتهم بمائة سؤال أوردتها على الفريقين يتعذر عليهم الجواب عنها.

الباب الرابع فى إبداء ما فى كتبهم مما يدل على صحة ديننا، وإثبات نبوة نبينا عليه السلام، ليكون استدلالهم الباطل معارضاً باستدلالنا الصحيح على ما تقف عليه إن شاء الله تعالى، فتكمل الأجوبة بالمعارضة بالأسئلة والنصوص المستخرجة من كتبهم وسميت الكتاب: بالأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة. مستعينا بالله تعالى فى الأمر كله، وهو حسبى ونعم الوكيل.

* * *

الباب الأول

[الرد على شبهاتهم]

فى الجواب عن الرسالة على وجه الاختصار، دون الإكثار فى الانتصار، فإن النصارى أمة عمياء[1] وطائفة جهلاء، قد غلب عليهم التقليد، وتجنبوا محجة النظر السديد حتى لا يبحثوا عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم، ولا يتأملون ما يعتمده فى دينهم أكابرهم وطغاتهم، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده.

وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمة[2]، وأن أمه قد ولدت خالقها، من تلك الغفلات ما قد حكى المسيحى فى تاريخه وغيره، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه فى دينهم عشر مرات بالقسطنطينية، والاسكندرية، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مدة، وكفروا من يعتقده، وأثبتوا غيره، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم، لا لرسالات ربهم.

ومنها أنهم فى بلاد الروم بأسرها كبرشلونة، وبركونة، ومرسيلية وفرنسة، وسائر مدن الفرنج لهم ثلاثة أيام فى السنة معلومة يقول فيها الأساقفة للعامة: سرقت اليهود دينكم، واليهود ساكنون معهم فى البلاد، فتنطلق العامة وأهل البلد بجملتهم يطلبون اليهود، فمن وجدوه قتلوه، وأى دار قدروا عليها نهبوها،

---

(١) فى نسخة أخرى أمية.

(٢) لأن الأب أوكل للابن مهمة الخلق فى اعقتادهم فيكون عيسى هو الذى خلق مريم عليها السلام ثم ولدته حينما جاء وقت ميلاده. فكيف يستقيم هذا الاعتقاد، إله يخلق أمه، ثم تلده هى بعد ذلك؟!!.

واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن، وتستعد لها، فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير الى ظاهر المدينة، فدخل إلى سرداب هناك فقعد ساعة، ثم خرج بحُق عظيم محاط بالحلى والطيب، يزعم أن الدين فيه، ويقول لهم: قد وجدت دينكم فيتركون اليهود، ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها عاد الحال بحاله.

وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبداً.

ومما أطبق عليه النصارى فى أحكامهم فى كرسى مملكتهم بعكا، أن أحدهم إذا ادعى على آخر قتلاً حلقوا رأس الإثنين، ودفعوا لكل واحد منهما باسليقياً، وقرناً محدد الطرف وخرجا مع نائب ولي الأمر إلى باب تورا، يجتهد كل واحد منهما أن يضرب صاحبه بالباسليق فى قرعته، فمن ظفر بصاحبه فصرعه برك على صدره وغرس ذلك القرن فى عينه، ثم يأخذهما ولى الأمر، ويعتقدون أن المغلوب أبداً هو المبطل الظالم، وأن الغالب هو الصادق.

فيأخذ الراهب ذلك المغلوب ويقرره بذنوبه، ويقول له: أى شىء أقررت به من ذنوبك غفر لك وأى شىء أخفيته عاقبك السيد المسيح عليه، فيجتهد ذلك الرجل بقلة عقله أن يبدى له جميع عوراته وزلاته، ثم يؤمر به ويقتل.

فانظر هذه الأحكام هل تتصور أن تجرى بين قوم لهم من العقل شىء، ويستمر ذلك مع الأيام ولا يخطر ببالهم أن المظلوم قد تضعف قوته عند ملاقاة الظالم، فتجتمع عليه ظلامات وغبائن، ثم إن هذه الأحكام لا يجدونها فى الإنجيل، ولا فى التوراة، بل هم على قاعدتهم فى اختراع دينهم برأيهم كما حكاه المسيحى وغيره من المؤرخين.

ومما أطبق عليه النصارى أن الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه حرَّم عليه (ومعنى حرم عليه) **أن الرب** تعالى غضب عليه، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته وموالفته، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه.

ويخطر لهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة، وتموت دوابه، ويهلك رزقه، وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم.

ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا فى الأرض يتصرفون فى العباد تصرف رب الأرباب، وأن بيدهم السعادة والشقاء، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه، طول عمره يأكل الرشا فى الأحكام، ويتغذى بالحرام، وهو فى الجهالة أشد من الأنعام، لا يفرق بين كوعه وبوعه، ولا بين هره وبره، ألكن اللسان، وأغلف القلب، سىء السمع، مشكل الرأس، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل، ناءٍ عن رياضات العلوم.

فهم وأتباعهم لا يزالون فى هذه الغفلة، مستمرين على هذه النوبة، حتى يأتى أحدهم الموت، فيستيقظ فيجد نفسه لا مع بنى آدم فى اتباع الحق، ولا مع البهائم فى الراحة من التكليف، فيعض كفيه ندماً، وتذوب نفسه أسفاً، نسأل الله العفو والعافية، فى الدنيا والآخرة.

ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة، بتخييلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها فى الكنائس والمزارات.

فمن ذلك أن وضعوا صوراً من الحجارة إذا قرىء عليها الإنجيل تبكى وتجرى دموعها يشاهدها الخاص والعام، فيعتقدون أن ذلك لما علمته من أمر الإنجيل.

ويكون لها مجارى رقاق فى أجوافها من ورائها متصلة بزق مملوءٍ من الماء يعصره بعض الشمامسة، فيفر الماء فى المجارى، ويتصل بعيون الأصنام، وكذلك يصنعون أصناماً يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل، وذلك بصقلية وغيرها.

ومن ذلك الأصنام من حديد، وقناديل وصلبان عظام معلقة بين السماء والأرض لا يمس شىء منها، ولا يمسها شىء ويقولون: إن ذلك سبب بركة ذلك المكان، وأنه برهان على عظمة الدين فإن ذلك لم يوجد لغيرهم من الملل، ويكون سبب ذلك حجارة من مغناطيس عملت فى ست جهات فوق الصنم، وتحته

ويمينه ويساره، وخلفه وأمامه، فيجذبه كل حجر إلى جهته، وليس البعض أولى من البعض، فيقع التمانع، فيقف الحديد فى الوسط.

ولذلك لما دخل إليه بعض رسل المسلمين أمر بهدم ما حوله من البناء فسقط، وذلك بقسطنطينية كرسى مملكتهم ومجتمع عظمائهم وعقلائهم، وهذا حالهم.

ومن ذلك النور الذى ينزل بالقمامة فى البيت المقدس على قنديل معلق هناك، فيشرق من غير اتصال نار به فى رأى العين، فيوهمون العامة أن الأنوار تنزل على ذلك الموضع من قبل الله تعالى، لأنه موضع قبر المسيح عندهم الذى دفن فيه وصعد منه، وهو شيء مشاهد بالحس وأصله أن النفط إذا دبر على كيفية مخصوصة ومسح به شريط رقيق فى غاية الرقة من الحديد، ومد ذلك الشريط وعمل فى آخره فتيلة، فإن النار إذا مس بها أول ذلك الشريط فإنها تجرى مع ذلك الشريط بسبب النفط الملاصق له إلى أن ينتهى إلى آخره، فتشتعل فى ذلك الجسم الذى للفتيلة من القطن، أو غيره.

ولذلك يراهن النفطيون على أنهم يقعدون فى صدر بيت ويشعلون سراجاً فى طاق فى الجهة الأخرى من غير مباشرة فإذا راهنه أحد مد شريطاً مع طول الحائط بدائر البيت متصلاً بذلك السراج، ويمسه بالنار فتسرى النار إلى السراج، ولا يشعر الناس الجالسون من أين اتقد السراج.

وكذلك النصارى اتخذوا شريطاً رقيقاً لهذا القنديل يشعلونه من أعلى القبة التى فى المكان، فيشتعل القنديل من غير نار مشاهدة، وقد اطلع على ذلك جماعة منهم الملك المعظم أخو الملك الكامل، وأراد المنع منه، فقالوا له: إنك يحصل لك بهذا جملة من المال، فإن بطلت بطلت، فتركهم على حالهم.

وكذلك الأمراء المتولون لتلك الجهة يطلعون على ذلك ويخبرون به، وهذه

الكيفية مذكورة فى كتب النفط والرماية رأيتها أنا مع معزيات صناعات هذا الشأن.

(ومن ذلك) أن لهم كنيسة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل بها يوماً معلوماً من السنة يصافحه الناس، فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد وأمسكها مسكاً شديداً، وقال: والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها.

فقال له الأساقفة: أما تخشى الرب أخرجت من دين النصرانية فأبى أن يتركتها بكثرة تهويلهم حتى يرى صاحب اليد، فلما أعياهم أمره، أخبروه أنها يد الراهب منهم فقتله ومنعهم من العود لذلك، فلم يعودوا.

وبالجملة: الإسهاب فى هذا الباب يضيع الزمان لكثرته، وإنما أردت التنبيه على أنهم يمشون على ما هم عليه من الضلال بنوع من الشعبذة، وأصناف من الخيال لما عدموا الحق الذى يصدع القلوب وتقبله العقول.

وأنا أنبهك على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم، ولا العقل المستقيم، بل وجدوا آباءهم على الضلال، فهم على آثارهم يُهرعون، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى، فلذلك لم نهبط العزيمة إلى بسط القول فى الحديث معهم، فإن مخاطبة البهايم من السفه، بل اقتصرت على بيان غلط القائل بهذه الرسالة ومعارضتها بالأسئلة والنصوص من كتبهم، لعل الله تعالى يجعل ذلك تنبيهاً لبعض الغافلين، فيستيقظ لرؤية هذه المساوى القبيحة.

وأما سلوك طريق الانظار العقلية، وبيان المدارك القطعية، فليس القوم أهلاً لذلك، ولقد اجتمع بى بعض أعيانهم المبرز فى حلبة سباقهم ليتحدث فى أمر دين النصرانية، فقلت بحضرة جماعة من العدول أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينه، بل أطالبهم كلهم بأن يصوروا دينهم تصويراً يقبله العقل، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته،

فحاول هو فى نفسه تصوير دينهم فعجز عنه، فلما عجز عنه قال: ما كلفنا بالتصوير، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد، فلا نلتزم ما لا يلزمنا، وما ليس من ديننا. فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد، وعدم النظر فيما يصح ويفسد.

فقلت له: الاعتقاد لابد فيه من أن يثبت شيئاً لشيء، أو ينفيه عنه، فهو مركب من تصويرين تصور المحكوم عليه، وتصور المحكوم به وأنتم على ما قلت مكلفون بالاعتقاد، ومن كلف بمركب كلف بمفرداته، فمتى كلفت بالاعتقاد كلفت التصوير فأنتم حينئذ مكلفون بالتصوير، فصور لى دينك فانقطع، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه، ولزمه السؤال من قوله.

فقال: أمهلنى ثلاثة أيام حتى اجتمع بابن العسال، وهو كان مشهوراً عندهم بالفضيلة على زعمهم، فلم أره بعد ذلك فانظر إلى قوم عاجزين عن تصوير دينهم فضلاً على إقامة الدليل عليه، فكيف يليق بالعاقل أن يؤهلهم للحديث معه، فلذلك سلكت مسلك الاقتصاد فى بيان هذه الكلمات:

* * *

[الشبهات التى أوردها النصرانى]

١- [الشبهة الأولى]

أنه قال : إن محمداً ﷺ لم يُبعث إلينا، فلا يجب علينا اتباعه، وإنما قلنا : إنه لم يرسل إلينا لقوله تعالى فى الكتاب العزيز: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ (١).

ولقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (٢). ولقوله تعالي : ﴿ بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ ﴾ (٣) ولقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (٤) ولقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (٥) ولا يلزمنا إلا من جاءَنا بلساننا، وأتانا بالتوراة والإنجيل بلغاتنا :

فالجواب [على هذه الشبهة] من وجوه :

أحدها أن الحكمة فى أن الله تعالى إنما يبعث رسله بألسنة قومهم، ليكون ذلك أبلغ فى الفهم عنه ومنه، وهو أيضاً يكون أقرب لفهمه عنهم جميع مقاصدهم فى الموافقة والمخالفة وإزاحة الأعذار، والعلل والأجوبة عن الشبهات المعارضة، وإيضاح البراهين القاطعة.

فإن مقصود الرسالة فى أول وهلة إنما هو البيان والإرشاد، وهو مع اتحاد اللغة أقرب وإن أمر جماعة من الرسل عليهم السلام بعد اليأس من النفع بالبيان، فإذا تقررت نبوة النبى فى قومه قامت الحجة على غيره، فإن أقارب الإنسان ومخالطيه المطلعين على حاله والعارفين بوجوه الطعن عليه أكثر من غيرهم إذا سلموا ووافقوا، فغيرهم أولى أن يسلم ويوافق.

فهذه هي الحكمة فى إرسال الرسول بلسان قومه، ومن قومه لا أن المقصود لا يتعدى برسالته لغير قومه.

وفرق : بين قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ (٦)

---

(١) سورة يوسف آية ٢ .
(٢) سورة إبراهيم آية ٤ .
(٣) سورة الجمعة آية ٢ .
(٤) سورة القصص آية ٤٦ .
(٥) سورة الشعراء آية ٢١٤ .
(٦) سورة إبراهيم آية ٤ .

وبين قوله، وما أرسلنا من رسول إلا لقومه فالقول الثانى هو المفيد لاختصاص الرسالة بهم لا الأول، بل لا فرق بين قوله، وما أرسلنا من رسول إلا لقومه، وبين قوله: وما أرسلنا من رسول إلا مكلفاً بهداية قومه، فكما أن الثانى لا إشعار له بأنه لم يكلف بهداية غيرهم، فكذلك الأول، فمن لم يكن له معرفة بدلالة الألفاظ، ومواقع المخاطبات سوَّى بين المختلفات، وفرق بين المؤتلفات.

وثانيها: أن التوراة نزلت باللسان العبرانى والإنجيل بالرومى، فلو صح ما قاله لكانت النصارى كلهم مخطئين فى اتباع أحكام التوراة، فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا كما يعلم الروم اللسان العربى بطريق التعليم، وأن تكون القبط كلهم والحبشة مخطئون فى اتباعهم التوراة، والإنجيل، لأن الفريقين غير العبراني والرومى، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط، وترجما كما ترجما بالعربى لم يفهم قبطى، ولا حبشى، ولا رومى شيئاً من التوراة، ولا قبطى ولا حبشى شيئاً من الإنجيل إلا أن يتعلموا ذلك اللسان، كما يتعلمون العربى.

وثالثها: أنه إذا سلم أنه عليه السلام رسول لقومه، ورسول الله تعالى خاصة خلقه وخيرة عباده معصومون عن الزلل، مبرؤن من الخطل، وهو عليه السلام قد قاتل اليهود، وبعث إلى الروم ينذرهم وكتابه عليه السلام محفوظ عندهم إلى اليوم فى بلاد الروم عند ملكهم يفتخرون به.

وكتب إلى المقوقس بمصر لإنذار القبط ولكسرى بفارس، وهو الصادق البر كما سلم أنه رسول لقومه، فيكون رسولاً للجميع، ولأن فى جملة ما نزل عليه ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ (١) فصرح بالتفهيم، واندفعت شبهة من يدعى التخصيص.

فإن كانت النصارى لا يعتقدون أصل الرسالة، لا لقومه، ولا لغيره، فيقولون: أوضحوا لنا صدق دعواكم، ولا يقولون كتابكم يقتضى تخصص الرسالة، وإن كانوا يعتقدون أصل الرسالة لكنها مخصوصة لزمهم التعميم لما تقدم، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ (٢) لا يقتضى أنه لم يبعثه لغيرهم، فإن الملك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولاً من أهلها لا

(١) سورة سبأ آية ٢٨.

(٢) سورة الجمعة آية ٢.

يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنه لا يأمر قوماً آخرين بغير تلك الرسالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ** ﴾[1] ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لما كان الذى يتلقى الوحى أوَّلاً هم العرب كان التنبيه عليه بالمنة عليهم بالهداية أولى من غيرهم.

وإذا قال السيد لعبده: بعثتك لتشترى ثوباً لا ينافى أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه، ويسكت عن الطعام، لأن المقصد الآن لا يتعلق به، وما زالت العقلاء فى مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه، ويسكتون عما لم يتعين سببه، وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقين واقعين، فكذلك الرسالة عامة.

ولما كان المقصود إظهار المنة على العرب خصوا بالذكر، ولما كان أيضاً المقصود تنبيه بنى إسرائيل، وإرشادهم خصوا بالذكر، وخصصت كل فرقة من اليهود والنصارى بالذكر، ولم يذكر معها غيرها فى القرآن فى تلك الآيات المتعلقة بهم.

وهذا هو شأن الخطاب أبداً، فلا يغتر جاهل بأن ذكر زيد بالحكم يقتضى نفيه عن عمر، وكذلك قوله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾[2] ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم، كما أنه إذا قال القائل لغيره: أدب ولدك لا يدل على أنه أراد أنه لا يؤدب غلامه، بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم فى هذا المقام تأديب الولد، لأن المقصود مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له: وغلامك أيضاً أدبه، وإنما بدأت بالولد لاهتمامى به.

ولا يقول عاقل: إن كلامه الثانى مناقض للأول، وكذلك قرابته عليه السلام هم أولى الناس ببره عليه السلام وإحسانه، وإنقاذهم من الهلكات، فخصهم بالذكر كذلك، لأن غيرهم غير مراد كما ذكرنا فى صورة الولد والعبد.

---

(١) سورة يس آية ٦.

(٢) سورة الشعراء آية ٢.

وبالجملة فهذه الألفاظ لغتنا، ونحن أعلم بها وإذا كان عليه السلام هو المتكلم بها ولم يفهم تخصيص الرسالة، ولا إرادته، بل أنذر الروم والفرس وسائر الأمم والعرب لم تفهم ذلك وأعداؤه من أهل زمانه لم يدعوا ذلك، ولا فهموه، ولو فهموه لأقاموا به الحجة عليهم.

ونحن أيضاً لم نفهم ذلك فما فهمه إلا هذا النصرانى الذى ساء سمعاً فساء إجابة.

فمن أراد الهدى فطريقه واضحة فليأخذ سبب النجاة قبل الموت، ويستدرك السعادة قبل الفوت، فما بعد الدنيا دار إلا الجنة، أو النار، وليس عند العاقل أهم من سعادة نفسه، فليحصلها قبل حلول رسمه، والله تعالى هو المعين على الخير كله.

٢- [الشبهة الثانية]

أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بتعظيم عيسى عليه السلام، وبتعظيم أمه مريم رضى الله عنها، وهذا هو رأينا واعتقادنا فيهما، فالدينان واحد، فلا ينكر المسلمون علينا.

والجواب من وجوه:

أحدها: تعظيمها لا نزاع فيه، ولم يكفروا النصارى بالتعظيم، إنما كفروا بنسبة أمور أخرى إليهما لا يليق بجلال الربوبية، ولا بدناءة البشرية من الأبوة والبنوة والحلول، والإلحاد، واتخاذ الصاحبة والأولاد تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً.

فهذه مغالطة فى قوله موافق لاعتقادنا، ليس هذا هو الاعتقاد المتنازع فيه، نعم لو ورد القرآن الكريم بهذه الأمور الفاسدة المتقدم ذكرها وحاشاه كان موافقاً لاعتقادهم، فأين أحد البابين من الاخر.

وثانيها: أنه إذا اعترف بأن القرآن الكريم ورد بما يعتقد أنه حق، فهذا دليل على أن القرآن الكريم حق، فإن الباطل لا يؤكد الحق، بل المؤكد للحق حق جزماً،

فيكون القرآن الكريم حقاً قطعاً، وهذا هو سبب إسلام كثير من أحبار اليهود ورهبان النصارى، وهو أنهم اختبروا ما جاء به عليه السلام، فوجدوه موافقاً لما كانوا يعتقدونه من الحق، فجزموا بأنه حق وأسلموا واتبعوه، وما زال العقلاء على ذلك يعتبرون كلام المتكلم، فإن وجدوه على وفق ما يعتقدونه من الحق اتبعوه، وإلا رفضوه.

وثالثها: أن هذا برهان قاطع على رجحان الإسلام على سائر الملل والأديان، فإنه مشتمل على تعظيم جملة الرسل وجميع الكتب المنزلة، فالمسلم على أمان من جميع الأنبياء عليهم السلام على كل تقدير، أما النصرانى فليس على أمان من تكذيب محمد ﷺ، فتعين رجحان الإسلام على غيره.

ولو سلمنا تحرير صحة ما يقوله النصرانى من النبوة وغيرها بكون المسلم قد اعترف لعيسى عليه السلام، ولامه رضى الله عنها بالفضل العظيم والشرف المنيف، وجهل بعض أحوالهما على تقدير تسليم صحة ما ادعاه النصارى والجهل ببعض فضائل من وجب تعظيمه لا يوجب خطراً.

أما النصرانى، فهو منكر لأصل تعظيم النبى محمد ﷺ، بل ينسبه للكذب والرذائل والجراءة على سفك الدماء بغير إذن من الله، ولا خفاء فى أن هذا خطر عظيم، وكفر كبير من هذا القطع بنجاة المسلم قطعاً، ويتعين غيره للغرر والخطر قطعاً، فليبادر كل عاقل حينئذ للإسلام، فيدخل الجنة بسلام.

٣- [الشبهة الثالثة]

أنه قال: إن القرآن الكريم ورد بأن عيسى عليه السلام روح الله تعالى وكلمته، وهو اعتقادنا.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن من المحال أن يكون المراد الروح والكلمة على ما تدعيه النصارى، وكيف يليق بأدنى العقلاء أن يصف عيسى عليه السلام بصفة، وينادى بها على رؤوس الأشهاد، ويطبق بها الآفاق، ثم يكفر من اعتقد تلك

الصفة فى عيسى عليه السلام، ويأمر بقتالهم وقتلهم وسفك دمائهم وسبى ذراريهم، وسلب أموالهم، بل هو بالكفر أولى لأنه يعتقد ذلك مضافاً إلى تكفير غيره، والسعى فى وجوه ضرره.

وقد اتفقت الملل كلها مؤمنها وكافرها على أنه عليه السلام من أكمل الناس فى الصفات البشرية خلقاً وخُلقاً وعقلاً ورأياً، فإنها أمور محسوسة، إنما النزاع فى الرسالة الربانية، فكيف يليق به عليه السلام أن يأتى بكلام هذا معناه، ثم يقاتل معتقده ويكفره، وكذلك أصحابه رضى الله عنهم والفضلاء من الخلفاء من بعده، وهذا برهان قاطع على أن المراد على غير ما فهمه هذا القائل وغير ما تعتقده النصارى.

وثانيها: أن الروح اسم الريح الذى بين الخافقين يقال لها: ريح وروح لغتان، وكذلك فى الجمع رياح وأرواح، واسم لجبريل عليه السلام وهو المسمى بروح القدس، والروح اسم للنفس المقومة للجسم الحيوانى، والكلمة اسم للفظة المفيدة من الأصوات، واسم للخبر من الكلام النفسانى، ولذلك يقال:

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

والعالم مطبق على أن نفس الإنسان تحدثه بالخير والشر، وتطلق الكلمة على الحروف الدالة على اللفظة من الأصوات، ولهذا يقال: هذه الكلمة خط حسن ومكتوبة بالحبر، وإذا كانت الروح والكلمة لهما معان عديدة فعلى أيهما يحمل هذا اللفظ؟ وحمل النصرانى اللفظ على معتقده تحكم بمجرد الهوى المحض.

وثالثها: وهو الجواب بحسب الاعتقاد لا بحسب الإلزام أن معنى الروح المذكور فى القرآن الكريم فى حق عيسى عليه السلام هو الروح الذى بمعنى النفس المقوم لبدن الإنسان، ومعنى نفخ الله تعالى فى عيسى عليه السلام من روحه أنه خلق روحاً نفخها فيه، فإن جميع أرواح الناس يصدق أنها روح الله، وروح كل حيوان هى روح الله تعالى، فإن الإضافة فى لسان العرب تصدق حقيقة بأدنى

الملابسة كقول أحد حاملي الخشبة للآخر: شل طرفك يريد طرف الخشبة، فجعله طرفاً للحامل، ويقول: طلع كوكب زيد إذا كان نجم عند طلوعه يسرى بالليل، وهو خالقها ومدبرها فى جميع أحوالها؟

وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سئل عن هذه الآية فقال: نفخ الله تعالى فى عيسى عليه السلام روحاً من أرواحه، أى جميع أرواح الحيوان أرواحه.

وأما تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر فللتنبيه على شرف عيسى عليه السلام، وعلو منزلته بذكر الإضافة إليه، يقال: كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا** ﴾ (١) ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ** ﴾ (٢) مع أن الجميع عبيده، وإنما التخصيص لبيان منزلة المخصص.

وأما الكلمة فمعناها أن الله تعالى إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة كن. فلما أوجد الله تعالى عيسى – عليه السلام – قال له كن فى بطن أمك فكان. وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم. فهذا معنى معقول متصور. ليس فيه شيء كما يعتقده النصارى. من أن صفة من صفات الله حلت فى ناسوت المسيح – عليه السلام – وكيف يمكن فى العقل أن تفارق الصفة الموصوف. بل لو قيل لأحدنا إن علمك أو حياتك انتقلت لزيد. لأنكر ذلك كل عاقل. بل الذى يمكن أن يوجد فى الغير مثل تلك الصفة. وأما أنها هى نفسها تتحرك من محل إلى محل فمحال، لأن الحركات من صفات الأجسام، والصفة ليست جسما.

فإن كانت النصارى تعتقد أن الصفات أجسام، والأجسام صفات، وأن أحكام المختلفات وإن تباينت شيء واحد، سقطت مكالمتهم وذلك هو الظن بهم، بل يقطع بأنهم أبعد من ذلك عن موارد العقل، ومدارك النظر. وبالجملة فهذه كلمات عربية فى كتاب عربى. فمن كان يعرف لسان العرب حق معرفته فى إضافاته وتعريفاته وتخصيصاته وتعميماته. وإطلاقاته وتقييداته وسائر أنواع

---

(١) سورة الأنفال آية ٤١ .

(٢) سورة الجمعة آية ٤٢ .

استعمالاته فليتحدث فيه ويستدل له. ومن ليس كذلك فليقلد أهل العلماء به. ويترك الخوض فيما لا يعنيه ولا يعرفه.

٤- [الشبهة الرابعة]

ومنها أنه قال. ورد فى الكتاب العزيز إنه ﴿ **وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ** ﴾ (١).

الجواب: إن الذين اتبعوه ليسوا النصارى الذين اعتقدوا فيه أنه ابن الله، وسلكوا مسلك هؤلاء الدبراء فان اتِّباع الإنسان موافقته فيما جاء به. وكون هؤلاء المتأخرين اتبعوه. محل نزاع. بل متبعوه هم الحواريون. ومن تابعهم قبل ظهور القول بالتثليث، وأولئك هم الذين رفعهم الله فى الدنيا والآخرة. ونحن منهم وهم منا. ونحن إنما نطالب هؤلاء بالرجوع إلى ما كان أولئك عليه. فانهم قدس الله أرواحهم. آمنوا بعيسى وبجملة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين، وكان عيسى عليه السلام يبشرهم بمحمد ﷺ. كما تقف على نصوصه فى آخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فكانوا ينتظرون ظهوره ليؤمنوا به عليه السلام. وكذلك لما ظهر عليه السلام. جاءه أربعون راهبا من نجران فتأملوه. فوجدوه هو الموعود به. فآمنوا به فى ساعة واحدة. بمجرد النظر والتأمل لعلاماته. فهؤلاء هم الذين اتبعوه. وهم المرفوعون المعظمون.

وأما هؤلاء النصارى فهم الذين كفروا به مع من كفر، وجعلوه سببا لانتهاك حرمة الربوبية. بنسبة واجب الوجود المقدس عن صفات البشر إلى الصاحبة والولد. الذى ينفر منها أقل رهبانهم. حتى إنه قد ورد أن الله تعالى. إذا قال لعيسى - عليه السلام - يوم القيامة ﴿ **أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ (٢) يسكت أربعين سنة خجلا من الله تعالى حيث جعل سببا للكفر به. وانتهاك حرمة جلاله. فخواص الله تعالى يألمون ويخجلون من اطلاعهم على انتهاك الحرمة. وإن لم يكن لهم فيها مدخل ولا لهم فيها تعلق. فكيف إذا كان لهم فيها تعلق من حيث الجملة. ومن عاشر أماثل الناس ورؤساءهم. وله عقل

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٥.

(٢) سورة المائدة آية ١١٦.

قويم وطبع مستقيم غير طبع النصارى أدرك هذا فما آذى أحد عيسى – عليه السلام – ما آذته هؤلاء النصارى. نسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه.

٥- [الشبهة الخامسة]

أنه قال: إن القرآن الكريم شهد بتقديم بيع النصارى وكنايسهم على مساجد المسلمين بقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾(١).

فقد جعل الصوامع والبيع مقدمات على المساجد(٢). وجعل فيها ذكر الله كثيرا. وذلك يدل على أن النصارى فى زعمهم على الحق فلا ينبغى لهم العدول عما هم عليه. لأن العدول عن الحق إنما يكون للباطل.

الجواب: من وجوه.

احدها: إن المراد بهذه الآية أن الله تعالى يدفع المكاره عن الأشرار بوجود الأخيار فى كل عصر. فما من زمان إلا وفى أهله من الأخيار، فيكون وجود الأخيار سببا لسلامة الأشرار من الفتن والمحن. فزمان موسى – عليه السلام – سلم فيه أهل الأرض من بلاء يعمهم. بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة الموسوية.

وزمان عيسى – عليه السلام – سلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة العيسوية.

وزمان – محمد – ﷺ – يسلم فيه أهل الأرض بسبب من فيه من أهل الاستقامة على الشريعة المحمدية. وكذلك سائر الأزمان الكائنة. بعد الأنبياء –

---

(١) سورة الحج آية ٤٠ .

(٢) قدمت الصوامع والبيع وهى أماكن العبادة لدى اليهود والنصارى على المساجد وهى أماكن العبادة لدى المسلمين لسبق تلك الرسالات السماوية بعضها بعضا وليس لأفضلية هذه الأماكن عن تلك.

عليهم السلام – كل من كان مستقيما على الشريعة الماضية . هو سبب لسلامة البقية .

فلولا أهل الاستقامة فى زمن موسى عليه السلام لم تبق صوامع يعبد الله فيها على الدين الصحيح لعموم الهلاك . فينقطع الخير بالكليه . وكذلك فى سائر الأزمان . فلولا أهل الخير فى زماننا لم يبق مسجد يعبد الله فيه على الدين الصحيح . ولغضب الله تعالى على أهل الأرض .

والصوامع أمكنة الرهبان فى زمن الاستقامة حيث يعبد الله تعالى فيها على دين صحيح . وكذلك البيعة والصلاة . والمسجد . وليس المراد هذه المواطن إذا كفر بالله تعالى فيها . وبدلت شرائعه . وكانت محل العصيان والطغيان . لا محل التوحيد والإيمان .

وهذه المواطن فى أزمنه الاستقامة لا نزاع فيها . إنما النزاع لما تغيرت أحوالها وذهب التوحيد وجاء التثليث . وكذبت الرسل والأنبياء عليهم الصلاة السلام . وصار ذلك يتلى فى الصباح والمساء فحينئذ هى أقبح بقعة على وجه الأرض . وألعن مكان يوجد . فلا تجعل هذه الآية دليلا على تفضيلها .

ثانيها : إن الله تعالى قال صوامع وبيع وصلوات بالتنكير، والجمع المنكر لا يدل عند العرب على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع بالاتفاق . ونحن نقول إنه قد وقع فى الدنيا ثلاث من البيع . وثلاث من الصوامع . كانت أفضل مواضع العبادات بالنسبة إلى ثلاث مساجد .

وذلك أن البيع التى كان عيسى عليه السلام وخواصه من الحواريين يعبدون الله تعالى فيها . هى أفضل من جميع المساجد ثلاثة أو أربعة لم يصل فيها إلا السفلة من المسلمين . وهذا لا نراه فيه . إنما النزاع فى البيع والصوامع على العموم . واللفظ لا يقتضيه لأنه جمع منكر . وإنما يقتضيه أن لو كان مُعَرَّفا . كقولنا : الْبِيَع باللام .

ثالثها : أن هذه الآية تقتضى أن المساجد أفضل بيت عند الله تعالى . على عكس ما قاله هذا الجاهل بلغة العرب . و تقريره أن الصنف القليل المنزلة عند الله

تعالى أقرب إلى الهلاك من العظيم المنزلة. والقاعدة العربية. أن الترقى فى الخطاب إلى الأعلى فالأعلى. أبدا فى المدح والذم. والتفخيم والامتنان. فيقول فى المدح. الشجاع البطل. ولا يقول البطل الشجاع. لأنك تعد راجعا عن الأول، وفى الذم العاصى الفاسق ولا يقال الفاسق العاصى، وفى التفخيم فلان يغلب المائة والألف. ولا يقول فلان يغلب الألف والمائة. وفى الامتنان: لا أبخل عليك بالدرهم ولا بالدينار. ولا يقول بالدينار والدرهم. والسر فى الجميع أنك تعد راجعا عن الأول. كقهقرتك عما كنت فيه إلى ما هو أدنى منه.

إذا تقرر ذلك ظهرت فضيلة المساجد، ومزيد شرفها على غيرها، وأن هدمها أعظم من هدم غيرها، لا يوصل إليه إلا بعد تجاوز ما يقتضى هدم غيرها. كما نقول: لولا السلطان لهلك الصبيان والرجال والأمراء. فترتقى أبدا للأعلى فالأعلى. لتفخيم أمر عزم السلطان، وأن وجوده سبب عصمة هذه الطوائف. أما لو قلت لولا السلطان لهلك الأبطال والصبيان لعد كلامك متهافتا.

رابعا: أن الآية تدل على أن المساجد أفضل بيت وضع. على وجه الأرض، للعابدين من وجه آخر، وذلك أن القاعدة العربية أن الضمائر إنما يحكم بعودها على أقرب مذكور، فإذا قلت: جاء زيد وخالد وأكرمته. فالإكرام خاص بخالد لأنه الأقرب. فقوله تعالى (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يختص بالأخير الذى هو المساجد. لأن قوله فيها ضمير يختص بالقريب. وهذا قول المفسرين – فتكون المساجد قد اختصت – بكثرة ذكر الله تعالى. وهو يقتضى أن غيرها لم يساوها فى كثرة الذكر. فتكون أفضل وهو المطلوب.

فائدة: الصومعة موضع الرهبان. وسميت بذلك لحدة أعلاها ودقته. ومنه قول العرب أصمعت الثريدة إذا رفعت أعلاها. ومنه قولهم: رجل أصمع القلب إذا كان حاد الفطنة. **والصلاة**: اسم لمتعبد اليهود. وأصلها بالعبرانية صلوتا فعربت. والبيع اسم لمتعبد النصارى. اسم مرتجل غير مشتق.

والمسجد. اسم مكان السجود. فان مفعلا فى لسان العرب اسم للمكان. واسم للزمان الذى يقع فيه الفعل نحو المضرب لمكان الضرب وزمانه.

٦-[الشبهة السادسة]

أنه قال إن القرآن دل على تعظيم الحواريين والإنجيل، وأنه غير مبدل بقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (١). أى من التوراة والإنجيل وإذا قصدها لاتكون مبدلة ولا يطرأ التغيير عليها بعد ذلك لشهرتها. فى الأعصار والأمصار فيتعذر تغييرها، ولقوله تعالى فى القرآن ﴿ الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢). والكتاب هو الإنجيل لقوله تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (٣). والكتاب هاهنا هو الإنجيل، ولأنه تعالى لو أراد القرآن لم يقل ذلك بل قال هذا، ولقوله تعالى: ﴿ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ ﴾ (٤).

الجواب: إن تعظيم الحواريين لا نزاع فيه. وأنهم من خواص عباد الله. الذين اتبعوا عيسى عليه السلام ولم يبدلوا. وكانوا معتقدين بظهور نبينا محمد - ﷺ - فى آخر الزمان. على ما دلت عليه كتبهم. على ما أذكره فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى:

وإنما كفر وخالف الحادثون بعدهم: وأما تصديق القرآن لما بين يديه. فمعناه أن الكتب المتقدمة عند نزولها قبل تغييرها وتخبيطها كانت حقا موافقة للقرآن. والقرآن موافق لها. وليس المراد الكتب الموجودة اليوم. فان لفظ التوراة والانجيل إنما ينصرفان إلى المنزلين. وسأبين أن الموجود الآن غيرهما وفى كثير من المعانى والوجوه:

وأما قوله تعالى (ذلك الكتاب) وأنه المراد به الإنجيل. فمن الافتراء العجيب والتخيل الغريب. بل أجمع المسلمون قاطبة. على أن المراد به القرآن الكريم ليس إلا وإذا أخبر الناطق بهذا اللفظ. وهو رسول الله ﷺ أن المراد هذا

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ .
(٢) سورة البقرة الآيتان ١ ، ٢ .
(٣) سورة آل عمران آية ١٨٤ .
(٤) سورة الشورى آية ١٥ .

الكتاب. كيف يليق أن يحمل على غيره. فإن كل أحد مصدق فيما يدعيه في قول نفسه. إنما ينازع في تفسير قول غيره إن أمكنت منازعته.

وأما الإشارة بذلك التي أغتر بها هذا السائل فاعلم أن للإشارة ثلاثة أحوال: ذا للقريب، وذاك للمتوسط. وذلك للبعيد، لكن البعد والقرب يكونان تارة بالزمان وتارة بالمكان. وتارة بالشرف. وتارة بالاستحالة. ولذلك قالت (زليخا) وفي حق يوسف عليه السلام. لما اجتمعت مع نسوة بالمدينة ويوسف عليه السلام بالحضرة. وقد قطعن أيديهن من الدهشة بحسنه ﴿ **فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ** ﴾ [١] إشارة لبعده عليه السلام في شرف الحسن.

وكذلك القرآن الكريم لما عظمت رتبته في الشرف أشير إليه بذلك. وقد أشير إليه بذلك لبعد مكانه، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ. وقيل لبعد زمانه. لأنه وعد به في الكتب المنزلة قديما. وقيل لما كان أصواتا والصوت يستحيل بقاؤه. فصار بسبب هذه الاستحالة في غاية البعد لأن المستحيل أبلغ من البعيد: وأما قوله تعالى ﴿ **جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ** ﴾ [٢].

فاعلم أن (اللام) في لسان العرب تكون الاستغراق الجنس. نحو حرم الله الخنزير والظلم. وللعهد نحو قوله لمن رآك أهنت رجلا: أكرمت الرجل بعد إهانته. ولها محامل كثيرة ليس هذا موضعها فتحمل في كل مكان على حسب ما يليق به. فهي في قوله تعالى ﴿ **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ** ﴾ للعهد. لأنه موعود به. مذكور على السنة الأنبياء عليهم السلام فصار معلوما. فأشير إليه بلام العهد. وهي في قوله تعالى ﴿ **جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ** ﴾ للجنس إشارة إلى جميع الكتب المنزلة المتقدمة فليس ههنا المتقدمة.

ولا يمكن أن يفهم القرآن الكريم إلا من فهم لسان العرب فهما متقنا، وقوله تعالى لنبيه عليه السلام فهو أمر له بأن يقول ﴿ **آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ** ﴾[٣]. فالمراد: الكتب المنزلة لا المبدلة وهذا لا يمترى فيه عاقل. ونحن

---

(١) سورة يوسف آية ٣٢ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٤ .
(٣) سورة الشورى آية ١٤ .

ننازعهم فى أن بأيديهم. الكتب المنزلة بل هى مبدلة مغيرة. فى غاية الوهن والضعف وسقم الحفظ. والرواية والسند بحيث لا يوثق بشيء منها.

وبيانه أن الأناجيل خمسة. يعرف النصارى منها أربعة مشهورة. والخامس لا يعرفه إلا القليل منهم. فالأربعة:

الأول: إنجيل متى. وهو من الحواريين الاثنى عشر. وبشر بانجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين. بعد صعود المسيح عليه السلام إلى السماء. بثمان سنين وعدة إصحاحاته ثمانية وستون إصحاحا.

الثاني: إنجيل مرقس. وهو من السبعين. وبشر بانجيله باللغة الفرنجية. بمدينة رومية. بعد صعود المسيح عليه السلام. باثنتى عشرة سنة. وعدة إصحاحاته ثمانية وأربعون إصحاحا.

الثالث: إنجيل لوقا وهو من السبعين وبشر بانجيله بالإسكندرية باللغة اليونانية وعدة اصحاحاته ثلاثة وثمانيون إصحاحا.

الرابع: يوحنا وهو من الاثنى عشر. بشر بإنجيله فى مدينة أفسس من بلاد رومية بعد صعود المسيح عليه السلام بثلاثين سنة. وعدة إصحاحاته فى النسخ القبطية ثلاثة وثلاثون إصحاحا.

الإنجيل الخامس: يسمى إنجيل **الصبوة** ذكر فيه الأشياء التى صدرت من المسيح فى حال طفولته ينسب لبطرس عن مريم عليها السلام. وفيه زيادة ونقصان. وقد ترك كثيرا من أعلام المسيح عليه السلام. ومشاهير معجزاته. ويذكر فيه قدوم المسيح عليه السلام. وأمه رضى الله عنها ويوسف النجار إلى صعيد مصر. ثم عودته إلى ناصرة. قرية عند المقدس وإليها ينسب النصارى.

وفى هذه الأناجيل الأربعة. من التناقض والتعارض والتكاذب ومصادمة بعضها لبعض أمر عظيم. حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى وأن أكثرها من أقوال الرواة وأقاصيصهم وأن نقلته أفسدوه بما الحقوا فيه من حكايات. وأمور غير مسموعة من المسيح - عليه السلام - ولا من أصحابه. مثل حكاية صورة الصلب والقتل واسوداد

الشمس، وتغير لون القمر، وانشقاق الهياكل، وهذه الأمور إنما جرت فى زعمهم بعد المسيح عليه السلام بسبب قتله كما يزعمون فكيف تجعل من الإنجيل.

والإنجيل الحق إنما هو الذى نطق به المسيح عليه السلام وإذا كان كذلك انخرمت الثقة بهذا الإنجيل، لاسيما وهو أربعة والمنزل واحد، وهذه الأربعة أمليت فى أقطار الأرض المتباعدة. بلغات مختلفة. وأقلام متباينة. مع أن كل واحد منها ذكر من الأقاصيص والحكايات ما لم يذكره الآخر، فليت شعرى. أى شيء منها أو فيها هو من المنزل من عند الله تعالى. والمنزل واحد بلغة واحدة على نظام واحد.

ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين. بل نقلا عن غيرهما عن المسيح – عليه السلام – فهما نقلا كلام غير المسيح – عليه السلام – والحجة إنما هى فى كلامه – عليه السلام – فلا حجة فى هذين الإنجيلين ألبتة، وقد قال لوقا فى صدر إنجيله (إن أناسا راموا ترتيب الأمور التى نحن بها عارفون. كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خداما للكلمة. فرأيت أنا اذا كنت تابعا أن اكتب إليك أيها الأخ العزيز تأويلا تعرف به حقائق الأمور الذى وعظت به).

فقد اعترف أنه لم يلق المسيح عليه السلام ولا خدمه. وإنما كتابه تأويلات جمعها مما وعظ به خدام الكلمة. وها أنا أسرد عدة من تناقضها. ليُعْلَم تغييرها وتبديلها وعدم الوثوق بشيء ما. فانه ليس البعض أولى من البعض.

[تناقض الأناجيل]

التناقض الأول: قال يوحنا: من يوسف خطيب مريم – عليه السلام – وهو المسمى يوسف النجار إلى إبراهيم عليه السلام اثنان وأربعون ولادة. وقال لوقا: أربعة وخمسون[1].

التناقض الثانى: قال لوقا. قال جبريل الملك لمريم بناصرة: (إنك ستلدين ولدا اسمه يسوع يجلسه الرب على كرسى أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب)[2]. وكذبه يوحنا[3] وغيره فقال (بل حُمل يسوع هذا الذى وعده الله

(١) لوقا: ٣/ ٢٣ – ٣٥. (٢) لوقا ٣١/ ٣٤ –١ (٣) يوحنا: ٩/ ١١ – ١٩

بالملك إلى القايد بيلاطس، و قد ألبسه شهرة الثياب . وتوَّجه بتاج من الشوك . وصفعوه وسخروا منه . ففاوضه بيلاطس طويلا، فلم يتكلم . فقال له أما تعلم أن لى عليك سلطانا . إن شئت صلبتك . وإن شئت أطلقتك فأجابه يسوع عليه السلام . لولا أنك أعطيت ذلك من السماء . لم يكن لك على سلطان . ومن أجل ذلك خطيتى التى أسلمتنى إليك عظمة .

وصلبه بعد ذلك[1] .

وهو تناقض فاحش أحدهما يجعل يسوع عليه السلام ملكا عظيما لبنى إسرائيل، والآخر يصفه بهذه الذلة والمهانة . ثم إن هذا المُلْك لم يتفق قط .

أما على رأيهم فلأنه صلب وهو فى غاية الخمول .

وأما على رأينا فلأن الله تعالى رفعه من غير مُلْك ولا مهانة . فهذا لا أصل له .

ثم إن محاورة تجرى بين جبار وعيسى عليه السلام . أى شىء أدخلها فى الإنجيل المنزل من السماء . بل نقطع بأن هذا غير منزل .

التناقض الثالث : قال لوقا (لما نزل بيسوع عليه السلام الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقويه . وكان يصلى متواترا وصار عرقه كعبيط الدم)[2] .

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقص ولا يوحنا . وإذا تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهم منه من الفرائض والأحكام . وإن كان الترك صحيحا . فتكون الزيادة كذبا فى النسخ الأخرى . وهذا هو التحريف والتبديل، مع أن نقل لوقا يقتضى رفع المسيح عليه السلام إلى السماء . لأن الملك لا تغالبه اليهود . وما نزل إلا للعصمة من الأذى والرفع . هذا ظاهر الحال وهو مبطل معتقد النصارى فى الصلب، ثم تقوية الملك إن كانت للاهوت المتحد بالناسوت فمحال، لأن الله تعالى لا يحتاج إلى تقوية بغيره . وإن كانت للناسوت فحينئذ هو غير اللاهوت . فما حصل الاتحاد الذى يقولونه .

---

(١) يوحنا : ٩ / ١١ - ١٩ .

(٢) لوقا ٤٣ / ٤٤ - ٢٢ .

التناقض الرابع: قال يوحنا وهو أصغر الأربعة. إن أول آية أظهرنا المسيح عليه السلام تحويل الماء خمرا، ولم يذكرها الثلاثة. وإذا أغفلوا مثل هذا كانوا متهاونين بالدين وإن كانت لم تصح عندهم. فكيف ينقل الدين عن شخص واحد وهو يوحنا. وشرط ثبوت أصل الأديان التواتر؟

التناقض الخامس: قال يوحنا: إن المسيح عليه السلام غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع[1] ولم يذكر ذلك الثلاثة الأخر. فان كان كذبا دخل الخلل. وإن كان صدقا فلم أغفلوه. فدخل الخلل.

التناقض السادس: قال يوحنا: قال يسوع عليه السلام: (إني لو كنت أنا الشاهد لنفسي لكانت شهادة باطلة. ولكن غيري يشهد لي. فأنا أشهد لنفسي وأبي أيضا يشهد لي أنه أرسلني)[2]. وقد قالت توراتكم إن شهادة رجلين صحيحة. فجعلوا الله تعالى رجلا. وأثبتوا شهادته لنفسه مع القول ببطلانها. وهذا كلام ينزه عنه المسيح عليه السلام وأصحابه.

التناقض السابع: قال يوحنا لما مضى المسيح عليه السلام ليوحنا المعمداني ليتعمد منه. قال له المعمداني حين رآه: هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم. وهو الذي قلت لكم أنه يأتي به بعدي وأنه أقوى مني[3]، وقال متى لما رآه المعمداني: قال إني المحتاج إلى أن انصبغ على يدك فكيف جئتني بصبغ على يدي، وأرسل إليه بعد ذلك. أأنت الآتي أو ننظر غيرك ومرقس لم يقل شيئا من ذلك. فاختلف الثلاثة. فجزم الأول. وجعله الثاني غير عالم حتى يسأله وسكت الثالث بالكلية.

التناقض الثامن: قال متى: يوسف خطيب مريم عليها السلام. اسم أبيه

---

(١) يوحنا ٣/ ٨-١٣.
(٢) يوحنا: ٣٠: ٣٧/ ٥.
(٣) يوحنا ٢٩: ٣٠/١.

يعقوب[١] وقال لوقا: أقام يسوع ثلاثين سنة يظن أنه ابن يوسف ابن هال. فجعل اسم أبيه هال[٢]، والأول جعله يعقوب وهو تكاذب، ثم إن قضية عيسى - عليه السلام - فى كونه ولد من غير أب كانت فى غاية الشهرة عند بنى إسرائيل حتى آذوا مريم - عليها السلام - ايذاء عظيما برميها بالزنا، ووصلت القضية إلى أقطار الأرض. فكيف يخفى على عيسى - عليه السلام - ذلك ثلاثين سنة؟

التنافض التاسع: قال متى: صلب مع المسيح عليه السلام لصان. عن يمينه وعن شماله. كانا يهزءان به جميعا ويعيرانه[٣].

وقال لوقا: انما هزأ به أحدهما. وكان الآخر يقول لصاحبه: أما تتقى الله تعالى أما نحن فبالعدل جوزينا. وأما هذا فلم يعمل قبيحا. ثم قال المسيح - عليه السلام -: اذكرنى فى ملكوتك. فقال حقا أنك تكون معى اليوم فى الفردوس[٤].

فكذب قول متى إنهما يهزآن به. وأغفل هذه القضية مرقس ويوحنا. ومن المحال أن يحدث مثل هذا. ولا يشيع فى ذلك الوقت. فان كان صحيحا فلم تركاه. وإن كذبا فلما أختلقه الآخر؟

التناقض العاشر: قال لوقا: إن ابن الانسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ولكن لينجى[٥].

وقال الباقون: ابن الانسان لم يأت ليلقى على الأرض سلامه، ليكن سيفا ويضرم فيها نارا[٦].

---

(١) متى ١٦/ ١.
(٢) لوقا: ٢٣/ ٣.
(٣) متى ٣٥/ ٧٢.
(٤) لوقا ٣٩/ ٤٣/ ٢٣.
(٥) لوقا ٥٤/ ٥٦ -٩.
(٦) متى ٣٤: ٣٩ - ١٠.

وهذا كلام تبرأ التلاميذ منه. لأن الأول جعله رحمة للعاملين. والآخرون جعلوه نقمة عليهم.

التناقض الحادى عشر: قال متى: إن مريم - عليها السلام - خادمة المسيح - عليه السلام - جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى. وإذا ملك قد نزل من السماء. وقال لهما لا تخافا فليس يسوع هنا. قد قام من بين الأموات ثم لقيا المسيح وقال: لا بأس عليكما. قولا لإخوانى ينطلقون إلى الجليل(١).

وقال يوحنا. جاءت وحدها يوم الأحد بغلس. فرأت الصخرة رفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون وتلميذ آخر. فأخبرتهما أن المسيح عليه السلام قد أخذ من المقبرة ولا أدرى أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فبينما هى كذلك. التفتت فرأت المسيح عليه السلام قائما فلم تعرفه وحسبته حارس البستان فكلمها فعرفته. وقال لها إنى لم أصعد بعد. اذهبى إلى إخوانى فقولى: إنى منطلق إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم(٢).

فأحدهما يقول: إن الملك هو الذى أمرها والآخر يقول هو المسيح عليه السلام. وأحدهما يقول: عشية السبت. والآخر يقول: يوم الأحد. وأحدهما يحكى عن مريم وحدها والآخر عنها مع غيرها، ويجعل النصارى هذا الكلام مع اضطرابه أصلا لاعتقادهم. ويقولون قد قال: إنى منطلق إلى أبى. ويغفلون عن قوله وأبيكم وعن قوله الهى والهكم. ويقبلون فى أصل دينهم. قول امرأة واحدة مع أن هذا الكلام. لو وجد فى كلام المغفلين. لم يقبل واستجهن. ولا يظهر فى مرآة عقلهم كيف يعبدون من ولد فى رطوبات الأرحام ودمائها ونشأ فى ضعف الطفولية ولأوائها. تعتوره الأمراض والأقسام. والانكاد والآلام والحاجة إلى الشراب والطعام والمنام. ثم يصفع على زعمهم ويصلب ويهان ثم يبكى عليه،ويندب بالثكلان. ويلتبس على من رآه بناطور البستان فلو أن اليهود بالغوا فى الهزء والسخرية بالنصارى ما قدروا أن يقولوا أكثر من هذا الهذيان.

---

(١) متى ١: ١٠/٢٨. (٢) يوحنا ١: ٢٤/٢٠.

التناقض الثانى عشر : صعود المسيح عليه السلام إلى السماء أغفله يوحنا ومتى وهما من الحواريين الاثنى عشر.

وذكره لوقا[١] ومرقس[٢].وليس من الحواريين، واختلفا فقال مرقس: إن سيدنا يسوع لما قام كلم تلاميذه تكليما ثم صعد من يومه، وخالفه لوقا فقال: إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوما مع أن الصعود أمر عظيم لا ينبغى أن يخفى على التلاميذ ويعلمه غيرهم.

التناقض الثالث عشر : قال متى: قال يسوع حقا أقول لكم. إن قوما من القيام ههنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته[٣]. وقد مضى نحو ألف سنة، ولم يأت فى ملوكته. ومات القيام ومن بعدهم. فدل على أن هذا الكلام كذب. وافتراء وهو يخرم الثقة بجميع ما يقولونه.

التناقض الرابع عشر : قال متى: قال المسيح – عليه السلام – للتلاميذ الاثنى عشر. أنتم الذين تكونون فى الزمن الآتى جلوسا على اثنى عشر كرسيا. تدينون اثنى عشر سبطا من بنى إسرائيل[٤].

فشهد للكل بالفوز والزعامة. ثم نقض ذلك متى بنفسه فقال: مضى أحد التلاميذ الاثنى عشر. وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع بثلاثين درهما. وجاء بالشرط إليه. فقال له يسوع: الويل لك. خير لك أن لا تولد.

التناقض الخامس عشر : قال متى: لما حمل يسوع إلى فيلا القائد. قال أى شر عمل هذا؟ فصرخ اليهود وقالوا: يصلب فأخذ القائد ماء وغسل يده. وقال أنا برىء من دم هذا الصديق وأنتم أبصروا[٥].. كذبه يوحنا فقال: بل ضرب يسوع[٦]، ثم سلمه إليهم وهو تناقض صريح.

(١) لوقا ٥٠/٢٤.
(٢) مرقس ١٦/ ١٩.
(٣) متى ٢٧/ ٢٨ – ٦٠.
(٤) متى ٢٨/ ١٩.
(٥) متى ٢٤/ ٢٧.
(٦) يوحنا ١/ ٢– ١٩.

ولنقتصر على هذه النبذة من تهافت الأناجيل. وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل.. ومن طالع كتبهم وأناجيلهم وجد فيها من العجائب ما يقضى له بأن القوم تفرقت شرائعهم وأحكامهم ونقولهم تفرق أيدى سبأ. وأن القوم لا يلتزمون مذهبا. والعجب أن أناجيلهم حكايات وتواريخ ومجريات وكلام كفرة وكهنة وتلاميذه وغيرهم. حتى إنى أحلف بالله الذى لا إله إلا هو أن تاريخ الطبرى. عند المسلمين أصح نقلا من الإنجيل. ويعتمد العاقل عليه أكثر. من أن التاريخ لا يجوز عند المسلمين. أن يبنى عليه شىء من أمر الدين. وإنما هو حكايات فى المجالس.

ويقولون مع ذلك: الإنجيل كتاب الله أنزله إلينا. وأمر السيد المسيح باتباعه فليت شعرى أين هذا الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأين كلماته من بين هذه الكلمات، ثم الذى ينقلونه عن عيسى – عليه السلام – من لفظه وهو القليل لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله تعالى، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة، ومن مقتضى الطباع البشرية، وغير ذلك فهذا كله ليس من عند الله، ولذلك لا يقول المسلمون: كل ما تكلم به محمد – عليه السلام – من القرآن. ونقل عنه القرآن نقلا متواتر. يقطع بصحته خلفا وسلفا.

وأما النصارى فلا يتعين لهم شىء مما أنزل الله تعالى أبدا. فضلا عن نقله بعد تعيينه فانظر هذه الحال. ما أشد بعدها عن الصواب. وما أخلصها للشك والارتياب ومع ذلك لا يستحيون. ويجاهرون بقولهم نحن متمسكون بالإنجيل المنزل من عند الله تعالى. وهو مضبوط عن الخلل برىء من الزلل. فهم جديرون بأن يضحك عليهم أبد الدهر. وإن شئت قلت يبكى عليهم.

وأعجب من ذلك صومهم الذى يتكرر عليهم فى كل عام. يصومون نحو الشهر والشهرين، فيهما واجب وغير واجب بإجماعهم. وإذا سألتهم ما عدد الواجب؟ لم تجد من يعرفه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ولقد عذرت بعض الفضلاء لما سمعته يوما يقول: النصارى عرة على ولد آدم.

٧- [الشبهة السابعة]

أنه قال: إن القرآن الكريم أثنى على أهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ وإلى قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [١] وبقوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [٢].

والظالمون إنما هم اليهود عبدة العجل وقتلة الأنبياء.

وبقوله تعالى ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [٣]. ولم يقل (كونوا به مسلمين).

وبقوله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤]. فذكر حميد صفاتنا وجميل نياتنا. ونفا عنا الشرك بقوله (والذين أشركوا) وسوى بيننا وبين غيرنا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٥].

الجواب:

أما قوله تعالى: **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**... الخ فمعناها. أن قريشا قالت له عليه السلام. اعبد آلهتنا عاما ونعبد إلهك عاما. فأمره الله أن يقول لهم ذلك فليس المراد النصارى. ولو كان المراد النصارى لم ينتفعوا بذلك. لأن قوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾. معناه الموادعة والمتاركة.

---

(١) سورة الكافرون ١ : ٦ .	(٢) سورة العنكبوت آية ٤٦ .
(٣) سورة البقرة آية ١٣٦ .	(٤) سورة المائدة آية ٨٢ .	(٥) سورة البقرة آية ٦٢ .

فان الله تعالى أول ما بعث نبيه محمدا عليه السلام. أمره أولا بالإرشاد بالبيان ليهتدى من قصده الاهتداء. فلما قويت شوكة الإسلام. أمره بالقتال بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١). قال العلماء نسخت هذه الآية نيفا وعشرين آية. منها ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ وقوله ﴿ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ (٢). وقوله ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (٣). وغير ذلك. وليس فى المتاركة والاقتصار على الموعظة دليل على صحة الدين المتروك وقوله تعالى: ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤). دليل على أنهم على الباطل فإنهم لو كانوا على الحق ما احتجنا للجدال معهم. فهى تدل على عكس ما قالوا. وقوله تعالى (إلا الذين ظلموا منهم) المراد من طغى. ولم يقصد الاسترشاد من كل طائفة. ولا يختص ذلك باليهود. فإنا نعدل معه عن الدليل والبرهان إلى السيف القاطع والسنان(٥)، وأمره تعالى لنا بأن نؤمن بما أنزل على أهل الكتاب صحيح. ولكن أين ذلك المنزل. والله إن وجوده أعز من عنقاء مغرب. وقد تقدم بيانه فى تناقض الأناجيل.

وأما قوله تعالى: (ونحن له مسلمون) فخاص بنا أمرنا تعالى أن نقول ذلك لنتبع فيه. فهو دليل أمرهم بالإسلام عكس ما قاله. ولو لم يكن لهم أمرا لكانوا مأمورين بآيات غير هذه الآية. كقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦) وبقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ﴾ (٧) وغير ذلك وهو كثير.

وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة. وأنهم متواضعون فمسلم. لكن هذا

---

(١) سورة التحريم آية ٩٠ . (٢) سورة المائدة آية ١٠٥
(٣) سورة الغاشية آية ٢٢ . (٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .
(٥) الدعوة إلى الله ليست بالسيف، وشرع القتال لحماية الدين والدولة ورد كيد المعتدين ولم يشرع لنشر الدعوة امتثالا لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾.
(٦) سورة آل عمران آية ٦٤ . (٧) سورة المائدة آية ٧٧ .

لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين فى النار. وغضب الديان. لأن السجايا الجليلة والآداب الكسبية تجتمع مع الكفر والإيمان كالأمان كالشجاعة والظرف واللطف وجودة العقل. فليس فيه دليل على صحة دينهم، وأما نفى الشرك عنهم. فالمراد الشرك بعبادة الأصنام. لا الشرك بعبادة الولد واعتقاد التثليث. وسببه أنهم مع التثليث يقولون: الثلاثة واحد. فأشاروا إلى التوحيد بزعمهم بوجه من الوجوه. ويقولون نحن لا نعبد إلا الله تعالى لكن الله تعالى هو المسيح. ونعبد المسيح والمسيح هو الله. تعالى الله عن قولهم. فهذا وجه التوحيد من حيث الجملة. ثم يعسكون ذلك فيقولون. الله ثالث ثلاثة.

وأما عبدة الأوثان فيصرحون بتعدد الآلهة من كل وجه. ولا يقول أحد منهم إن الصنم هو الله تعالى. وكانوا باسم الشرك أولى من النصارى. وكان النصارى باسم الكفر أولى. حيث جعلوا الله تعالى بعض مخلوقاته. وعبدوا الله تعالى وذلك المخلوق. فساووْا عبدة الأوثان فى عبادة غير الله تعالى. وزادوا بالاتحاد والصاحبة والأولاد. فلا يفيدهم كون الله تعالى خصص كل طائفة من الكفار باسم هو أولى بها فى اللغة مدحا ولا ذلك تصويبا لما هم عليه.

٨- [الشبهة الثامنة]

أنه قال: فى مدح قرباننا وقواعدنا إن أهملنا ما متعنا به بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ * قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ (١). فالمائدة هى القربان الذى يتقربون به فى كل قداس(٢).

---

(١) سورة المائدة الآيات ١١٢ – ١١٥ . (٢) متى ١٦: ٢٦– ٢٨.

الجواب :

إن من العجائب أن يدعى أن المائدة التى نزلت من السماء هى القربان الذى يتقربون به . مع الذين يتقربون به من مصنوعات الأرض . وأين المائدة من القربان نعوذ بالله تعالى من الخذلان . بل معنى الآية أن الله تعالى طرد عادته . وأجرى سنته . أنه متى بعث للعباد أمرا قاهرا للإيمان . لا يمكن للعبد معك الشك .

فمن لم يؤمن به بعد عجل له العذاب . لقوة ظهور الحجة . كما أن قوم صالح لما أخرج الله تعالى لهم الناقة من الحجر فلم يؤمنوا عجل لهم العذاب ، وكانت هذه المائدة جسما كيونيا . عليه خبز وسمك[1] نزل من السماء يقوت القليل من الخلق . العظيم العدد . فأمرهم أن يأكلوا ولا يدخروا . فخالفوا وادخروا فمسخهم الله تعالى . ونزول مثل هذا من السماء كخروج الناقة من الصخرة الصماء . فأخبر الله تعالى . أن من لم يؤمن بعد نزول المائدة . عجلت له العقوبة . ولا تعلق للمائدة بقربانهم البتة . بل المائدة معجزة عظيمة خارقة وهى أمر خارق . والقربان أمر معتاد . ليس فيه شىء من الإعجاز البتة . فأين أحد البابين من الآخر . لولا العمى والضلال .

٩- [الشبهة التاسعة]

قال : إن الله تعالى أخبر خبرا جازما أنا نؤمن بعيسى عليه السلام . بقوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [2] . فكيف نتبع من أخبر الله تعالى عنه أنه شاك فى أمره بقوله تعالى ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾[3]. وأمره في سورة الفاتحة أن يسأل الهداية إلى ﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [4] . والمنعم عليهم هم النصارى والمغضوب عليهم هم اليهود . والضالون عبدة الأصنام .

---

(١) مرقس ٣٦ : ٤٤ / ٦ .

(٢) سورة النساء آية ١٥٩ .

(٣) سورة سبأ آية ٢٤ .

(٤) سورة الفاتحة الآيتان ٦ ، ٧ .

الجواب :

إن النصارى لما لعبوا فى كتابهم بالتحريف والتخليط . صار ذلك لهم سجية . وأصبح الضلال والإضلال لهم طوية . فسهل عليهم تحريف معانى القرآن . وتغيير معانية لأغراضهم الفاسدة . والقرآن الكريم برىء من ذلك .

وكيف يخطر لهم هذه التحكمات بغير دليل ولا برهان بل بمجرد الأوهام والوسواس، أما قوله تعالى ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ (١) ففيه تفسيران .

أحدهما : إن كل كافر إذا عاين الملائكة عند قبض روحه ساعة الموت . ظهر لهم منه الإنكار عليه . بسبب ما كان عليه من الكفر فيقطع حينئذ بفساد ما كان عليه . ويؤمن بالحق على ما هو عليه . فإن الدار الآخرة لا يبقى فيها تشكك ولا ضلال . بل يموت الناس كلهم مؤمنين موحدين على قدم الصدق . ومنهاج الحق . وكذلك يوم القيامة بعد الموت . لكنه إيمان لا ينفع ولا يعتد به . وإنما يقبل الإيمان من العبد حيث يكون متمكنا من الكفر . فإذا عدل عنه وآمن بالحق . كان إيمانه م كسبه وسعيه . فيؤجر عليه .

أما إذا اضطر إليه فليس فيه اجر . فما من أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بنبوة عيسى عليه السلام . وعبوديته لله تعالى . قبل موته . لكن قهرا لا ينفعه فى الخلوص من النيران وغضب الديان

التفسير الثانى : أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان . عند ظهور المهدى . بعد أن يفتح المسلمون قسطنطينية من الفرنج فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يبقى على الأرض إلا المسلمون . ويستأصل اليهود بالقتل . ويصرح بأنه عبد الله ونبيه . فتضطر النصارى إلى تصديقه حينئذ لإخباره لهم بذلك وعلى التفسيرين ليس فيه دلالة على أن النصارى الآن على خير .

وأما قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (٢) فهو من محاسن القرآن الكريم . لأنه من تلطف الخطاب . وحسن الإرشاد . فإنك إذا قلت

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩ .

(٢) سورة سبأ آية ٢٤ .

لغيرك : أنت كافر فآمن ربما أدركته الأنفة . فاشتد إعراضه عن الحق . فإذا قلت له أحدنا كافر . ينبغى أن يسعى فى خلاص نفسه من عذاب الله تعالى . فهلم بنا نبحث عن الكافر منا فنخلصه فإن ذلك أوفر لداعيته فى الرجوع إلى الحق . والفحص عن الصواب، فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر . فر من الكفر من غير منافرة منك عنده . ويفرح بالسلامة . ويسر منك بالنصيحة .

هكذا هذه الآية سهلت الخطاب على الكفار ليكون ذلك أقرب لهدايتهم . ومنه قول صاحب فرعون المؤمن لموسى -- عليه السلام - ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (١)، فخصهم أولا بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم مع علمه بأنه وبال عليهم وسبب طغيانهم . ولم يجزم فى ظاهر اللفظ بصدق موسى – عليه السلام –. مع قطعه بصدقه . بل جعله معلقا على شرط . لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب .

فكل من صح قصده فى هداية الخلق سلك معهم ماهو أقرب لهدايتهم . وكذلك قوله تعالى لموسى وهارون فى حق فرعون ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (٢) وقوله لمحمد صلوات الله عليهم أجمعين ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤) فهذا كله من محاسن الخطاب . لا من موجبات الشك والارتياب . وأما أمره تعالى لمحمد عليه السلام ولأمته بالدعاء بالهداية إلى الصراط المستقيم . فلا يدل على عدم حصول الهداية فى الحال . لأن القاعدة اللغوية . أن

---

(١) سورة غافر الآيتان ٢٨، ٢٩ .

(٢) سورة طه الآية ٤٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦ .

الأمر والنهى والدعاء والوعد والشرط وجزاؤه إنما يتعلق بالمستقبل من الزمان دون الماضى والحاضر. فلا يطلب إلا المستقبل. لأن ما عداه قد تعين وقوعه أو عدم وقوعه فلا معنى لطلبه. والإنسان باعتبار المستقبل لا يدرى ماذا قضى عليه. فيسأل - الله العظيم - الهداية فى المستقبل ليأمن من سوء الخاتمة.

كما أن النصرانى إذا قال: اللهم أمتنى على دينى لا يدل على أنه غير نصرانى إلى وقت الدعاء. ولا أنه غير مصمم على صحة دينه. وكذلك سائر الأدعية. وأجمع المسلمون والمفسرون على أن المغضوب عليهم هم اليهود. وأن الضالين هم النصارى، فتبديل ذلك بما قاله مصادمة. ومكابرة. ومغالطة وتحريف وتبديل فلا يسمع من مدعيه.

١٠ - [الشبهة العاشرة]

قـــال:

ليس من عدل الله تعالى أن يطالبنا باتباع رسول لم يرسله إلينا. ولا وقفنا على كتابه بلساننا.

والجواب:

أنه - عليه السلام - لو لم يرسل إليهم فليت شعرى. من كتب إلى قيصر هرقل ملك الروم وإلى المقوقس أمير القبط. يدعوهم إلى الإسلام. ولولا ذلك لم يسلط السيف على دين النصرانية إلى اليوم ست مائة سنة[١].

وليس يقر فى الأذهان شيىء إذا احتاج النهار إلى دليل

١١ - [الشبهة الحادية عشر]

قال: لو علم المسلمون مرادنا بالآب والابن والروح القدس. لما أنكروا علينا فإن مرادنا بالآب الذات. وبالابن النطق الذى هو قائم بتلك الذات. وروح القدس

---

(١) السيف لم يسلط عليهم من أجل عقائدهم بل من أجل تأمين الدعوة وحماية المسلمين وترك الحرية لمن يؤمن (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولم يرغم المسلمون أحدا من البلاد المفتوحة على الدخول فى الإسلام، فمن أسلم فله ما للمسلمين وعليه ما عليهم ومن بقى على دينه ورفض الإسلام دفع الجزية. وعلى العكس من ذلك فإن المسلمين هم الذين ابتلوا بالحروب الصليبية والاستعمار من الدول النصرانية.

الحياة الثلاثة إله واحد. وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون. ونحن لم نطلق ذلك من قبل أنفسنا. بل فى الانجيل قال عيسى – عليه السلام – اذهبوا إلى سائر الأمم وعمدوهم باسم الأب والإبن والروح القدس.

وفى أول القرآن بسم الله الرحمن الرحيم. فاقتصر على هذه الثلاثة. الآب والابن وروح القدس ونريد بقولنا المسيح ابن مولود من الله تعالى بلا حدث قبل الدهور. وأنه لم يزل نطقا. ولم يزل الله تعالى ناطقا. ثم ارسل الله تعالى نطقه من غير مفارقة الآب الوالد له. كما ترسل الشمس ضوءها من غير مفارقة القرص الوالد له. وكما يرسل الإنسان كلامه إلى غيره من غير مفارقة العقل الوالد له. فتجسم النطق إنسانا من الروح القدس ومن مريم – رضى الله عنها – وولد منها بالطبيعة البشرية لا بالإلهية. فإذا قلنا المسيح ابن الله تعالى تعالى لا نريد بنوة بشرية. وإن له ولدا من صاحبة. وقد أثبت القرآن الولد بمعنى النطق. كقوله تعالى﴿ ووَالِدٍ ومَا ولَدَ ﴾[1].

وسبب تجسيم كلمة الله تعالى إنسانا. أن الله تعالى لا يخاطب إلا بحجاب لأن اللطايف لا تظهر إلا فى الكثايف. فظهر فى الإنسان لأنه أشرف خلقه كما خاطب موسى عليه السلام من العوسجة ففعل المعجز بلاهوته. وأظهر المعجز بنا سوته. والفعلان للمسيح – عليه السلام – كما تقول: زيد ميت بجسده باق بنفسه. ولذلك صلب الناسوت دون اللاهوت.

كما أن الحديدة المحماة يطرق حديدها أو يقطع دون ناريتها. وكذلك سمى القرآن عيسى – عليه السلام – روح الله، وكلمته، واسمه عيسى، فيكون الخالق واحدا وهو الآب ونطقه وحياته ولا يلزم من تعددها تعدد الخالقين. كما تقول الخياط خيط الثوب. ويد الخياط خيطت الثوب. ولا يلزم أن يقال خيط الثوب خياطان. بل خياط واحد. كذلك قولنا: الله تعالى وروحه وكلمته إله واحد. ولا يلزمنا أنا عبدنا ثلاثة. كما لا يلزم إذا قلنا عقل الإنسان ونطقه وحياته ثلاثة أناس.

---

(١) سورة البلد آية ٣ .

الجواب :

أما قوله نريد بالآب الذات. وبالابن النطق وبروح القدس الحياة. فلا كفر فيه وإنما الإطلاق منكر.

وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل. فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئا يعتمد عليه ولا هو مضبوط النقل ولا مضبوط العين. ولا يوثق بشيء منه فى الدين. وقد تقدم بسط ذلك فى تناقضه. وأما ما فى القرآن من «بسم الله الرحمن الرحيم» فتفسيركم له غلط وتحريف. كما فعلتم فى الإنجيل. لأن الله تعالى عندنا فى البسملة معناه الذات الموصوفة بصفات الكمال ونعوت الجلال. والرحمن الرحيم وصفان له سبحانه وتعالى باعتبار الخير والإحسان الصادرين عن قدرته. فإن صفات الله تعالى منها سلبية نحو الأزلى. أى لا أول له. والصمد أى لا جوف له.

ومنها ثبوتية قائمة بذاته وهى سبعة والإرادة والقدرة والحياة والكلام والسمع والبصر.

ومنها فعلية خارقة عن ذاته تعالى. يستحيل قيامها به. نحو الرزق والهبات والخلق والإحسان فسميته الرازق الوهاب الخالق المحسن باعتبار أفعاله لا باعتبار صفة قد يمة بذاته. فالرحمن معناه المحسن فى الدنيا والآخرة لخلقه بفضله. والرحيم معناه المحسن فى الآخرة خاصة لخلقه بفضله. وكذلك يقال يارحمن الدنيا والآخر ويا رحيم الآخرة. فالرحمن أبلغ من الرحيم. لشموله الدارين.

وأما النطق والحياة فلا مدخل لهما فى الرحمن والرحيم. بل هو تحريف منه للقرآن. وإذا بطل المستند من الأناجيل والقرآن حرم هذا الإطلاق. قال: اطلاق الموهمات لما لا يليق بالربوبية يتوقف على نقل صحيح ثابت عن الله تعالى. وليس هو عندكم. فكنتم عصاة بهذا الإطلاق.

وأما قولكم إن النطق موجد فغلط. فان الموجد إنما هو القدرة دون غيرها. وكل صفة من صفات الله تعالى لها خاصية لا توجد لغيرها. فالقدرة توجد. والإرادة تخصص الممكن بأزمانه وأحواله.

والعلم يكشف الممكنات والواجبات والمستحيلات على ماهى عليه.

والسمع إدراك يختص بالكلام النفسى والصوت اللسانى. والبصر إدراك خاص يختص بالموجود دون المعدوم بخلاف العلم فإنه يعمها. والكلام النفسى الذى هو النطق. يكون من الأمر والنهى والخبر والاستخبار دون التأثير فلا يجوز ان يعتقد أن الايجاد إلا للقدرة ليس إلا. والبراهين على هذه المطالب فى كتبنا الكلامية ليس هذا موضعها.

وقوله ونريد ببنوة المسيح ولادته من الله تعالى بلا حدث. أنه لم يزل نطقا. ولم يزل الله تعالى ناطقا. قلت هذا الكلام غير معقول أصلا إلا على وجه لا يبقى لدين النصرانية أثر. وتقريره. أن النطق صفة قائمة بذات الله تعالى. وقد سلمتم ذلك فهو من المعانى لا من الأجسام. بل هو كالعلم والحياة والإرادة. فان أردتم أن عيسى عليه السلام المتجسد وقوعه فى زمن من الأزمان. فضلا عن كونه لم يزل كذلك. كما يستحيل أن السواد يكون بياضا. والعلم يكون طعاما. والرائحة تكون لونا. وكذلك يستحيل أن يكون النطق إنسانا. فهذا التفسير غير معقول ولامتصور.

وإن أردتم أنه لم يزل نطقا. أى لم يزل الله تعالى يخبر عن وجود عيسى – عليه السلام– فى أزله فهو صحيح مقصود. لأن خبر الله تعالى يتعلق بجميع الأشياء (الموجودات والمعدومات) الماضيات والحاضرات والمستقبلات.

لكن هذا التفسير لا يبقى معه لدين النصرانية وجود. فإن خبر الله تعالى. كما يتعلق بوجود عيسى – عليه السلام – يتعلق بوجود كل واحد من اليهود. وغيرهم فى الأزل. ولم يزل كل واحد من اليهود نطقا بهذا التفسير فينبغى أن يكون كل واحد من اليهود ابن الله تعالى. ولا ميزة لعيسى على أحد من اليهود فى ذلك بل ولا على أحد من الحشرات.

وإن أردتم تفسيرا ثالثا فقولوه فإنه غير معقول من قولكم: لم يزل المسيح عليه السلام نطقا. فظهر أن أحد الأمرين لازم. وهو إما إبطال مذهب النصارى. أو يكون كلامهم غير معقول. فضلا عن إقامة الدليل عليه. فإنهم لا يتكلمون إلا بكلام مثل هذا. لا ليتحصل منه شيىء.

قوله. ثم أرسل لله نطقه من غير مفارقة.

قلت: هذا غلط وعمى وعدم بصيرة فإن إرسال الشيء اتصاله بغير المباين له. وهو غير معقول فى كل صفة من الصفات. النطق وغيره. فيستحيل إرسال الألوان. والطعوم والروايح والعلوم. والظنون إلا مع انتقال محالها. أما بمفردها فمحال ببديهة العقل ومن شك فى ذلك فليس بعاقل. ومحل هذا النطق يستحيل عليه الحركة والاتصال والانفصال. فانه ليس بجسم باتفاق الفريقين.

وأما إرسال الشمس لضوئها. فليس معناه أن صفة قائمة بالشمس اتصلت بالغير. بل الله تعالى يخلق الأنوار والأضواء فى أجرام الهواء الكائن بين السماء والأرض فالضوء الحاصل فى كل جزء من الهواء غير الضوء الحاصل فى الجزء الآخر، وغير الضوء القائم بجرم الشمس. فها هنا صفات عديدة. وموصوفات كثيرة. لم يرسل منها صفة واحدة. بل كل صفة لازمة لمحلها لم تفارقه. فان أردتم أن الله تعالى خلق فى عيسى – عليه السلام – نطقا بما طلبه الله تعالى من العباد أو بغيره.

فكذلك سائر الأنبياء – عليهم السلام – بل العلماء والمشرعون كذلك خلق الله تعالى فى نفوسهم الأخبار عن أحكامه تعالى، فإن كان عيسى – عليه السلام – بهذا ابنا فالعلماء كلهم كذلك. وإلاّ فلا أحد من خلق الله تعالى ابنا وهو الحق. وأما إرسال الإنسان كلامه لغيره عن فكره. فذلك إما بالكتابة. فالمرسل حينئذ أجسام ورقوم سود فى أجسام بيض. ونطقه القائم بنفسه لم يرسله. بل أرسل ما يدل عليه. وأما أن يوصى من يخبره بمقاصده مشافهة. فهو صوت صدر على لسانه سمعه ورسله. فقال ذلك الرسول أصواتا لذلك الغير.

والأصوات من خواص الإنسان وقصبه الرئة لا تكون إلا فى الأجسام. ولذلك أحلناها على الله تعالى لأنه ليس بجسم. بل الثابت لله تعالى. إنما هو الكلام النفسى الذى ليس بأصوات. والأصوات دالة عليه وعلى كل تقدير فلم يرسل الإنسان كلامه النفسى ولا الصوتى. بل النفسى قائم بنفسه والصوتى سمعه رسوله. وعدم لحينه. لم يأخذ والرسول معه فعلم أن هذا التمثيل غير مطابق لدعواكم. بل جهل بالحقائق وأحكامها وما هى عليه.

فان قلتم إن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فقال ما يدل على أحكام الله

تعالى للخلق. فهو والأنبياء سواء فى ذلك فلا معنى لاختصاصه بالنبوة.

وقوله: فتجسم النطق انسانا من الروح القدس ومن مريم رضى الله عنها إلى آخر كلامه.

قلت: هذا موضع الخبط والجهل والكفر وعدم الانسانية بالكلية. كيف يتخيل عاقل ان النطق يصير جسما، كذلك كقول القائل: الألوان والطعوم والروايح صارت جمالا وبرازين. فمن قام به لون قام به برذون. ومن قام به رائحة قام به جمل أو فرس. وكيف يتخيل عاقل أن المعانى تنقلب اجساما مع أن المعانى مفتقرة للمحال لذاتها. والأجسام مستغنيه عن المحال لذاتها – فكيف يتقلب المفتقر لذاته مستغنيا لذاته. وذلك كانقلاب الممكن واجبا لذاته. والزوج فردا. والفرد زوجا. والسواد بياضا.

فان كنتم تجوزون هذا كله. وليس لكم من العقول ما تدركون به هذه الاحكام وهو الظن بكم. سقطت مكالمتكم. لأن الكلام مع البهايم عبث وسفه. وان كنتم تعقلونها فارجعوا عن قولكم تجسم النطق الربانى فى عيسى ابن مريم. واعترفوا ببطلان البنوة المبنية عليه وأن عيسى – عليه السلام – فيه وجهان وأعتباران:

هو من وجه إله.

ومن وجه إنسان.

فالآفات والصلب ترد على الوجه الانسانى. ويصير هذا الكلام كله كفرا وجنونا لأن المبنى على الأصل الفاسد فاسد.

(قوله) إن القرآن الكريم أثبت هذه البنوة بقوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[1].

قلت هذا افتراء على الله تعالى وعلى كتابه وعلى المسلمين. إنما أقسم الله تعالى بآدم وذريته. فليس للنصرانى أن يتسلط بالتحريف على كتابنا كما تسلط على كتابه.

(قوله) وسبب تجسم الكلمة أن اللطيف لا يظهر إلا فى الكثيف. كما خاطب الله موسى عليه السلام من العوسجة.

---

(١) سورة البلد آية ٣.

قلت هذا أيضا من جهالات النصرانية. ولم قلتم إن اللطيف لا يظهر إلا فى الكثيف. بل يجوز أن يخلق الله تعالى لنا علما ضروريا لكل لطيف - على ما هو عليه من غير أن يحل ذلك اللطيف فى غيره ولا يتحد بسواه، كما أن الخلق يعلمون وجود الله تعالى وصفاته العلا. بدلالة صنعته عليه قبل ما يدعونه من الاتحاد الحادث فى زمن عيسى عليه السلام.

ويلزم النصارى فى هذا المقام أمور شنيعة: إما بطلان مذهبهم إن صح ظهور اللطيف مع الغنى[1] عن الكثيف. أو يكون الخلائق - منذ - آدم عليه السلام وغيره من الأنبياء - عليهم السلام - وجميع الخلائق لم يظهر لهم من صفات الله تعالى وكمال ذاته شيىء قبل عيسى - عليه السلام - أن لم يكن قبله اتحاد. لأن هذا الاتحاد شرط للظهور عندهم.

وإن كان الظهور حاصلا قبله. كان الاتحاد الحاصل لعيسى عليه السلام، حاصلا لجميع الخلائق العالمين بالله تعالى وبصفاته الذين ظهرت لهم الصفات الربانية. والمعارف الالهية. وحينئذ لا اختصاص لعيسى عليه السلام ولا مزية له. حتى يجعل ابن الله تعالى دون الناس أجمعين، ولم يتحد الكلام لموسى عليه السلام بالعوسجة. بل سمع كلام الله تعالى وهو قائم بذاته. وقد تقدم استحالة مفارقة الصف للموصوف. فكيف ينتقل كلام الله تعالى للشجرة حتى يسمعه موسى - عليه السلام - فهذا أيضا من الافتراء على قصة موسى - عليه السلام.

ومن أين للنصارى عقل يفهمون به أفعال الأنبياء - عليهم السلام - فى دقائق الملكوت وعجائب اسرار الربوبية. مع أنهم جهلوا أحكام المعانى. وجوزوا عليها أن تكون أجساما. ولذلك عدلت عن بيان كيفية سماع موسى - عليه السلام - لكلام الله تعالى. وهو قائم بذاته بغير حرف ولا صوت وهو مبسوط فى كتبنا الكلامية. وقد ذكرته مستوعبا فى شرح الأربعين للإمام فخر الدين. فمن أراد نظره هناك.

وبهذا التقرير يظهر فساد تمثيلهم بالحديدة والخياط. فإن ذلك فرع تجسد المعنى وانتقاله للناسوت وقد ظهر بطلانه، وأما تصريح القرآن الكريم بكون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته فقد تقدم الجواب عنه.

---

(١) فى الأصل (الغنا).

قلنا: بل يلزمكم لأنكم قلتم الكلمة انتقلت للمسيح – عليه السلام – فاستحق العبادة لأجل ما انتقل له من الكلمة. والله يستحق العبادة لذاته. من غير أن ينتقل له من غيره شيىء. والروح القدس الذى هو الحياة.

ونحن ننكر عليكم هذا الاطلاق ايضا لما فيه من إيهام بأحوال الأجسام الحيوانية سوية بالله تعالى. وتقولون فى صلاتكم: والروح القدس مساو لك فى الكرامة. ولا تفضلون أحد الثلاثة على الآخر. فالثلاثة عندكم مستوية مستحقة للعبادة والخضوع فلكم ثلاثة آلهة بالضرورة. ووازنه فى الإنسان أن تعتمد أن عقله قد انتقل للجمل. فاستحق تعظيما كتعظيم الإنسان لأجل ما انتقل. وروحه أيضا تستحق تعظيم الإنسانية. والإنسان فى نفسه يستحق تعظيم الإنسانية. فيكون لنا ثلاثة أناس جزما. وإنما كان الإنسان واحدا لأن صفاته لم تتعداه. ولم تعدل صفة من صفاته ذاته فى التعظيم. بل المعظم واحد وهو الإنسان. لما اشتمل عليه من كمال العقل وجميل الصفات. فكان ينبغى للنصارى إذا قصدوا هذا المعنى أن يقولوا كما قال المسلمون. المعظم باستحقاق العبادة والمعبود واحد وهو الله تعالى. لكمال صفاته وشرف ذاته. وليس شىء من صفاته مستحقاً للعبادة. كان منتقلا لوجود الانتقال. أو كانت الصفة قائمة بذاته. ولا يستحق للعبادة الموجبة للألوهية إلا ذات واحدة موصوفة بصفات الكمال. لا شىء من صفاتها ولا غير صفاتها. فهذا هو التوحيد المحقق الذى عليه المسلمون.

أما النصارى فاعتقدوا استحقاق العبادة للذات وبعض الصفات. ومن حل فيه بعضها. فكانوا قائلين بتعدد الآلهة بالضرورة. فلا معنى بقولهم إن ذلك لا يلزمنا وإنما لا يلزمهم ذلك إذا قالوا المسيح – عليه السلام – لا يستحق العبادة. ولا نصلى له ولا نعبده. ومن عبده كفر. لأنه عبد –من جملة خلقه – حلت فيه صفته. فهو غير الله تعالى ومن عبد غير الله تعالى فهو مشرك. بل من عظم صفة من صفات الله تعالى علمه أو كلامه أو حياته أو سمعه أو بصره تعظيم الله تعالى فهو كافر مشرك مع الله غيره. قائل بتعدد الآلهة. فلا معنى لإنكار ذلك منهم.

ولا شك أن النصارى لغلبة الجهل عليهم لا يفهمون معنى الاله ولا أى شىء هو الموجب لاستحقاق العبودية.

فلذلك عبدو ثلاثة آلهة. وهم لا يشعرون. فهم كمن لا يفهم حقيقة القتل. ثم يقتل. ثم يتكر عل من ينسب له العمل ويتعجب منه ويغلطه. فينبغى لهذه الطائفة النصرانية أن تبكى وتنوح على فقد العقل قبل أن تبكى على فقد الدين. فإذا وهبها الله تعالى عقلا سألت عن حقيقة الألوهية حتى تعلمها بحدودها وشروطها وخصوص ما هيتها وما يجب للألوهية. وما يستحيل عليها رأى شىء إذا فقد، لا يكون المحل مع هذه إلها. وإذا علمت هذه الأمور كلها. كما علمها المسلمون. استيقظت من سكر جهلها. وظهر لها أنها تعبد ثلاثة آلهة. وأن المتعين أن لا يعبد إلا الله وحده.

فان قالوا نحن لا نعبد المسيح عليه السلام، ولا نعظم الكلمة تعظيم العبادة. ولا نصلى لها حلت الكلمة أم لا. ولا يستحق العبادة إلا الله وحده دون صفاته العلا، فصفات الله واجبة الكمال لموصوفها وهى قديمة باقية يجب لها التنزه حلت أم لا. فهذا حق لا ننكره عليهم. ويكونون موحدين. وإنما يبقى الإنكار فى القول بالحلول والاتحاد على اختلاف مذاهبهم وجحد النبوة. فبهده الطرق نكفرهم لا بتلك إن صرحوا بما ذكرته.

والمصرح بهذا هم النسطورية دون اليعاقبة، والملكانية ،والفريقان يكفرونهم. وهم أقرب النصارى إلى الصواب. وليس للمسيح عليه السلام عندهم ميزة على سائر الأنبياء إلا أنه افضلهم فقط. كما نقول نحن إن محمداً — عليه السلام — أفضلهم.

١٢ – [الشبهة الثانية عشر]

قال:

احتجاجنا ببعض القرآن لا يلزمنا بقيته. لأنه كمكتوب أخرجه صاحب الدين بمائة دينار. وفيه مكتوب أنه قد وفا. فإن ذلك لا ينفع المديون.

قلنا: هذا التمثيل غير مستقيم. فإن كتاب الدين إن كانت البينة فيه على القبض والوفا. نفع المديون. وإن كانت البينة على القبض دون الوفا. فهذا هو الذى لا ينفع. وبيانه – أن – صحة القرآن هى المعجزة الدالة على عصمة الرسول – عليه السلام – والمعصوم كلامه كله حق وصدق. فهو كالمكتوب الذى فيه البينة هلى القبض والوفا يحتج بجميع ما فيه.

١٣ – [الشبهة الثالثة عشر]

أنه قال:

إن قال المسلمون لم أطلقتم لفظ الإبن والروح والأقانيم. مع أن ذلك يوهم أنكم تعتقدون تعدد الآلهة. وأن الألهة ثلاثة أشخاص مركبة. وأنكم تعتقدون ببنوة المباضعة. قلنا للمسلمين: هذا كاطلاق المتشابه عندكم من لفظ اليد، والعين، ونحوها. يوهم التجسيم وأنتم لا تعتقدونه.

قلنا: إنما يطلق المسلمون المتشابه بعد ثبوته نقلاً متواتراً، تقطع به عن الله تعالى أنه أمر بتلاوته. امتحاناً لعباده. ليضل من يشاء ويهدى من يشاء وليعظم ثواب المهتدين[١]. حيث حصلوا الهداية بعد التعب فى وجوه النظر. ويعظم عذاب الضالين حيث قطعوا لا فى موضع القطع. ولم ينقلوا ذلك عن امرأة كما اتفق ذلك فى الإنجيل. بل ما اقتصر المسلمون على الجمع القليل بل اعتمدوا على العدد الذى يستحيل عليهم الكذب. فلما تحققوا أن الله أمرهم بذلك نقلوه.

وأما النصارى فأطلقوا بعض ذلك من قبل أنفسهم كالأقانيم والجواهر وبعضها، نقلوه نقلاً لا تقوم به حجة فى أقل الأحكام. فضلاً عن أحوال الربوبية.

فهم عصاة لله تعالى. حيث أطلقوا عليه ما لم يثبت عندهم بالنقل. بل لو

---

(١) يقصد أنهم نقلوا عن مريم المجدلية أمورا لم يقل بها أحد غيرها. خاصة موضوع قيام المسيح بعد موته بثلاثة أيام بزعمهم. وإن كانت هذه الرواية فى رأينا تثبت أن الذى صلب شخص آخر غير المسيح، وقد قابلها المسيح عليه السلام بعد حادثه الصلب، أن صحت هذه الرواية فهى ضد اعتقادهم وليست دليلا لهم (راجع موضوع مريم المجدلية فى يوحنا ٢٠ / ١١–١٨) وكذلك حديث المرأة السامرية – راجع يوحنا ٤ / ١–٤٢ .

طولبوا بالرواية لإنجيلهم لعجزوا عن الرواية فضلاً عن النقل القطعى، فلا تجد أحداً له رواية فى الإنجيل يرويه واحد عن واحد إلى عيسى عليه السلام. وأقل الكتب عند المسلمين من الارتياب وغيرها يروونها عن قائلها. فتأمل الفرق بين الأثنين. والبون الذى بين الدينين. هؤلاء المسلمون ضبطوا كل شىء. والنصارى أهملوا كل شىء. ومع ذلك يعتقدون أنهم على شىء.

١٤- [الشبهة الرابعة عشر]

أنه قال:

المسلمون ينكرون علينا إطلاق الجوهر على الله تعالى. وليس بمنكر. لأن الموجودات منحصرة فى الجواهر والأعراض. لأن الموجود إما غير مفتقر فى وجوده إلى غيره وهو من الجوهر أو مفتقر فى وجوده إلى غيره وهو العرض ولا وساطة بين قولنا مفتقر فى وجوده وغير مفتقر.

ويستحيل عليه تعالى أن يكون عرضاً، فيتعين أن يكون جوهراً لضرورة الحصر فيهما. وأما قول المسلمين: إن الجوهر هو الذى يقبل العرض ويشغل الحيز فيستحيل إطلاقه على الله تعالى.. فليس كذلك.. بل الذى يشغل الحيز ويقبل العرض هو الجوهر الكثيف أما اللطيف كالضوء والنفس والعقل فلا.

الجواب:

قلنا: هذا كلام من لا يعلم الجوهر ولا يعرف العرض. ولا يضبط علماً من العلوم كأنه نصرانى. فإن هذه خصيصتهم. أما ما يفتقر فى وجوده لغيره [فهو من الممكن](١) وما لا يفتقر - [لغيره من الوجوه](٢) فهو الواجب الوجود لذاته فهذا تفسير الواجب والممكن. لا تفسير الجوهر والعرض.

فأين أحد البابين من الآخر بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر فى وجوده إلى غيره متبرع للنصارى الآن بتفسير هذه الحقائق فنقول: الجوهر: هو المتحيز لذاته الذى لا يقبل القسمة. فقولنا لذاته احتراز من العرض فإنه متحيز

(١) ليست فى الأصل وأضفناها ليستقيم للمعنى.

(٢) ليست فى الأصل وأضفناها ليستقيم للمعنى.

لأجل قيامه بالجوهر. وقولنا لا يقبل القسمة احتراز من الجسم فإنه يقبل القسمة. فالجسم هو المتحيز لذاته الذى يقبل القسمة وقد ظهرت فائدة هذه القيود مما تقدم.

والعرض: هو المعنى المفتقر إلى متحيز يقوم به. لا أنه يفتقر إليه فى وجوده. بل وجود العرض وغيره من الله تعالى. إذا تقرر هذا ظهر خطؤهم فى إطلاق لفظ الجوهر على الله تعالى فظهر بطلان تفسيرهم للجوهر والعرض. بل على تفسيرهم للجوهر. يلزم أن لا يكون القابل للعرض والشاغل للحيز جوهراً. لأن وجوده من الله تعالى – بل الله تعالى هو خالق المتحيزات وغيرها.

ومن العجيب قوله: إن الجوهر اللطيف لا يشغل حيزاً ولا يقبل عرضاً. ثم مثله بالنفس والعقل والضوء!! أما النفس فإنها متحيزة وهى تقوم بها الأعراض لأنها يقوم بها العلوم والظنون والاعتقادات. والآلام واللذات وغير ذلك. وكلها أعراض نفسانية.

لكنه لا يعرف حقيقة العرض فلذلك نفى الأعراض عن النفس. وكذا العقل يقوم به الفكر. والعبر والمعارف وغيرها وهى أعراض. وأما الضوء فعرض يقوم بجواهر الهواء: ليس من الجواهر فى شىء وهو يعتقد أنه جوهر فمثل به، فحديث النصارى كله عجب. حتى لو وجد عندهم صواب كان عجباً.

١٥- [الشبهة الخامسة عشر]

أنه قال:

الله له عدل. وفضل. وهو سبحانه وتعالى يتصرف بهما. فأرسل موسى عليه السلام بشريعة العدل لما فيها من التشديد. فلما استقرت فى نفوسهم وقد بقى الكمال الذى لا يصنعه إلا فى أكمل الكملاء وهو الله تعالى. ولما كان جواداً تعين أن يجود بأفضل الموجودات. وليس فى الموجودات أجود من كلمته. يعنى نطقه فجاد بها واتحدت بأفضل المحسوسات وهو الإنسان لتظهر قدرته. فحصل غاية الكمال ولم يبق بعد الكمال إلا النقص.

الجواب:

قلنا: أما شريعة موسى عليه السلام فكانت عدلاً وفضلاً. وقل أن يقع فى

العالم عدل مجرد. وإنما وقع ذلك لأهل النار خاصة. كما لم يقع الفضل وحده إلا لأهل الجنة.

وتقرير هذا الباب. أن كل وجود إحسان فهو من فضل الله تعالى. وجود لا يجب عليه فعله. فما عرى عن الخير والإحسان البتة فهو العدل المحض. لأن الملك ملكه - [وهو المتصرف][1] تصرف المالك في الملك المملوك والتصرف في الملك المملوك كيف كان عدل ليس بظلم وإنما يكون الظلم في مملوك الغير. فإن وقع الخير المحض فهو التفضل المحض وهذا هو شأن أهل الجنة. إذا تقرر هذا فشريعة موسى عليه السلام كان فيها من الاحسان أنواع كثيرة فتلك كلها فضل. كتحريم القتل والغصب والزنا والقذف. والمسكر من الخمور المغيبة للعقول. وإنما أباح اليسير الذي لا يصل إلى حد السكر، وكإباحة الفواكه واللحوم، والزواج، وغير ذلك. وهذه كلها أنواع من الفضل.

ثم إن عيسى عليه السلام جاء مقرراً لها وعاملاً بمقتضاها ومستعملاً لأحكامها ولم يزد شيئاً من الأحكام وإنما زاد المواعظ. والأمر بالتواضع والرقة والرأفة. فلم يأت عيسى - عليه السلام - بشريعة أخرى حتى يقال إنها الفضل. بل مقتضى ما قاله أن تكون شريعة الفضل هي شريعتنا. لأنها هي الشريعة المستقلة التي ليست تابعة لغيرها. ولا مقلدة سواها. وهذا هو اللايق لمنصب الكمال. أن يكون متبوعاً لا تابعاً. فهذه الحجة عليه لا له.

ثم قوله لا يصنع الأكمل إلا هو سبحانه فهو باطل. لأنه لا حجر عليه سبحانه في ملكه. فيأمر بعض خلقه بوضع الأكمل. ويرسل الناس بأوامر وشرائع هي غاية في جلب المصالح ودرء المفاسد. كما هي شريعتنا المعظمة، ثم قوله: الله تعالى جواد فجاد بأعظم الموجودات وهو كلمته. فجعله متحداً بأفضل المحسوسات وهو الإنسان باطل لوجوه.

أحدها: أن الجود بالشيء فرع إمكانه. فإن الكرم بالمستحيل محال. فينبغي أن يبين أولاً تصور انتقال الكلام النفسي من ذات الله تعالى إلى مريم رضي الله

---

(١) [وهو المتصرف] زائدة عن الأصل.

عنها، ثم نقيم الدليل على وقوع هذا الممكن بعد إثبات إمكانه وقد تقدم بيان استحالة ذلك.

ثانيها: سلمنا أنه ممكن لكن لم قلتم أن الكلام هو أفضل الموجودات ولم لا يكون العلم أفضل منه لأن الكلام تابع للعلم.

ثالثها: أن الذات الواجبة الوجود التى الصفات قائمة بها. أفضل من الصفات لأن الصفات تفتقر للذات فى قيامها. والذات لا تفتقر لمحل بخلاف الصفة.

رابعها: أن صفتين من الصفات. والصفات بجملتها مع الذات أفضل من الكلام، وحده - ولم يقل أحد باتحاد هذا، فالأفضل لم يحصل حينئذ. ولما كان كلام النصرانى نوعاً من الوسواس اتسع الخرق عليه.

فضائل الإسلام على سائر الشرائع:

والرد أنا نبين أن صفة الكمال والجود والفضل ظهرت فى شريعتنا أكثر من جملة الشرائع وبيانه من وجوه:

أحدها: أن معجزات جميع الشرائع ذهبت بذهاب أنبيائها فوقع الخبط فى تلك الشرائع بعد طول المدة. وموت الفرقة الذين شاهدوا المعجزات. وجاء قوم لم يشاهدوا نبياً ولا معجزة فطغوا وبغوا وضلوا وأضلوا. ودثرت تلك الشرائع بهذا السبب. فلم تتم المصلحة بسبب هذا العارض.

ومعجزة شرعنا هى القرآن الكريم بوصفه ونظمه وما اشتمل عليه من المغيبات وحلاوة السماع حلاوة لا يخلقها الآباد. ولا يسأمها أحد بالترداد.

ووجدنا فيه من المعجزات نحو عشرة آلاف معجزة مسطورة فى كتب هذا الشأن: واحدة منها كافية فكيف بالجميع. وجميعها باق بمشاهدة الأخلاف بعد الأسلاف. والأبناء بعد الآباء. فلا يزيد الإسلام إلا قوة.. ولا الإيمان والتوحيد إلاَّ جدَّة.. ولله الحمد على ذلك. فتمت المصلحة واستمرت. ودحضت الضلالات ودثرت. فهذا هو الكمال الأشرف والفضل المنوَّف.

وثانيها: أن كل نبى بعث إلى قومه خاصة. ومحمد ﷺ بعث للثقلين

جميعاً الإنس والجن على اختلاف أنواعها وبيان ذلك أن أكمل الشرائع المتقدمة شريعة التوراة.

مع أن موسى عليه السلام لم يبعث إلا إلى بنى إسرائيل. ولما أخذهم من مصر وعبر البحر. لم يعد لمصر ولا وعظ أهلها ولا عرج عليهم ولو كان رسولاً إليهم لما أهملهم. بل إنما جاء لفرعون ليسلم له بنى إسرائيل فقط فلما انقضى هذا الغرض أهملهم. ولم يعد لمصر البتة. وإذا كان هذا حديث موسى عليه السلام فغيره أولى. وقد أخبرنا سيد المرسلين بذلك ولاشك أن المصالح إذا عمت كانت أكمل [فشرعتنا أكمل][1] وهو المطلوب.

وثالثها: أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. فتكون شرائعها أفضل الشرائع أما أنها أفضل فلقوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرت للناس**﴾[2] ولأنها صنفت من العلوم ما لم يصنف فى ملة من الملل. حتى إن العالم الواحد منهم يصنف ألف كتاب فى المجلدات العديدة فى العلوم المتباينة ولعله لا يوجد فى شريعة الإسرائيليين كلهم من النصارى واليهود من التصانيف مثل هذا العدد فيكون العالم منا قدر شريعتهم بجملتها وكم فيها من عالم.

ولأن العلوم القديمة كلها إنما تحررت فيها من الحساب والهندسة والطب والموسيقى والهيئة والمنطلق وغير ذلك. وجددت هى علوماً لم تكن لغيرها من النحو واللغة العربية البديعة وبسط وجوه الإعراب الذى صنفت فيه الدواوين العظيمة وعلوم الحديث على اختلاف أنواعها. وعلوم القرآن على سعتها. وعلوم العروض والشعر والنظم وغير ذلك من العلوم الخاص بها. وهم أولى بعلوم غيرهم لتخليصها وإظهار بهجتها وإزالة فاسدها عن صحيحها. وبسطها بعد قبضها عند غيرها. فصار علم الوجود منحصر فيها أولاً وأخيراً. فتكون أفضل.

ولأن ما وهبه الله تعالى لهم من جودة العقول وقوة الإدراك. وتيسير ضبط

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة عن الأصل لايضاح المعنى.

(٢) سورة آل عمران آية ١١٠ .

العلم لم يحصل لغيرها مضافاً لقوة الحفظ وجودة الضبط الذى لم ينقل عن أمة من الأمم. وهو دليل كثرة علومها. ولولا ذلك لم يكثر العلوم فيها ولها.

وأما أنها إذا كانت أفضل الأمم تكون شريعتنا أفضل الشرائع. فلأنها إنما نالت ذلك ببركة شريعتها. واتباع نبيها - عليه السلام - ومتى كانت المثمرة أفضل كان الثمر أفضل.

ورابعها: أن الله تعالى جعل عبادة هذه الأمة فى هذه الشريعة على نسق الملائكة - عليهم السلام - وتسوية بين الملائكة وهذه الأمة فى صفة العبادة. فكل الأمم يصلون همجاً من غير ترتيب إلا هذه الأمة. تصلى صفوفاً كما تصلي الملائكة لقوله تعالى إخباراً عن قول الملائكة ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ** ﴾ (١) والشريعة المشتملة على أحوال الملائكة أفضل من غيرها.

فشريعتنا أفضل الشرائع.

وخامسها: أن سائر الأمم أمرت بتطهير الباطن عن الرذائل والأخلاق الشيطانية فقط. وهذه الأمة أمروا بذلك. وزيد لها وحدها الأمر بتطهير الظاهر بالوضوء والغسل، واجتناب النجاسات والقاذورات .

[فالأمم الأخرى] (٢) يقف الراهب يناجى ربه ويتمثل بين يديه لخطابه والعذرة قذرة - قد تحجرت على سوأته والقاذورات قد غلبت على أطرافه وسحنته - حتى لو وقف ذلك الراهب قدام شيخ ضيعته لمقته وقبح حالته - فكيف بملك الملوك ورب الأرباب .

وأمر المسلم إذا ناجى ربه أن يكون نقى الباطن نظيف الظاهر. حسن الهيئة مستقبلاً أفضل الجهات. ملازماً للسكينة والوقار. تاركاً للعبث والنفار، فكل حالته هى إعلام بعمل مع أفضل الملوك:

فإن كان النصرانى لا يدرك الفرق بين هاتين الشريعتين ولا بين الهيئتين

---

(١) سورة الصافات الآيتان ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) زيادة عن الأصل لإتمام المعنى.

فهو معذور. لأنه قد فسد مزاج دماغه بروائح العذرات. وعمى قلبه بملابسه القاذورات فى المطعومات والمشروبات حتى إنهم يقولون ليس ثمة نجاسة البتة. وبمثل هذا وأقل منه تعذر الناس فى فساد عقولهم[1].

وسادسها: أن هذه الشريعة أمرت باستقبال أفضل الجهات. وهو البيت الحرام لأنه أفضل من البيت المقدس لأمور: **منها** أنه أقدم بناء منه بأربعين سنة والتقدم دليل الفضل.

ومنها أن آدم – عليه السلام – تيب عليه عنده بعرفة.

ومنها أن جميع الأنبياء [منذ][2] آدم فمن بعده[3] قد حجه بخلاف البيت المقدس، وجميع الشرائع إنما أمرت بالتوجه فى الصلاة إلى بيت المقدس.

وسابعها: أن الله تعالى جوز فى شريعة موسى – عليه السلام – أن يتزوج الرجل من يشاء من النساء. فراعى مصلحة الرجال دون النساء. فإنهن يتضررن بالغيرة والإهمال إذا كثرن.

وحجر فى شريعة عيسى – عليه السلام – على ما زاد على المرأة الواحدة. فراعى مصلحة النساء دون الرجال. لأنهم يتضررون بالاقتصار على واحدة قد لا تلايم، فيكون فى حيز العدم.

وفى شريعتنا جمع بين مصالح الفريقين، فجعل للرجل أربع نسوة فلا ضرر عليه ولم يكثر ضرر المرأة بأكثر من ثلاث[4].

---

(1) ربما كان ذلك فى عصر المؤلف وما قبله ولكن فى العصر الراهن تقدمت العلوم والمعارف وعرف الناس أهمية النظافة فعمدوا إلى تنظيف أبدانهم وإزالة القاذورات لا على أنها عبادة، وإنما هى عادة تعتادون عليها.

أما المسلمون فقد أمروا منذ بدء الدعوة بتطهير ظاهرهم بالوضوء والغسل واجتناب النجاسات والقاذورات كما ذكر المصنف رحمة الله فهى لدى المسلمين عبادة فهم يختلفون عن غيرهم فى هذا الأمر وسبقوا الأمم بذلك بمئات السنين.

(2) زائدة عن الأصل.

(3) فى الأصل (بون) والصحيح (بعده) لأنه لم يكن هناك أحد قبل آدم.

(4) وشرط الإسلام التعود بالعدل بين الزوجات، ومنعه فى حالة عدم استطاعة العدل فالأصل فى الإسلام الزواج بواحدة والاستثناء هو التعدد، ولا يكون إلا لحاجة، والحاجة تقدر بقدرها والمؤلف رحمه الله قد ذكر اقتصار التعدد على أربع ليبرهن على وسطية الإسلام بين الشرائع السابقة.

فكانت شريعتنا أتم واليهود اليوم لا يزيدون على الأربع تشبيها بالمسلمين.

وثامنها: أن جميع الشرائع إنما يؤذن لهم فى الصلاة فى البيع، وشريعتنا وردت بالصلاة فى كل موضع طاهر فى جميع أقطار الأرض. ومعلوم أن الصلاة فيها تعظيم لله تعالى. وبها نكون أكثر من الأول. لأن الإنسان قد يتعذر عليه البيعة لكونه فى البرية والسفر. أو يتيسر له لكن تبدو له وتفتر عزيمته قبل وصوله إليها. فيكون الصلاة وتعظيم الله تعالى بها فى غاية القلة.

وفى هذه الشريعة جميع الأرض مسجد. فيكون تعظيم الله تعالى وإجلاله فى غاية الكثرة.

فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وتاسعها: أن جميع الشرائع لم تحل فيها الغنائم لأحد - بل تقدم للنيران فتحرقها. وأحلت الغنائم فى هذه الشريعة. ومعلوم بالضرورة أن صون المال عن الضياع والاستعانة على الدين والدنيا به واقع فى نظر الحكمة وأتم فى مراعاة المصلحة.

فتكون هذه الشريعة أفضل الشرائع وهو المطلوب.

وعاشرها: أنا لا نعلم فى شريعة من الشرائع إعلاماً بالأوقات المعينات للصلوات بشىء يشتمل على مصلحة غير الإسلام. فاليهود يعلمون بالبوق. والنصارى بضرب خشبة على خشبة أو نوع آخر من الجمادات يسمونه بالناقوس. وغير هاتين الملتين تعلم بالنار ومعلوم أن هذه الأمور لا تحصل إلا لمصلحة الإعلام.

وشرع فى هذه الشريعة وحدها الآذان. فحصل الإعلام. ومصلحة أفضل وهى الثناء على الملك العلام. وتجديد كلمة الإيمان. وتفخيم قدر رسول الملك الديان. والحض على الصلاة. وجميع سبل النجاة. بقوله حى على الصلاة. حى على الفلاح. والفلاح خير الدنيا والآخرة. وكلمة حى أمر. وتحضيض على ما

بعدها وفيه ايقاظ الغافلين. وانتشار ذكر الذاكرين. بالمجاوبة للمؤذنين وفيه إعلان لشعار التوحيد. وأنواع التمجيد. بدوى الأصوات بين الأرض والسموات على أعلى البنايات. وأين هذا من النفخ فى البوقات. وقراقع الخشبات. ومعلوم أن هذه مصالح جلية ومناقب فضيلة، لم تقرر إلا فى هذه الشريعة المحمدية. وهذه الأمة الطاهرة الزكية. وذلك مما يوجب شرفها على غيرها وهو المطلوب.

ونقتصر على هذه النبذة فى هذا المختصر اللطيف. وإلا فمحاسن الشريعة لا يحصى عددها. ولا يخبوا زندها. وهذا هو آخر الرسالة والجواب عنها.

* * *

الباب الثانى

فى الجواب عن أسئلة عبثوا بها

ولنذكر منها خمسة عشر سؤالا تكميلا للفائدة:

السؤال الأول:

قالوا: اليهود والنصارى أمتان عظيمتان. طبقوا مشارق الأرض ومغابها. وكلهم يخبر أن المسيح عليه السلام صلب، وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب. والإنجيل أيضا مخبر عن الصلب[1].

فإذا جوزتم كذبهم. وكذب مايدعى أنه الإنجيل. وأن مثل هؤلاء ممكن تواطؤهم على الكذب. لزم المحال من وجوه.

أحدها: يتعذر عليكم كون القرآن متواترا.

ثانيها: أن قاعدة التواتر تبطل بالكلية فإن غاية خبر التواتر يصل إلى مثل هذا.

ثالثها: أن إنكار الأمور المتواترة حجد للضرورة فلا يسمع. فلو قال إنسان الخبر عن وجود بغداد ودمشق كذب لم يسمع ذلك منه. وُعدّ خارجا عن دائرة العقلاء. وحينئذ يتعين أن القول بالصلب حق. وأن إخبار القرآن والمسلمين عن عدم ذلك مشكل.

---

(١) متى ٤٧ / ٣٢-٦١ ومرقس ١٥ / ٢٢-٤١ ولوقا ٢٣ / ٢٦-٤٩ ويوحنا ١٩ / ١-٢٧ ونص لوقا: (ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين)، راجع كتاب (العهد الجديد) - طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة ص ١١٦ إصحاح ٢٣ فقرة ٣٣ .

والجواب: من وجوه:

أحدها: أن جميع النصارى واليهود على كثرتهم يوردون هذا السؤال. وهم لا يعلمون حقيقة التواتر ولا شروطه. وإنما فهم ذلك وغيره هذه الأمة المحمدية. والملة الإسلامية لشرفها وعلو قدرها واختصاصها بمعاقد العلوم وأزمتها دون غيرها وها أنا أوضح ذلك

فأقول: التواتر له شروط.

الشرط الأول: أن يكون المَخبرْ عنه أمرا محسوسا. ويدل على اعتبار هذا الشرط أن الأمة العظيمة قد تخبر عن القضايا العظيمة وهى باطلة. كإخبار المعطلة عن عدم الصانع. والمجسمة عن التجسيم. والفلاسفة عن قدم العالم وهم كثيرون. مع بطلانه. وسببه أن مجال النظر بحجة الغير يكثر فيها وقوع الخطأ فلا يثق الإنسان بالخبر عن العقليات حتى ينظر فيجد البرهان القطعى يعضد ذلك الخبر فحينئذ يقطع بصحة ذلك الخبر.

أما الأمور المحسوسة مثل المبصرات ونحوها شديدة البعد عن الخطأ. وإنما يقع الخلل من التواطؤ على الكذب فإذا كان المخبرون يستحيل تواطؤهم على الكذب جعل القطع بصحة الخبر.

الشرط الثانى: استواء الطرفين والواسطة وتحرير هذا الشرط. أن المخبرين لنا إذا كانوا عددا يستحيل تواطؤهم على الكذب. وكانوا هم المباشرين لذلك الأمر المحسوس المخبر عنه حصل العلم بخبرهم.

وإن لم يكن المخبر لنا هو المباشر لذلك الأمر المحسوس. بل ينقلون عن غيرهم أنه أخبرهم بذلك. فلابد أن يكون الغير المباشر عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب. فإنه إن جاز الكذب عليه وهو أصل هؤلاء المخبرين لنا – فإذا لم يبق الأصل. لم يبق الفرع عليه. فلا يلزم من كون المخبرين لنا يستحيل تواطؤهم على الكذب حصول العلم بخبرهم لجواز فساد أصلهم المعتمدين عليه. فيتعين أن يكون الأصل عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب.

فهذا معنى قولنا استواء الطرفين فى كونهما عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب شرط. فإن كان المخبر لنا عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب وأصلهم الذى ينقلون عنه كذلك [لزم التسليم][1] لكن أصلهم لم يباشر ذلك الأمر المحسوس. بل ينقل عن غيره أيضاً. فأصل ذلك الأصل يجب أن يكون عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب أيضاً. لما تقدم. وفى هذه الصورة حصل الطرفان وواسطة فانظر!!

فإن المخبر لنا والمباشر لنا الأول. والواسطة التى. بينهما والوسايط مهما كثرت يشترط كونهم عدداً يستحيل تواطؤهم على الكذب. فينقسم بهذا التحرير التواتر إلى طرف فقط وإلى طرفين بلا واسطة. وإلى طرفين وواسطة. والثلاثة أقسام مشتركة فى هذا الشرط. إذا تقرر حقيقة التواتر.

فنقول: الحس إنما يتعلق بأن هذا مصلوب على هذه الخشبة. وأما إنه عيسى – عليه السلام – نفسه أو غيره. فهذا لا يفيده الحس البتة. بل إنما يعلم بقراين الأحوال إن وجدت أو بإخبار الأنبياء – عليهم السلام – عن الله تعالى الذى أحاط بكل شيء علماً. وأحصى كل شيء عدداً.

والذى يدل على أن الحس لا يفرق بين المتماثلات. أننا لو وضعنا فى إناء رطلاً من الماء أو الزيت أو نحو ذلك وأريناه لإنسان ثم رفعنا ذلك المايع ووضعنا فيه رطلاً آخر من ذلك المايع ثم أريناه لذلك الإنسان. وقلنا له هذا الماء هو عين الماء الأول أو مثله. فإنه إذا أنصف يقول الذى أدركه بحسى أن هذا ماء بالضرورة. أما أنه عين الأول أو مثله فلا أعلم. لكون الحس لا يحيط بذلك. هذا فى المايعات. وكذا كف من تراب. أو أوراق الأشجار أو أنواع الحبوب كالحنطة إذا أخذ منها حفنتان ونحو ذلك.

وكذلك الحيوانات الوحشية شديدة الالتباس على الحس. إذا اتحد النوع فى

---

(١) ما بين المعقوفتين ليست فى الأصل وهى من إضافة المحققين.

اللون والسن والغلظ. وإنما كثرت الفروق فى الحيوانات الانسية. وسر ذلك أن أسباب النشأة فى الوحشية مشتركة. كالمياه والمراعى والبرارى. والحيوان الإنسى يختلف ذلك فيه بحسب مقتنيه اختلافاً كثيراً فينشأ بحسب دواعى بنى آدم فى السعة والضيق وإيثار نوع من العلف على غيره. ومكان مخصوص على غيره وإلزام الحيوان أنواعاً من الأعمال والرياضة دون غيرها. فيختلف الحيوان الإنسى بحسب ذلك.

ثم يتصل ذلك بالنطف فى التوليد. مضافاً إلى ما يحصل للولد من داعية مريبة فيعظم الاختلاف، والحيوان الوحشى سلم عن جميع ذلك، فتشابهت أفراد أنواعه، ولا يكاد الحس يفرق بين نوعين منه البتة. إذا تقرر أن الحس لا سلطان له على الفرق بين المثلين ولا التمييز بين الشيئين. فيجب القطع أن كون المصلوب هو خصوص عيسى عليه السلام. دون شبهة أو مثله ليس مدركاً بالحس. وإذا لم يكن مدركاً بالحس. جاز أن يخرق الله تعالى العادة لعيسى عليه السلام بخلق شبهه فى غيره كما أخرق العادة فى إحياء الموتى[1] وغيره، ثم يرفعه ويصونه عن إهانة أعدائه. وهو اللائق بكريم آلائه فى إحسانه. لخاصة أنبيائه وأوليائه. وإذا جوز العقل مثل هذا. مع أن الحس لا مدخل له فى ذلك. بقى إخبار القرآن الكريم عن عدم الصلب سالماً من كل معارض. مؤيد بكل حجة. وسقط السؤال بالكلية.

وثانيها: سلمنا أن الحس يتعلق بالتفرقة. بين المثلين والتمييز بين الشبيهين. لكن لا نسلم أن العدد المباشر للصلب كانوا بحيث يستحيل تواطؤهم على الكذب ويدل على أنهم ليسوا ذلك. أن الحواريين فروا عنه لأنه لو

---

(١) معجزة أحياء الموتى معترف بها لدى المسلمين واليهود والنصارى وذكرتها كتبهم الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل. [سورة البقرة آيات ٧٢، ٧٣، ٢٦٠، انجيل متى ٩/٢٣-٢٥ وانجيل: لوقا ٨/٤٩-٥٥، وغير ذلك].

وجد أحد منهم لقتله اليهود. فحينئذ عدد التواتر متعذر من جهة شيعة النصارى. فخبر النصارى عن أسلافهم لا يفيد علماً. بل هو حرز وتخمين لا عبرة به. ولذلك قال الله تعالى: ﴿ **وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه** ﴾ [١] أى هم لا يتيقنون ذلك. بل يحزرونه بالظن والتخمين[٢].

وأما من جهة الملة اليهودية. فلأن المباشر منهم للصلب. إنما هم الوزعة وأعوان الولاة، وذلك فى مجرى العادة يكون نفرا قليلا كالثلاثة. ونحوها يجوز عليهم الكذب. ولا يفيد خبرهم العلم، وبكون. العادة خولفت، وخرج للصلب عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب يفتقر إلى نقل متواتر، فانه لو وقع ونقل بأخبار الآحاد- لم يحصل لنا علم بالصواب، فان المتواترات إذا نقلت بأخبار الآحاد. سقط اعتبارها فى إفادة العلم لجواز كذب الناقل. فلا يكون عدد التواتر حاصلا فى نفس الأمر.

والنصارى واليهود وإنما يعتمدون على التوراة والإنجيل[٣]، ولا يوجد يهودى ولا نصرانى على وجه الأرض يروى التوراة والإنجيل عدلا عن عدل إلى موسى أو عيسى - عليهما السلام - وإذا تعذر عليهم رواية العدل عن العدل. فأولى أن يتعذر التواتر: ولم يبق فى الكتابين إلا أخبار وتواريخ بعيدة الزمان جدا بحيث إن التواريخ الإسلامية. أصح منها لقرب عهدها.

مع انه لا يجوز الاعتقاد فى وقوع فروع الديانات على شىء من التواريخ فضلا عن أصول الأديان. وإذا ظهر أن مستند هذين الأمتين العظيمتين فى العدد فى غاية الضعف. كان فى إخبارها فى نفسها فى غاية الضعف. ولأن الفرع لا يزيد على أصله.

---

(١) سورة النساء آية ١٥٧ .

(٢) لوقا ٢٣/ ٢٦ - ٤٩ ومرقص ١٥/ ٢٢ - ٤١ .

(٣) أى يعترف اليهود بالتوراة، ويعترف النصارى بالتوراة والانجيل.

وثالثها: أن نصوص الإنجيل والكتب النصرانية متظافرة دالة على عدم صلب عيسى عليه السلام بخصوصه وذلك من وجوه.

الأول: قال لوقا: صعد يسوع إلى جبل الجليل ومعه بطرس. ويعقوب ويوحنا فبينما هو يصلى إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه. وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق. وإذا موسى بن عمران وإيلياء قد ظهرا له[1]. وجاءت سحابة فأظلتهم فوقع النور على الذين معه.

فظهور الأنبياء عليهم السلام وتظليل السحاب. ووقوع النوم على التلاميذ دليل على الرفع إلى السماء. وعدم الصلب وإلا فلا معنى لظهور هذه الآيات.

الثاني: ما فى الأناجيل أن المصلوب استسقى اليهود فأعطوه خلا مذاقا بمر فذاقه ولم يسغه. فنادى إلهى إلهى لم خذلتنى[2]، والأناجيل مصرحة بأنه عليه السلام كان يطوى أربعين يوما وأربعين ليلة

ويقول للتلاميذ إن لى طعاما لستم تعرفونه. ومن يصبر أربعين يوما على الجوع والعطش. كيف يظهر الحاجة والمذلة والمهانة لأعدائه وأعداء الله. بسبب عطش يوم وليلة. فانه عندهم لم يمكث على الخشبة أكثر من يوم وليلة. لإجماع الأناجيل على أن الصلب فى الساعة الثالثة. من يوم الجمعة ثم أنزل من يومه.

---

(١) مرقس ٩/ ١ : ٨، وانظر متى ١٧/١-٣ والنص فى متى [وبعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم جبل عال منفردين. وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور، وإذا موسى وايلياء قد ظهرا لهم يتكلمان معه].

وانظر لوقا ٩/٢٨-٣١ والأناجيل الثلاثة تختلف فى اللفظ ولكن المعنى واحد.

(٢) متى ٢٧/٣٢-٥٦ ويوحنا ١٩/١-١٦ ومرقس ١٥/٣٤.

والنص فى مرقس (وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: «إلوى، إلوى، لما شبقتنى؟ «الذى تفسيره الهى، إلهى، لماذا تركتنى» .

والنص فى متى: (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: إيلى، إيلى، لما شبقتنى؟ أى الهى، اهى، لماذا تركتنى).

ودفن ليلة السبت وأقام يوم السبت كله مدفونا . ثم طلب ليلة الأحد بغلس فلم يوجد .

ومنهم من قال أقام ليلة الأحد . هذا مالا يفعله أدنى الناس فكيف بخواص الأنبياء، فكيف بالرب تعالى عما يدعونه . فيكون حينئذ المدعى للعطش غيره وهو المطلوب .

الثالث : قوله إلهي إلهى لم خذلتني فتركتني . وهو كلام يقتضى عدم الرضا بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى . وعيسى عليه السلام منزه عن ذلك . فيكون المصلوب غيره لاسيما وهم يقولون إن المسيح عليه السلام . إنما تعنى ونزل ليؤثر العالم بنفسه[1]، ويخلصه من الشيطان ورجسه .

فكيف يروون عنه أنه تبرم بالإيثار . واستقال من العثار . مع روايتهم فى توراتهم . أن إبراهيم . وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم فرحين بانقلابهم إلى سعيهم ثم لم يجزعوا من الموت ولا هابوه . ولا استقالوا مذاقه ولا عابوه . مع أنهم عبيده والمسيح بزعمهم ولد ورب . فكان ينبغى أن يكون أثبت منهم ولما لم يكن كذلك دل على أن المصلوب غيره وهو المطلوب .

السؤال الثانى :

قالوا القول بالقاء الشبه على غير عيسى – عليه السلام – يفضى إلى السفسطة . والدخول فى الجهالات وما لا يليق بالعقلاء، وبيان ذلك أنا إذا جوزنا إلقاء شبه الإنسان على غيره . فإذا رأى الإنسان ولده لم يثق بأنه ولده، ولعله غيره، ألقى عليه شبه ولده، وكذلك القول فى امرأته وسائر معارفه . لا يثق الإنسان بأحد منهم . ولا يسكن إليهم .

---

(١) النصوص التى ينقلها المؤلف تختلف أحيانا عن النصوص الحالية . مما يوضح أن التوراة والإنجيل التى كانت متداولة أيامه تختلف عن الحالية، حتى إن طبعات الكتب المقدسة حاليا يختلف بعضها عن بعض .

وعن خلاص العالم يقول يوحنا ١ / ٢٩، (هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم .

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان يقطع بأن ابنه هو ابنه. وأن كل واحد من معارفه هو هو من غير شك ولا ريبة. بل القول بالشبه يمنع من الوثوق بمدينة الإنسان ووطنه إذا دخله. ولعل مكانا آخر ألقى عليه الشبه.

فلا يثق بوطنه ولا بسكنه ولا بشيء مما يعرفه ويألفه. بل إذا غمض الإنسان عينه عن صديقه بين يديه ثم فتحها فى الحال ينبغى له أن لا يقطع بأنه صديقه. لجواز أن يلقى شبهه على غيره. لكن جميع ذلك خلاف الضرورة. فيكون القول بالشبه خلاف الضرورة فلا يسمع كالقول بأن الواحد نصف العشرة.

والجواب: من وجوه:

أحدها: أن هذا تهويل ليس عليه تعويل. بل البراهين القاطعة والأدلة الساطعة قائمة على أن الله تعالى خالق الإنسان وجملة أجزاء العالم. وأن حكم الشيء حكم مثله. فما من شيء خلقه الله تعالى فى العالم إلا وهو قادر على خلق مثله. إذ لو تعذر خلق مثله لتعذر خلقه فى نفسه فيلزم أن يكون خلق الإنسان مستحيلا بل جملة العالم وهو محال بالضرورة.

وإذا ثبت أن الله تعالى قادر على خلق مثل لكل شيء فى العالم فجميع صفات جسد عيسى – عليه السلام – لها أمثال فى حيز الإمكان فى العدم يمكن خلقها فى محل آخر غير جسد عيسى عليه السلام، فيحصل الشبه قطعا. فالقول بالشبه قول بأمر ممكن. لا بما هو خلاف الضرورة. ويؤنس ذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق جميع ما للحية من عصى موسى عليه السلام(1)، وهو أعظم من الشبه. فإن جعل حيوان يشبه حيوانا. أقرب من جعل نبات يشبه حيوانا. وقلب العصا مما أجمع عليه اليهود والنصارى. كما أجمعوا على قلب النار

---

(1) خروج ٤ /٢-٥ (فقال له الرب: ما هذا الذى فى يدك؟ قال عصا. قال: ألقها على الأرض. فألقاها على الأرض فصارت حية. فهرب موسى من وجهها. فقال الرب لموسى: مد يدك وامسك بذنبها. فمد يده وأمسك بها فعادت عصا فى يده).

لإبراهيم عليه السلام بردا وسلاما، وعلى قلب لون يد موسى عليه السلام[١]، وعلى انقلاب الماء خمرا وزيتا للأنبياء عليهم السلام، وإذا جوزوا مثل هذا فيجوز إلقاء الشبه من غير استحالة.

وثانيها: أن الإنجيل ناطق بأن المسيح عليه السلام. نشأ بين أظهر اليهود وكان فى مواسمهم وأعيادهم وهياكلهم يعظمهم ويعلمهم. ويناظرهم. ويعجبون من براعته وكثرة تحصيله حتى يقولون أليس هذا ابن يوسف؟ أليست أمه مريم؟ أليس إخوته عندنا فمن أين له هذه الحكمة[٢].

وإذا كان فى غاية الشهرة والمعرفة عندهم. وقد نص الإنجيل على أنهم وقت الصلب لم يحققوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهما ليدلهم عليه[٣]، فجاء ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان. ومعه جماعة من الهيود معهم السيوف والعصى من عند رؤساء الكهنة وقال لهم التلميذ واسمه يهوذا - الرجل - الذى أقبله هو مطلوبكم فامسكوه فلما جاء قال السلام عليكم يا معلم الخير ثم قبله. فقال له يسوع ألهذا جئت يا صاحب. فوضعوا أيديهم عليه وربطوه فتركه التلاميذ كلهم وهربوا.

وتبعهم بطرس من بعيد، فقال له رئيس الكهنة بالله الحى أنت المسيح. فقال له المسيح أنت قلت ذاك. وأنا أقول لكم إنكم من الآن ترون ابن الانسان حتى تروه جالسا عن يمين القوة آتيا فى سحاب السماء[٤].

فهذا اللبس العظيم بعد تلك الشهرة العظيمة نحو ثلاثين سنة فى المحاورات العظيمة والمجادلات البالغة أيدل على وقوع الشبة قطعا.

وثالثها: أن فى الإنجيل أنه أخذ فى حندس من الليل مظلم. من بستان

---

(١) خروج ٤/٦-٨. (وقال له الرب أيضا: أدخل يدك فى عبك فادخل يده فى عبه ثم أخرجها فإذا يده برصاء كالثلج ... إلى قوله: ثم عادت كسائر جسده).

(٢) لوقا ٤/٢٢.

(٣) متى الإصحاح ٢٦/١٤-١٦ ونص متى (حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الأسخريوطى إلى رؤساء الكهنة وقال: ماذا تريدون: تعطونى وأنا أسلمه اليكم، فجعلوا له ثلاثين من الفضة).

(٤) متى ٢٦/٤٧-٥٦.

فشوهت صورته وغيرت محاسنه بالضرب والسحب وأنواع النكال. ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه. فكيف بين الشيء وشبهه. فمن أين للنصارى أواليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى - عليه السلام - دون شبه. بل إنما يحسن الظن والتخمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١).

رابعها: قال يوحنا: كان يسوع - عليه السلام - مع تلاميذه بالبستان فجاء اليهود فى طلبه فخرج إليهم - عليه السلام - وقال لهم من تريدون قالوا يسوع. وقد خفى شخصه عنهم. ففعل ذلك مرتين وهم ينكرون صورته(٢)، وذلك دليل الشبه.

ورفع عيسى عليه السلام لا سيما وقد حكى بعض النصارى أن المسيح - عليه السلام - قد أعطى قوة التحول من صورة إلى صورة.

وخامسها: قال متى: بينما التلاميذ يأكلون طعاما مع يسوع - عليه السلام - قال: كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتفترق الغنم. فقال بطرس لو شك جميعهم لم أشك أنا. فقال يسوع: الحق أقول لك: إنك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك(٣).

فقد شهد عليهم بالشك. بل على خيارهم بطرس فانه خليفته عليهم. فقد انخرمت الثقة بأقوالهم وجزمهم بعدم. إلقاء الشبه على غيره وصح قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء الآيتان ١٥٧ - ١٥٨ .   (٢) يوحنا ١٨/٤-٨ .

(٣) متى ٢٦/٣١-٣٥ ونص متى (حينئذ قال لهم يسوع: كلكم تشكون فيَّ هذه الليلة لأنه مكتوب أنى أضرب الغنم فتبدد خراف الرعية، ولكن بعد قيامى اسبقكم إلى الجليل فأجاب بطرس: وإن شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبدا. فقال له يسوع: الحق أقول لك: إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات).

(٤) سورة النساء الآية ١٥٧ .

وسادسها: أن فى الانجيل لمتى يهوذا دل عليه بثلاثين درهما دفعها إليه اليهود، وزاد مرقس أنهم لم قبضوه تخلى عنه التلاميذ وهربوا فاتبعه شاب عريان وهو ملتف فى ردائه فراموا قبضه فأسلم الرداء ونجا عريان[١].

وزاد لوقا أن بيلاطس القائد لما علم أنه من طاعة هيرودس بعثه إليه. وزاد يوحنا: أن المسيح عليه السلام تقدم للجماعة وقال لهم: من تريدون؟ فقالوا يسوع فقال أنا هو. وكان يهوذا الدال عليه واقفا معهم. فلما قال لهم أنا هو قهقروا إلى خلف فتساقطوا فى الأرض

ثم سألهم وقال من تريدون فقالوا يسوع. فقال قد قلت لكم أنا هو فان كنتم إنما تريدوننى فأطلقوا هؤلاء.

وذكر لوقا: أن يهوذا الدال عليه لما بصر ما فعل له ندم ورد الدراهم – جميعا – وقال أخطأت إذا بعت دما صالحا. فقالوا له ما علينا أنت برىء فألقى الدراهم فى البيت وتوجه إلى موضع خنق فيه نفسه[٢].

فنقول: هذه الأناجيل ليست قاطعة فى صلبه بل فيها اختلافات[٣]:

منها أنه يحتمل أن يهوذا كذب لهم فى قوله هو هذا. ويدل على وقوع ذلك ويقويه. ظهور الندم بعد هذا. وقول المسيح عليه السلام له يا صديق لم أقبلت. ولو كان مصرا على الفساد لما سماه صديقا. ولأن الإنجيل شهد أن المسيح – عليه السلام – شهد للتلاميذ الاثنى عشر بالسعادة وشهادته حق. والسعيد لا يتم منه هذا الفساد العظيم إذا شرع فيه. ويهوذا أحد الاثنى عشر فيلزم إما كون يهوذا ما دل عليه أو كون المسيح عليه السلام ما نطق بالصدق أو أن كتابكم محرف. اختاروا واحدة من هذه الثلاثة[٤].

ومنها أنه يحتمل أن المسيح عليه السلام ذهب فى الجماعة الذين أطلقهم

---

(١) مرقس ١٤/ ٥٠–٥٢. (٢) متى ٢٧/ ٣–٥.

(٣) هناك اختلاف فى رواية التسليم والصلب بين الأناجيل حسب ما ذكر عاليه وما يجئ بعده، وكذا اختلاف الكتب الحديثه عن الكتب التى نقل منها المؤلف رحمه الله.

(٤) وهذا يدل على شدة الاختلاف بين روايات الصلب.

الأعوان. وكان المتكلم معهم ممن يريد أن يبيع نفسه من الله تعالى وقاية للمسيح عليه السلام. وهذا ليس ببعيد فى أتباع الأنبياء – عليهم السلام – لا سيما أتباع الاله على زعمهم.

ومنها أن الأعوان اتخذوا عليه رشوة وأطلقوه كما أخذوا رداء الشاب المتقدم ذكره واطلقوه. وإذا نقلتم أن يهوذا التلميذ مع جلالته قبل الرشوة على أن يعين على أخذه فقبول الأعوان الرشوة فى إطلاقه أقرب.

ومنها أنه يحتمل أن الله صور لهم شيطانا أو غيره بصورته وصلبوه. ورفع المسيح عليه السلام ويدل على ذلك انهم سألوه فسكت[1] وفى تلك السكتة تغيبت تلك الصورة. وهذا ممكن والله تعالى على كل شىء قدير.

وأنتم ليس عندكم نصوص قاطعة بصلبه لما بينا فيها من الاحتملات واليهود أيضا ليسوا قاطعين بذلك. لأنهم إنما اعتمدوا على قول يهوذا فأى ضرورة تدعوكم إلى إثبات أنواع الإهانة والعذاب فى حق رب الأرباب على زعمكم أيها الدواب. الذى يفضى من ضعف عقولهم العجب العجاب».

---

(١) مرقس ١٤ / ٦٠–٦٣، ونصه:

(ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين: نحن سمعناه يقول: إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى. وفى ثلاثة أيام ابنى آخر غير مصنوع بأياد. ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا: أما تجيب بشئ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك؟ أما هو فكان ساكنا ولم يجب بشئ فسأه رئيس الكهنة أيضا وقال له «أأنت المسيح ابن المبارك؟ فقال يسوع: أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء»

وفى إنجيل متى: ٢٦ / ٦٢–٦٥: (ولكن أخيرا تقدم شاهدا زور وقالا: هذا قال: إنى أقدر أن انقض هيكل الله. وفى ثلاثة أيام أبنيه. فقام رئيس الكهنة وقال له: أما تجيب بشئ؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكنا. فأجاب رئيس الكهنة وقال له: استحلفك بالله الحى أن تقول لنا: هل أنت المسيح ابن الله؟ قال له يسوع: أنت قلت. وأيضا أقول لكم: من الآن تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء)

وانظر الفرق بين الروايتين فى الشهود وفى جملة ابن الله وابن المبارك وفى إجابة المسيح فى الأولى قال: أنا هو وفى الثانية قال: أنت قلت (أى أنت الذى تقول وليس أنا)!! ومثل ذلك كثير.

عجبى للمسيح بين النصارى	وإلى أى والد نسبوه
أسلموه إلى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلبوه
وإذا كان ما يقولون حقا	وصحيحا فأين كان أبوه
حين خلى ابنه رهين الأعادى	أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلئن كان راضيا بأذاهم	فاحمدوهم لأنهم عذبوه
ولئن كان ساخطا فاتركوه	واعبدوهم لأنهم غلبوه

وهذه الأبيات برهان قاطع على النصارى لا يحتاج معها إلى شىء آخر فلقد أصبحوا هزءة للناظر. ومصنعة للمناظر. ولله سر فى إبعادهم عن مقام الكرامة. وتخصيصهم تخصيص السخط والندامة لما طبعوا عليه من الجهالة واللامة.

السؤال الثالث:

يشترك فيه اليهود والنصارى. وهو أن المسلمين يدعون أن الشريعة المحمدية نسخت كثيرا من أحكام التوراة. كتحريم الشحوم ولحوم الإبل. وصيد السبت. ومخالطة الحائض. وتحريم اليسير من الخمر ونحو ذلك[1] وهو محال لأن القول بالنسخ يقتضى تجويز البدء أو الندم على الله تعالى. وهو محال فالنسخ محال. فتكون شريعة التوراة مستمرة إلى قيام الساعة. والشريعة المدعية للنسخ باطلة وهو المطلوب.

ثم إنا نقول: الفعل إن كان مصلحة حسنة – وهو حسن – فى نفسه وجب أن لا يحرم أو مفسدة – فى نفسه – وجب أن لا يؤمر به. فالقول بالنسخ يؤدى إلى انقلاب الحقائق بأن يصير الحسن قبيحا. وقلب الحقائق محال. فالنسخ محال.

وأيضا كلام الله تعالى قديم. وحكمه كلامه فيكون الأمر والنهى قديمين

---

(١) تثنية ١٤/٧–٢٥.

فيجتمع الأمر والنهى فى الفعل الواحد وهو محال. فيكون النسخ المفضى إليه محال وهو المطلوب.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن النسخ ليس فيه بداء ولا ندم لأن البداء والندم أن يظهر ما لم يكن ظاهرا قبل ذلك. كما يبدوا للانسان فى سفره أو يندم عليه إذا ظهر له أن الإقامة هى المصلحة، وقبل ذلك كان جاهلا لمصلحة الإقامة والله سبحانه وتعالى بكل شيىء عليم. فالبداء والندم عليه محالان.

لكن معنى النسخ أنه سبحانه علم فى الأزل أن تحريم الشحوم مثلا مصلحة للمكلفين فى الزمن الفلانى - مفسدة للمكلفين فى الزمن الفلانى - ويعلم فى الأزل أنه تعالى يشرعه فى وقت المصلحة وينسخه وقت المفسدة. فالحكم الناسخ والحكم المنسوخ كلاهما معلوم لله تعالى أزلا وأبدا. ولم يتجدد فى العلم ما لم يكن معلوما حتى لزم البداء. بل الأحكام تابعة لمصالح الأوقات. واختلاف الأمم. وليس فى هذا شيىء من المحال.

وثانيها: اتفاق اليهود والنصارى على أن آدم عليه السلام شرع الله تعالى له تزويج الأخ من أخته التى ليست توأمته. مع اتفاقنا على تحريم ذلك بعد آدم - عليه السلام[1]، وهذا هو حقيقة النسخ فقد اعترفوا به فلا يكون محالا على الله تعالى.

وثالثها: أن من أحكام التوراة أن السارق إذا سرق فى المرة الرابعة تثقب أذنه ويباع. وقد اتفقنا على نسخ ذلك فيكون النسخ جائزا إجماعا فلا يكون محالا على الله تعالى.

---

(١) التحريم ورد فى القرآن، أما قبل ذلك فقد ذكرت التوراة ان ابراهيم عليه السلام تزوج سارة أخته لأبيه (تكوين ٢٠/ ١٢ والجمع بين الاختين كما فى (تكوين ٢٩/ ١٥-٣٠) فقد ذكر أن يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين ليئة وراحيل فى قصة غريبة خدع فيها لابان ابن أخته يعقوب بأن زوجه ليئة وكان قد خطب منه راحيل، ثم زوجه بعد ذلك راحيل مقابل خدمته سبع سنوات، كما كان قد خدم سبع قبل ذلك (راجع القصة فى سفر التكوين).

ورابعها: أن فريقى النصارى واليهود متفقان على أن فى التوراة أن الله تعالى قد أبدل ذبح ولد إبراهيم بالكبش(١)، وذلك أشد أنواع النسخ لأنه نسخ قبل فعل شيىء من نوع المأمور أو أفراده. وإذا شهدت التوراة بأشد أنواع النسخ فجواز غيره بطريق الأولى.

خامسها: فى التوارة أن الجمع فى النكاح بين الحرة والأَمَة كان جائزا فى شرع إبراهيم عليه السلام لجمعه بين سارة الحرة وهاجر الأمة وقد حرمته التوراة.

وسادسها: أن فى التوراة قال الله تعالى لموسى عليه السلام: أخرج أنت وشعبك من مصر لترثوا الأرض المقدسة التى وعدت بها أباكم إبراهيم أن أورثها نسله فلما صاروا إلى التيه قال الله تعالى لا تدخلوها لأنكم عصيتموتى(٢) وهو عين النسخ.

وسابعها: تحريم السبت فانه فلم يزل العمل مباحا إلى زمن موسى عليه السلام وهو عين النسخ.

وثامنها: أن فى التوراة ما هو أشد من الندم والبدأ. ففيها مرض ملك اليهود حزقيال. وأوحى الله تعالى إلى أشعياء عليه السلام قل لحزقيال يوصى فإنه يموت من علته هذه فأخبره فبكى حزقيال وتضرع فأوحى الله تعالى إلى أشعياء أنه يقوم من علته وينزل إلى الهيكل بعد ثلاثة أيام وقد زيد فى عمره خمس عشرة سنة ومثله فى التوراة كثير.

وتاسعها: فى السفر الأول لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهن قال الله تعالى لا تسكن الروح بعدها فى بشر وإقامتهم مائة وعشرين سنة،

---

(١) تكوين ٢٢ / ٩–١٣ ، والتوراة تذكر ان الذبيح اسحق والصحيح ان الذبيح اسماعيل كما حكى القرآن الكريم، والمقصود بالاستدلال هنا هو استبدال الابن بالكبش تقول التوراة: (فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه.. فذهب ابراهيم وأخذ الكبش واصعده محرقه عوضا عن ابنه).

(٢) خروج ٦ / ٨–١٠ فى سفر الخروج والوعد بالارض المقدسة وفى سفر العدد نسخة.

فأخبرت التوراة أنه لا يعيش أحد أكثر من هذا ثم أخبرت أن أرفخشد عاش بعد ما ولد له سالح أربع مائة وثلاث سنين. وأرغو مائتى سنة وإبراهيم عليه السلام مائة سنة وخمس وسبعون[1] وذلك كثير فى التوراة، وإذا صرحت توراة اليهود بمثل هذه الأمور لا يسمع كلامهم بعد ذلك فى النسخ.

وعاشرها: أن النسخ على وفق رعاية المصالح. ورعاية المصالح جائزة على الله تعالى. وبيان أن النسخ على وفق رعاية المصالح أن الأمم يختلفون فى القوة والضعف واليسار والإعسار ولين القلوب وغلظها وإقبالها وعتبها. بل الانسان الواحد تختلف أحواله فى الأزمنة المختلفة.

فإذا شرع الله تعالى حكما لمعنى ثم تغير ذلك فمقتضى رعاية المصالح نسخ ذلك الحكم إلى ضده أو نقيضه كما وجب الذبح على إبراهيم لإسماعيل عليه السلام. ليظهر الإنابة والتسليم لقضاء الله تعالى من الاثنين. فلما ظهر ذلك – منهما– وحصلت مصلحة الابتلاء فرعاية المصالح تقتضى نسخ وجوب الذبح فيكون النسخ على وفق رعاية المصالح.

وأما انه إذا كان على وفق رعاية المصالح يكون جائزا فلأن رعاية المصالح جائزة على الله تعالى إجماعا. وإنما اختلف الناس هل تجب أم لا؟ ومذهب أهل الحق عدم الوجوب لما قد تقرر فى أصول الدين.

السؤال الرابع:

قال النصارى واليهود. القرآن يشتمل على ما ليس بصحيح فلا يكون من عند الله. وبيان اشتماله على ذلك، ما ينقله المسلمون عنه من قوله تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ [2] ومريم ليست ابنة عمران. لأن

---

(١) خمسة وسبعون ساقطة من الأصل – راجع سفر التكوين ٢٥/ ٧ –٨ (وهذه أيام سنى حياة إبراهيم الذى عاشها مائة وخمسة وسبعون سنة وأسلم إبراهيم روحه ومات)، وفى رواية الكتاب المقدس طبعة دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠ (وهذه أيام سنى حياة إبراهيم التى عاشها مئة سنة وخمس وسبعون سنة ثم فاضت روحه ومات بشيبة طيبة) ص ١٠٤ .

(٢) سورة التحريم آية ١٢ .

عمران أبو موسى عليه السلام. وبين موسى عليه السلام ومريم - رضى الله عنها - نحو ست مائة سنة فأين عمران من مريم رضى الله عنها حتى يكون أباها.

والجواب من وجهين.

احدهما: نقل أن أباها - رضى الله عنها - كان اسمه عمران ولا يلزم من أن اسم أبى موسى عمران أن لا يسمى غيره عمران وأعتقاد وجوب ذلك جهل.

ثانيهما: سلمنا أن اسم أبيها ليس عمران. إلا أن عمران أبو موسى عليه السلام جدها من بنى إسرائيل. والإنسان يضاف لجده البعيد كما يضاف لجده القريب ولو لا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل فى تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب عليه السلام ببنى إسرائيل. لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل ولم يلدهم. بل بينه وبينهم المئون من السنين. ومع ذلك فكل ما جاء إلى يوم القيامة يسمى من بنى إسرائيل وهذا لاغرو فيه.

وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات. وكذلك كل إنسان يوجد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام. ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الانسان إلى أحد أجداده دون أبيه. إذا كان أشرف أو أشهر. وعمران عليه السلام كان فى غاية الشهرة. فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء. ومحل الابتلاء فيها دون غيرها.

والسؤال الخامس:

قال اليهود والنصارى مما يستدرك على المسلمين ما فى كتابهم من جعل مريم رضى الله عنها أخت هارون صلوات الله عليه. وبينهما ست مائة سنة فلا تكون أخته. فكيف يخبر كتابهم بأنها أخته؟

والجواب من وجهين:

أحدهما: أنه روى أنه كان فى زمانها عابد يسمى هارون وكانت رضى الله عنها فى غاية العبادة. فلما جاءت بعيسى عليه السلام من غير زواج. واتهمها -

رضى الله عنها – بنوا إسرائيل بالزنا. قيل لها « يا أخت هارون » أى فى العبادة ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾(١).

متعجبين كيف يصدر القبيح من غير محله وأصل الأخوة التساوى فى الصفة.

منه قوله تعالى.. ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ (٢) أى مساويتها فى الكفر. ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾(٣) أى مساويتها فى الدلالة وتقول العرب: هذه العروة أخت تلك العروة. وهذه الواقعة أخت تلك الواقعة. وهذه النعل أخت تلك النعل. ومنه مواخاة الفواصل فى السجع وغيره. وأصل ذلك كله المساواة. وسمى أخو النسب أخا. لمساواته آخاه فى الخروج من تلك البطن لأمهما. أو ذلك الظهر لأبيهما ولما اجتمعت المساواة فى الصفتين للشقيق قويت الأخوة فيه. فسمى شقيقا كالعصا إذا شقت بنصفين فان المساواة بينهما فى غاية القوة. وقيل لآخر: أخ لأب وللآخر أخ لأم. إشارة للجهة التى وقعت فيها المساواة.

فلما حصلت المساواة بين مريم رضى الله عنها وبين ذلك العابد. سميت أخته على القاعدة، وقيل كان فى ذلك الزمان فاسق يسمى هارون. فلما اعتقدوا فيها التهمة جعلوها أخته أى فى ذلك الفعل القبيح.

وثانيهما: قيل إنها من ذرية موسى عليه السلام. وهو أخو هارون. فقيل لها أخت هارون، كما جاء فى التوراة فى الفصل الحادى عشر فى السفر الخامس، أن الله تعالى قال إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامى

---

(١) سورة مريم آية ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف آية ٣٨ .

(٣) سورة الزخرف آية ٤٨ .

على فيه[1]، وأخوة بني إسرائيل بجملتهم، هم بنوا اسماعيل. فجعل بني أخي أبيهم إخوتهم. فكذلك سميت مريم رضى الله عنها أخت هارون عليه السلام.

السؤال السادس:

قالت النصارى: وافقنا المسلمون على أن المسيح عليه السلام كان يحيى الموتى، وأحياء الموتى مختص بالله تعالى. فيصح قولنا إن المسيح هو الله تعالى ويبطل قول المسلمين أنه عبد الله من عبيد الله. لأن إحياء الموتى دليل قاطع على ذلك ولذلك بعث الله النبيين على كثرتهم. ولم يكن فيهم من يحيى الموتى[2]، فدل ذلك على أن الإحياء لا يكون إلا لله.

ولذلك إن النمرود لما تعدى طور العبودية حاجه إبراهيم عليه السلام بأن الله يحيى – ويميت –ولولا أن الإماتة والإحياء خاصان بالله تعالى لم يحسن ذلك من إبراهيم عليه السلام. وحيث وافق المسلمون على صحة ذلك قامت الحجة القاطعة على المسلمين بربوبية المسيح عليه السلام. وصحة قول النصارى، وإن المسلمين هم المشركون. بجعلهم مع الله من يشاركه فى إحياء الموتى. وأن النصارى هم الموحدون. لأنهم لم يشركوا مع الله – تعالى غيره فى خواص ملكه.

وهو سؤال عظيم على المسلمين مثبت لشركهم ووحدانية النصارى. وأعظم دليل على صحته تصديق القرآن لصحته بقوله تعالى ﴿**قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[3] فجعل تعالى الإحياء لمن له الإنشاء. وعيسى عليه السلام أحياها. فيكون أنشأها أول مرة وهذا هو الله قطعا والعجب من المسلمين كيف يغفلون عن مثل هذا وهو صريح القرآن.

والجواب من وجوه:

---

(١) سفر التثنية ١٨/١٧-١٩ (فقال لى الرب قد أحسنوا فيما قالوا: سأقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به).

(٢) هناك أنبياء ذكرتهم التوراة أحيوا الموتى والقرآن: ذكر ان ابراهيم عليه السلام أحيا الطير بعد موته وكل ذلك بإذن الله وامره وليس بقدرة النبى أو غيره.

(٣) سورة يس آية ٧٩ .

أحدها : أنكم لم تفهموا قول الله تعالى فى القرآن. ولا قول المسلمين إن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى. فان المسلمين من أولهم إلى آخرهم متفقون على أن الإحياء والإماتة لا يكونان إلا لله تعالى. ويستحيل أن يجعل ذلك لأحد من الخلق كائنا من. وأن عيسى – عليه السلام – لم يحى قط ميتا ولا أبرأ أكمه ولا أبرص. وإنما الفاعل لهذه الأمور هو الله تعالى عند إرادة المسيح عليه السلام. لا أن المسيح عليه السلام كان يفعل ذلك. كما أن موسى عليه السلام لم يكن يقلب لون يده، ولم يحول جمادية عصاه بل الله تعالى هو الفاعل لذلك عند إرادته المعجزة فى اختصاص إرادتهما بهذه الآثار، لا أنهما الفاعلان لها. فهذا معنى قوله تعالى وقول المسلمين إن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص.

ومن جملة جهالات النصارى اعتقادهم أنه عليه السلام كان هو الفاعل لنفس الإحياء والإبراء ولا عجب فى ذلك فإن جهلهم أعظم من هذا، فالذى حاج به إبراهيم عليه السلام النمرود. إنما هو نفس الإماتة والإحياء اللذان هما خاصتان بالله تعالى فليعلم ذلك. ولذلك حسن احتجاجه عليه السلام. وكذلك المراد نفس الإحياء فى قوله تعالى ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (١). فلا يحيي على الحقيقة إلا المنشىء فاندفع الإشكال. واجتمعت النصوص من غير تناقض وصح مذهب الإسلام. وأنهم الموحدون حقا. وبطل الكفر ان إن الباطل كان زهوقا.

وثانيها سلمنا أن الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما. لكن قد شهد الإنجيل أن الحواريين كانون يفعلون ذلك. بل نص الإنجيل على أن كل من استقام على شريعة عيسى عليه السلام يفعل كفعله، وأن داود عليه السلام. أحيا ميتا بعد مائتى سنة، وأن إلياس، واليسع، وحزقيال، وغيرهم كانون يحيون الموتى فان

(١) سورة يس آية ٧٩.

كان هذا يدل على البربوبية والإلهية فليكن الحواريين كلهم. وداود عليه السلام آلهة مساوين للمسيح عليه السلام فى الألوهية. وجميع ما ينسب إليه.

ولما لم يقل بذلك أحد. دل على بطلان ما اعتمدوا عليه فى ألوهية عيسى عليه السلام، فإن قالوا غير عيسى عليه السلام كان يحيى بإذن عيسى، بخلافه؟.

قلنا :هذا قائم فى حق عيسى عليه السلام. وهو أنه إنما كان يحيى بإذن الله تعالى فيستوون.

وثالثها: قال الله تعالى فى نبوة أشعياء. ويعنى المسيح عليه السلام هذا فتاى الذى اصطفيت وحبيبى الذى ارتاحت له نفسى، أنا واضع عليه روحى. ويدعو الأمم إلى الحق[1] .

فسماه عبدا مصطفى على لسان أشعيا مبعوثا مأمورا بدعوة الأمم. أسوة بغيره من الأنبياء. وهذا هو ما نطق به القرآن وهو المطلوب لا يقال: الفتى هو الولد عندنا. لأنا نقول ليس ذلك عندكم. لما فى السفر الأول من التوراة لما بلغ إبراهيم عليه السلام. أن الملوك أغاروا على سدوم. وسبوا لوطا ابن أخى إبراهيم عليه السلام. عبى فتيانه ثلاث مائة وثمانية عشررجلا وسار فى طلب العدو فهزمه. واستنقذ لوطا وما شيته وجميع ماله، ولم يكن أولاد إبراهيم عليه السلام هذا العدد باتفاق اليهود والنصارى ففى الإنجيل لمتى مر المسيح عليه السلام بعد قيامه من الدفن على جماعة من تلاميذه يصيدون السمك فقال يافتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءا من حوت وشيئا من العسل، وإطلاق لفظ الفتى فى التوراة والإنجيل على غير الولد كثير. وقد حمله النصارى فى هذا الموضع على الولد. فأتوا للفظ لاضلال فيه وحملوه على الضلال. وهو شأن أهل الشقاوة

---

(١) اشعياء ٤٢ / ١-٢، والنص الحالى يختلف لفظا عن الوارد أعلاه ونصه (هوذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى رضيت عنه نفسى، قد جعلت روحى عليه، فهو يبدى الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع صوته، ولا يسمع صوته فى الشوارع).

والعناد. وإنما اللايق إذا ورد لفظ الضلال حمل على الهداية كما هو شأن أهل السعادة والرشاد.

فسبحان من جعل الجهل شعارهم والضلال دثارهم. ليقضى الله أمرا كان مفعولا إذا تقرر معنى ما فى الإنجيل فحينئذ نقول: قد صرح متى بأن الله تعالى معطى، ومنعم، وأن المسيح عليه السلام معطى، ومنْعَم عليه. وفتى من فتيان بنى آدم وهو المطلوب.

ورابعها: قال متى: أخذ إبليس يسوع المسيح عليه السلام. وأخرجه إلى البرية ليجربه. وقال له ان كنت أنت ابن الله. فقل لهذه الحجارة تصير خبزا. فقال المسيح عليه السلام إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان[١]، بل بكل كلمة تخرج من الله تعالى. فأخذه إبليس ومضى به. حتى أقامه على أعلى جبل فى الأرض وأراه جميع مما لك العالم. وقال هذا كله لى. وأنا أعطيكه إن سجدت لى سجدة واحدة فقال أغرب عنى يا شيطان. فانه مكتوب للرب إلهك اسجد. وله وحده اعبد فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل. وقال له انطرح من هاهنا إلى أسفل. فانه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجلك بحجر. فقال المسيح عليه السلام. ومكتوب أيضا لا تجرب الرب إلهك ومضى به إبليس وتركه. وجاءت الملائكة تحرسه[٢]. وصام المسيح عليه السلام عند ذلك ثلاثين يوما بلياليها.

فقد صرح المسيح عليه السلام فى هذه القصة. بأنه يعبد الله تعالى ويسلك الأدب معه على سنن العباد فى عدم تجربة الرب تعالى. وكيف يجرب إبليس المسيح عليه السلام. ويسحبه من مكان إلى مكان. ويسُومه السجود له.. وهو خالق كل شيىء وإله العالم عندكم. وعلى هذا التقدير يكون إبليس لا مطمع له

(١) متى ٤/ ١- ١١.
(٢) انجيل متى الإصحاح ٤/١-١١ .

فيه. فلما طمع فيه وعامله بتلك المعاملة واعترف المسيح عليه السلام بالعبودية ولزوم الأدب مع الله تعالى. دل ذلك على أنه عبد لارب. وهو المطلوب.

وخامسها: قال متى. سمع هيردوس ملك اليهود خبر يسوع عليه السلام. فقال لغلمانه أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمل معه، وكان هيرودس قد قتل يوحنا المعمدان فى السجن وهو يحيى بن زكريا. وأعطى رأسه لابنة هيروديا.

وكانت قد تمنّت عليه ذلك يوم رقصت فى مجلس لمولود ولد له، فجاء التلاميذ فأخبروا يسوع عليه السلام بمصاب يوحنا. فجذع يسوع وخرج من وقته من الموضع الذى كان فيه منفردا.

والله تعالى عالم بجميع المعلومات محيط بسائر الكائنات. قادر على جميع الممكنات. جلبا ودفعا وإعطاء ومنعا. فلما لم يعلم المسيح عليه السلام حتى أخبره التلاميذ وخاف من الجبار لعجزه عن دفع الجبابرة. كان ذلك دليلا قاطعا على أنه عبد محتاج، خلق من جملة الخلق. له ما لهم وعليه ما عليهم وهو المطلوب.

فإن قالوا: نحن نسلم أن يسوع عليه السلام يخاف ويألم. ويجوع ويعطش وتصيبه جميع آفات البشرية لكن ذلك مخصوص بناسوته دون لاهوته.

قلنا: الا تحاد عندكم لم يبق اللاهوت متميزا عن الناسوت. فلذلك لا يمكنكم تخصيص أحوال البشرية بهما.

وسادسها: قال متى: قال رجل للمسيح عليه السلام. يا معلم صالح. فقال له لا تقل لى صالحا لا صالح إلا الله تعالى الواحد[1]، فأضاف المسيح عليه السلام لربه الوحدة وخصصه بالصلاح ونفاه عن نفسه. وذلك ينافى الألوهية ويثبت العبودية ويبطل التثليث وهو المطلوب.

---

(١) متى ١٩/ ١٦- ١٧.

وسابعها: قال متى مر يسوع عليه السلام بشجرة قد جاع فقصدها فلم يجد فيها سوى الورق. فقال لا يخرج منك ثمرة إلى الأبد. فيبست الشجرة لوقتها. فتعجب التلاميذ. فقالوا كيف يبست. فقال الحق أقول لكم إنه لو كان لكم إيمان بغير شك وقلتم للجبل تعالى واسقط في البحر لفعل وكان كل ما سألتموه تنالوه(١) وذلك يدل على عدم ربوبيته من وجوه.

١- جوعه وهو ينافي الربوبية ويثبت العبودية.

٢- عدم علمه بعدم ثمرة الشجرة. والله تعالى بكل شيىء عليم. فدل على أنه بشر لا يعلم إلا ما عُلِّم. وذلك يثبت عبوديته وينافى إلهيته.

٣- غضبه على الشجرة لأنه لما انخرم عليه أمله قوى غضبه. وهذه خاصية البشرية ومنافية للربوبية.

٤- تعجب التلاميذ من يبسها بقوله ولو كانوا يعتقدون أنه الله تعالى. لم يعجبوا من ذلك. فان اليسوع عند النصارى انه الخالق العالم. والذى تاب على آدم وبيده كل شيىء. والتلاميذ لم يعتقدوا ذلك. فدل ذلك على عبوديته عليه السلام وضلال النصارى.

٥- قوله لهم: لو كان إيمان بغير شك لطاوعكم الجبل ونلتم ما شئتم ودل ذلك على أنه لما ظهرت كرامته عليه السلام فى الشجرة. بإيمانه الصادق لا يكون إله العالم. وإلا كان يكون الجواب. لو كنتم مثلى إله وأبناء لله تعالى. لفعلتم مثل فعلى. ولا كان يحسن ذكر الإيمان. ولما علل به. دل ذلك على أنه نبيه وعلى إثبات عبوديته وإبطال ألوهيته وهو المطلوب.

وثامنها: قال لوقا: ورد أمر قيصر بتدوين الناس. فمضى يوسف ومريم. رضى الله عنهما. وهى حامل بالمسيح عليه السلام ليكتتبا مع الناس - فضربها الطلق فولدته عليه السلام ولفته فى الخرق وتركته فى مدود حيث نزلا. فلما

(٢) متى ٢١/ ١٨- ٢٢.

تمت له ثمانية أيام سموه يسوعا. ولما أكملت أيام تطهيرها أقاموه ليقربوا عنه زوج يمام أو فرخى حمام كسنة الناموس[1]، ثم رجعوا إلى ناصرتهم. فكان الصبى ينشأ ويتقوى بالروح ويمتلأ بالحكمة. وكانت نعمة الله تعالى عليه – فلما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا به إلى أوشليم. وحطاه فى الهيكل بين العلماء والشيوخ ويناجيهم ويسمع منهم ثم أخذاه وانصرفا به، فنشأته فى الأرحام ولفه فى الخرق. ونشأته نشأة الصبيان أوّلا فأول. وتعلمه من العلماء ما لم يعلمه. وتفهمه ما لم يكن يفهمه. واستفادته ممن تقدمه من الشيوخ. كل واحد من هذه دليل قاطع. على أنه عبد مربوب لارب معبود وتعالى رب الأرباب. أن تحويه معالف الدواب. بل لا تحويه الأفكار ولا يحده المقدار. بل لا تحيط به الجهات. ولا تكتنفه الأرضون والسموات. فالنجا النجا من هذا المذهب الذميم. والوحا الوحا فى حل عقد هذا التصميم.

تاسعها: قال لوقا: قال رجل ليسوع عليه السلام اتبعك إلى حيث تمضى يا سيدى فقال له يسوع عليه السلام. للثعالب أجحار. وللطيور أوكار. وابن الانسان ليس له موضع يسند رأسه[2]، فسمى نفسه ابن الانسان مناقض لما يقوله النصارى وقد كرر صلوات الله عليه هذه العبارة. فى مواضع كثيرة من الإنجيل. ولعله ليس ببعيد من حالة الأنبياء عليهم السلام أن يكون اطلع على ما سيقوله النصارى فيه وما يجترئون على الربوبية بسببه.

فكان عليه السلام يكرر ما يكون سببا للهداية لمن اهتدى. وعذرا له عليه السلام. إذا سئل عن ذلك فى الموقف غدا. ومع ذلك فلم يفد ذلك النصارى لفرط جهلهم. وشدة ضلالهم. ووصف نفسه عليه السلام بغاية التخلى عن الملك. حتى لا يملك مسقطا لرأسه. ولايحوز شيئا لنفسه وهذا غاية العبودية.

عاشرها: قال مرقس فى إنجيله – على لسان المسيح إن نفسى حزينة حتى

---

(١) لوقا ٢/ ٢١–٢٤.

(٢) متى ٨/ ١٩ – ٢٠.

الموت ثم خر على وجهه يصلى لله تعالى وقال أيها الرب كل شيىء بقدرتك أخر عنى هذا الكأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا[1].

وهو يدل من وجوه:

أحدها: أنه وصف نفسه بالحزن والله تعالى لا يحزن بل هو من خصائص البشر.

ثانيها: قول مرقس يصلى لله. والمعبود غير العابد فلا يكون هو الله تعالى.

ثالثها: أنه أخبر عنه أنه سأل الله - خير الموت والسائل غير المسئول فلا يكون هو الله تعالى.

رابعها: قوله كما تريد لا كما أريد جعل إرادة الله تعالى فوق إرادته فلا يكون هو الله تعالى. وهذه الوجوه كلها دالة على عدم الربوبية وإثبات العبودية وهو المطلوب.

السؤال السابع:

قالت اليهود أجمع المسلمون معنا على صحة شريعة موسى عليه السلام. وأنه الصادق البر. وقد قال تمسكوا بالسبت مادامت السموات والأرض. فلا يكون بعده رسالة أخرى.

فتبطل رسالة عيسى عليه السلام. ولأنها إنما تثبت بالمعجزة. والمعجزة إنما تحصل العلم لمن باشرها. حتى يفرق بينها وبين السحر، والسيمياء، والشعبذة.

قالوا ونحن أيها اليهود. باشر أسلافنا أمر عيسى عليه السلام. وهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب. وحققوا أمره. فوجدوه يتعاطى نوعا من السيمياء. فيظن الناس - أنه أحيا الموتى وليس كذلك. وكذلك. جميع ما يعتقده المسلمون أنه معجزة دالة على صدقه فينبغى تقليدنا لأنا المباشرون لحقيقة

---

(١) مرقس ١٤/ ٣٢ - ٣٦، وتختلف الألفاظ فى رواية كتاب العهد الجديد طبع دار الكتاب المقدس بمصر عن رواية الكتاب المقدس (العهد الجديد) طبع دار المشرق ببيروت.

ما جاء، ونحن يستحيل تواطؤنا على الكذب فيكون خبرنا قاطعا ضروريا. فمن ادعى خلاف ذلك فدعواه باطلة بالضرورة.

والجواب: عن شبهة اليهود، وإثبات نبوة عيسى عليه السلام من وجوه

أحدها: البرهان العقلى على نبوة عيسى عليه السلام. أن النبى من جاء بالمعجزة وهو عليه السلام جاء بالمعجزة فيكون نبيا. أما أن النبى من هو كذلك فبالاتفاق ولأنا لا نعنى بكون عليه السلام نبيا غير هذا.

وأما أنه عليه السلام جاء بالمعجزة. فلأن إحياء الموتى من أعظم المعجزات[1]، وأما قولهم. لا يعلم المعجزة إلا من باشرها فممنوع. بل إذا نقلت أحوال الشخص مع ما ظهر على يديه. جزم العقل بنبوته. وكذلك بالنقل تتفاوت مقامات الأنبياء عليهم السلام. والأولياء والعلماء والملوك والأمم الماضية. مما ينقل لنا عنهم ويقطع بكثير من أحوالهم التى كانوا عليها وأما قوله إنهم عدد يستحيل تواطؤهم على الكذب. فيكون مخالفهم مخالفا للضرورة فليس بصحيح بل غلط محض وجهل صرف.

فإن هذه المقدمة إنما تفيد فى التواتر. والتواتر إنما يكون فى أمور الحسيات كما تقدم بيانه. والرسالة والنبوة ليستا من الأمور الحسية فلا عبرة بكثرة الناقلين فيها. كما لو أخبروا عن قدم العالم. فانه لا يفيد خبرهم علما. وأحوال المسيح عليه السلام فى زهده وصدقه وإيثاره لآخرته وإعراضه عن الدنيا أمر معلوم من التواريخ القديمة. والرسائل المنزلة. التى قامت المعجزة على تصديق رسلها فيحصل القطع بنبوته عليه السلام وهو المطلوب.

وثانيها: وافقت اليهود لعنهم الله على ظهور الخوارق على يده. وإنما قالوا هى من قبيل السيمياء. وتارة يقولون هى من قبيل الشياطين. وعلى كل تقدير جميع ما يقولونه يلزمهم فى قلب العصا ثعبانا. واليد بيضاء. وفلق البحر. ونتق

---

(١) متى ٩/١٨-٣٦ ومرقس الإصحاحات ١، ٢، ٣، ٥/٣٥-٤٢ ويوحنا ١١/٢٨-٤٤ ولوقا ٧/١١-١٩.

الجبل. وسائر معجزات رسلهم عليهم السلام. هو جوابنا عن عيسى عليه السلام حرفا بحرف.

وثالثها: أن نص التوراة يقتضى نبوته صلوات الله عليه وسلم. وهو أن فيها (لريا سور وشبيط ميهوذا ومحوقين مبين رغلا) وتفسيره. لايزال الملك من آل يهوذا. والراسم من ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح. وكذلك كان. مازالت لهم ملوك ودول إلى زمن المسيح عليه السلام. صاروا ذمة محقورة ورعية مأسورة. وهذا شيء لا ينكرونه. وهو دليل قاطع على نبوة عيسى عليه السلام. وأن موسى عليه السلام أخبر أنهم يكونون فى ذلك الوقت على باطل. وأن الحق يأتى مع المسيح – عليه السلام فيدحض الباطل بالحق.

وهذه سنن المرسلين أبدا. وسنة الله تعالى فى خلقه ولذلك قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ (١). ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٢)وفى هذا المقام كابرت اليهود. وأشتد عنادها. وقالت هو المسيح الدجال. الذى يأتى فى آخر الزمان. ويزعمون أنه ينصر دين موسى عليه السلام. ويظهر الحق على يده مع أن ملكهم قد ذهب من نحو ألف سنة إلى اليوم، مع أن نص التوراة أنه يستمر حتى يأتى المسيح عليه السلام وهو مكابرة ظاهرة.

السؤال الثامن:

قالت اليهود والنصارى. لو ثبت الأكل والشرب والنكاح فى الجنة مع أنها دار الكرامة العظمى. والمنزلة العليا التى أبدع الله تعالى فيها حلائل الإحسان. ومقامات الامتنان. لكانت محل الحاجات وإبداء العورات ومصب القاذورات وذلك ينافى كما لها. ويحرم تماما. ولذلك فان كثيرا ممن له أنفه المروءة وأبهة الرياسة. يأنف من الأكل بمشهد الناس. فان تحريك الاشداق واختلاف اللهوات وطحن الاضراس وارتجاج الراس عورة ظاهرة ومنقصة بادية. ولذلك يستعد لها

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٨.

(٢) سورة الإسراء آية ٨١.

الناس فى المنازل والخلوات. ويأنفون من وقوعها فى الطرقات والخلوات حتى جعل من جملة قواعد الشرع أن ذلك مخل بالمروءات ومسقط للشهادات. فدل ذلك على أنه من أفحش العورات.

وإذا كان هذا فى الأكل والشرب فالنكاح أولى لأن فيه انكشاف العورتين وذهاب الحرمتين. وارتفاع الحيائين. مضافا لصب القذورات فى الفرج وما يحصل من الفضلات المستقذرة. بسبب الولوج والخروج. ويكفى فى نقايض هذه الأمور أنها من خصايص هذه البهايم المبعدة لطور الإنسان عن طور الملائكة. والمدخل فى حيز البهيمة فان الملك عقل بلا شهوة. والبهايم شهوة بلا عقل. والإنسان عقل وشهوة. ولذلك توسط بين الفريقين وباين بوصفيه كلا الجهتين. فإذا ظهر فى هذه الأمور من نقص وجب الجزم بعدمها من الجنة المقدسة. والمخصوصة بغاية النعمة وتمام الكرامة.

والجواب من وجوه.

أحدها : أن النعيم الجسمانى الذى يثبته المسلمون. ليس مفسرا بما ذكرتموه من التشنيع. بل على وفق الكرامة الربانية والسعادة الأبدية وتقريره. أنا نجد فى – هذه الدار– الملاذ الجسمانية. تترتب على أسباب عادية فالملاذ إما علوم خاصة حسية كادراك الحلاوة وأنواع الطعوم الملائمة، وإدراك الأرايح المناسبة لجواهر النفس البشرية. وإدراك الملامسة للأجسام الموافقة لجواهر الطباع وإدراك المبصرات من الألوان والأضواء وتفاصيل أنواع الحسن والجمال وغيرها من المبصرات السارة للنفس. وكذلك القول فى بقية الحواس. وإما إدراك الأحوال النفسانية كاستشعار النفس وحصول الشراب والغذاء عند حاجتها للاغتذاء الأرواء. ونحو ذلك. فهذه هى الملاذ الجسمانية ولذلك حد الفضلاء اللذة بقولهم. هى إدراك الملائم، فجمعوا الجميع فى هذا الحد الشامل.

وأما أسبابها العادية فهى المباشرة لأنواع المآكل. والمشارب والمناكح ونحو ذلك، ثم هذه المباشرة تقترن بها فى العادة حاجات للمتناولات وقاذورات تقترن بالمباشرات. فالمسلمون يدعون من هذه الأقسام الثلاثة الأولين فقط دون الثالث. فيثبتون اللذات وأسبابها مجردة من القاذورات وأنواع الحاجات. فيقولون الأكل والشرب والنكاح فى الجنة من غير ألم جوع ولا عطش ولا بصاق ولا مخاط ولا دمع ولا بول ولا غائط ولا ريح منتن ولا حيض ولا منى ولا رطوبات مستقذرة ولا إبداء عورة منقصة ولا زوال أبهة معتبرة ولا شيىء مما يعاب بنوع النقيصة. بل يجد المؤمن غاية ما يكون من لذة - الأكل بمباشرة أنفس المآكل من غير بصاق، ولا تلويث ولا ألم جوع سابق ولا شيء لاحق.

وكذلك يحصل أعظم ما يكون من لذة الشرب عند مباشرة أشرف المشروبات من غير عطش ولا حاجة سابقة ولاتلويث لاحق ولا شيىء يعاب.

وكذلك يحصل الجماع بمباشرة أجمل الموطوآت من الحوريات والآدميات. التى كل واحدة منهن لو ظهرت لأهل الأرض لهاموا أجمعين بجمالها وتحيرت عقولهم بجلالها وبديع حسنها وفايق محاسنها ورائق تركيبها فى جملتها وتفصيلها. مكسوة من الحلى والحلل. ما أقله خير من ملك الدنيا وما فيها، قد نشأت فى السعادة الأبدية. وهيئت للكرامة الالهية وأبدعت بمتسع شمول القدرة الربانية. ومع ذلك فقد تناسب خلقها وخلقها وطبعت على الميل من غير نفار. وعلى المحبة من غير ازورار. قد وصلت فى محبة المؤمن وتعظيمة والأدب معه وإظهار المسرة به. والتشرف بقربه إلى أفضل الغايات. وتجاوزت فى الحسن والإحسان إلى أقصى النهايات.

وللحسن والإحسان معنى ورونق إذا أمكن الإنسان بينهما الجمع

فنظرة إليها خير من جميع ممالك الأرض وزورة منها وإليها تنسى مؤلمات يوم العرض فيحصل من لذة جماع هذه ما هو لائق بهذا الطور العجيب والرونق

الغريب. من غير إنزال فضلات. ولا رطوبات مستقذرات منزهة عن جميع الدناءات. بل كل حالة منها فى غاية الرتب العليات - وكل جزء من أجزاء حسنها فى غاية الشرف والجلالة فلا عورة لها ولا للمؤمن. ولا سوءة فيها ولا فيه. لأن العورة إنما تثبت فى هذه الدار. لكونها مخرج النجاسات. والشعروالنتن والرطوبات. فإذا ذهبت هذه المعيبات المنقصات ذهبت بذهابها العورات. وبقيت المحال شريفة علية. لا ينسب إليها خصلة دنيئة.

وإذا كان هذا هو الذى يعتقده المسلمون من - الجمع بين النعيم الروحانى المتعلق بالأرواح من إدراك معنى جلال الله تعالى وجماله وتفاصيل صفاته وآلائه المتجددة على ممر الأبد والنعيم الجسمانى الذى تقدم تحقيقه. كان هو اللائق بالكرم الالهى. والإحسان الربانى. فان الاقتصار على النعيم الروحانى تقصير من قائله فى سعة النعمة. وتمام الكرامة.و أن ما يقوله المسلمون يجزم العقل الشريف، بأن مثله لا تعرى عنه دار أريدت لغاية الإكرام. وأن يكون على غاية التمام. بل لو فرض عدم هذه الملاذ البديعة منها. لقال العقل الوافر لو كان فيها هذه الملاذ لكانت أتم وأكمل. وهى أولى بقول الشاعر:

ليس فيها ما يقال له　　　كملت لو أن ذاكملا

فظهر إصابة المسلمين للصواب ببيان الجواب واندفع السؤال.

ثانيها: قال لوقا. قال يسوع عليه السلام. إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء ليكون مجازاتك فى قيامة الصديقين. فقال من حضر طوبا لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله تعالى. فما فهم عنه الحاضرون إلا النعيم الجسمانى.

ثالثها: قال حملة الإنجيل قال يسوع لتلاميذه. إنى ذاهب أعد لكم مائدة، فى الملكوت لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا على كرسى المجد(١).

رابعها: فى الإنجيل. شرب المسيح عليه السلام مع تلاميذه عصيرا وقال:

(١) لوقا: ٢٢/٢٩- ٣٠.

إنى لست شاربا من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثا فى ملكوت السموات[1].

خامسها: فى الإنجيل قال المسيح عليه السلام. إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبى، فسمى الله تعالى أبا، أى يعامل بالإحسان كما يعامل الوالد. والنصارى إلى اليوم يقولون للقس (يابونا) لهذا المعنى. و﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ** ﴾[2]ومرادهم ما ذكرنا.

سادسها: فى الإنجيل قال المسيح - عليه السلام - (طوبى للجياع العطاش فإنهم يشبعون[3].

سابعها: فى الإنجيل قال المسيح عليه السلام لتلاميذه. اعملوا لا للطعام الفانى بل للطعام الباقى فى هذه الحياة المؤبدة. لأن ذلك قد حتمه الله تعالى[4].

فصرح عليه السلام بأن فى الجنة الأكل والشرب والشبع والتفكة. وأما الجماع. فقال فى الإنجيل. من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلى فإنه يعطى فى الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة، فقد صرح بأنه يعطى فى الجنة مائة زوجة ومائة بستان لأن الحقل الكرم، وهذه النصوص كلها حجج على النصارى، وأما اليهود فمن وجوه.

أحدها: فى السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى غرس فردوسا فى جنة عدن وأسكنه آدم[5]، وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم. وتقدم إليه أنى قد جعلت جملة شجر الجنة لك مأكلا. سوى شجرة معرفة الخير والشر. ثم قال الله تعالى. لا يحسن أن يبقى آدم وحده... فالألقى عليه سباتا ونزع

---

(١) لوقا ٢٢/ ١٧ : ١٨ .
(٢) سورة المائدة: آية ١٨ .
(٣) لوقا: ٥/ ٦ .
(٤) يوحنا ٦/ ٢٧ .
(٥) تكوين ٢/ ٨ .

ضلعا من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحما. ثم خلق الله تعالى من ذلك الضلع حواء فتزوجها آدم فنصت التوراة على أن المأكولات فى الجنة.

ثانيها: فى السفر الأول. قبل أن تخسف بها يشبه فردوس الله تعالى.

ثالثها: فى السفر الأول. أما هابيل الشهيد فانه يجزى بدل الواحد سبعة وهو دليل على أن المكافأة من جنس العمل. وكان قد قرب من أبكار غنمة فوعده الله تعالى الواحدة بسبع.

رابعها: فى نبوة أشعياء عليه السلام. يا معاشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء المورد. ومن ليس له فضة فليذهب يستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن[1] موافقة لقوله تعالى فى القرآن الكريم ﴿ **فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ** ﴾ [2]، فقد تضافرت كتب اليهود والنصارى على النعيم الجسمانى وهو كثير فى كتبهم ولكنهم قوم لا يعقلون.

تنبيه: كثر التنبيه على أحوال الآخرة فى شرعنا أكثر من التوراة والإنجيل حتى لم يكثر الله تعالى ذكر شيىء فى القرآن أكثر من ذكر البعث. وبالغ فيه حتى أخبر وحلف سبحانه وتعالى فقال: ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [3]. وهو كثير وخَرَّج البيقهى مجلدا كبيرا فيما أملاه عليه السلام من أحوال القيامة وسبب الإكثار عندنا من ذكره. أكثر من بنى إسرائيل من وجوه.

احدها: أن بنى إسرائيل كثيفوا الطباع، والتخويف بالمؤلمات المستقبلات والترغيب بالمثوبات المستقبلات إنما يؤثر فى وافر العقل كثير الحزم — متوفر اليقظة، وأما الكثيف الطبع فكَالْبُهْم لا يؤثر فى زجرها إلا المنخاس المباشر لجلدها. وأما ما يأتى فى غد فلا يؤثر فى استصلاحها.

---

(١) أشعياء ٥٥/١.

(٢) سورة محمد آية ١٥ .

(٣) سورة التغابن آية ٧ .

ولما جعل الله تعالى هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس. وافرة الحلوم، كثير العلوم، شديد الخشية، مراعية للعاقبة، خصها الله تعالى بذكرها الأهم من أمر المعاد. ليتوفر عملها لمعادها، ويكثر للقاء الله استعدادها. واقتصر فى حق بنى إسرائيل بوعدها بعمارة بلادها. وصلاح أجسادها وتنمية أولادها.

وثانيها: أنهم كانوا عاتين متمردين. والمتمرد إنما يتحدث معه بالزواجر الحاضرة والمؤلمات العاجلة، وهذه الأمة أشرق إيمانها فى صدورها إشراق الشموس وأتت داعى ربها حين ناداها لهداها، ما شية على الرؤوس، وقالوا له اقترح ما شئت فإنا له باذلون، ولسنا نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فعوملت بالتصريح عن المعنى الصحيح، وأطلعت على أسرار الغيب، لأنها لا يعتريها الريب، ولله در الشاعر حيث يقول.

والخل كالماء يبدى لى سرائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

ثالثها: أن زمانها كان أبعد عن القيامة من زماننا - ولم يكونوا يرد عليهم شيىء من أشراط الساعة، ونحن قرب زماننا منها ووردت آياتها علينا، وهو عليه السلام أول علامات الساعة.

ثم وردت السنة بعلاماتها ووقع كثير منها، ونحن نباشره كما قال عليه الصلاة والسلام: تلد الأمة ربتها، وتعالى رعاء الشاة فى البنيان. وتبييض القبور، وتشييد القصور، ولا يوقر الصغير الكبير، إلى غير ذلك مما وردت السنة به، فكنا بالحديث فى أمر الساعة، والإكثار منه أولى منهم.

رابعها: أنه سبق فى علم الله تعالى بعث محمد - صلوات عليه وعلى آله الطيبين والطاهرين وسلامه - وأنه يجعله أفضل الرسل وآخرهم، فأخر الله تعالى بسط ذلك ليخصه به - فيكون عليه السلام أكثر علما وإعلاما وهداية وإفهاما، فتكون أمته أكثر فضلا على الأمم بالعلوم والمناقب، كما فضل مذهبها فى شرعها على سائر المذاهب.

خامسها: أن هذا النبى الكريم. أوفر نصيبا من نعيم الآخرة من سائر

الأنبياء عليهم السلام. وكذلك أمته أكثر اتساعا فى الآخرة فى النعيم الجسمانى والنفسانى من سائر الأمم. وهم أكثر أهل النعيم عددا. كما قال عليه الصلاة والسلام. إنى لأرجوا أن تكونوا ثلثى أهل الجنة فزادوا على سائر الأمم نعيما وعدداً، فكان تخصيصهم ببسط أمر المعاد أنسب من غيرهم.

فلذلك لاتجد علم تفاصيل البعث والحشر والصراط والميزان وأحوال أهل الجنان والنيران وما يتفق فى المحشر من الوقائع. وما يكون فى القبور قبل ذلك – وما علم منه – فإنه علم من أخبار هذه الأمة ولله الحمد. فالله تعالى هو المحمود حمدا يليق بجلاله على ما خصنا به من الرسالة المحمدية والكرامات الأبدية والمواهب السرمدية.

السؤال التاسع:

قالت اليهود من العجائب إن المسلمين يدعون أن التوراة فيها تبديل وتغيير. وأنها ليست على وضعها المنزل من عند الله تعالى مع أنها منتشرة فى المشرق والمغرب. وسائر أقطار الأرض. وهى على نظام واحد لا اختلاف فيه ولا تغيير ولا تبديل. وينقلون عن قرآنهم أن فيه أن الله تعالى أخبر عنا أنا نحرف الكلم عن مواضعه. مع أننا ما حرفنا ولا بدلنا وهذه كتبنا تحكم بيننا وبينهم. هل فيها تبديل أو لا؟ فكيف يخبرون عنا بما لم يكن وذلك قدح عظيم فى حقهم.

الجواب من وجوه:

أحدها: أن أحبار اليهود يعلمون علما يقينيا. أن هذه التوراة ليست المنزلة على بنى إسرائيل بعينها. بسبب أن موسى عليه السلام صان التوراة عن بنى إسرائيل ومنعها منهم. وخص بها بنى عمه أولاد لاوى وذلك قول التوراة (ويحنتوب موش آت هنورا هزوت ونبنياه الهلكواهيم بنى ليوى).

تفسيره وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها لأمة بنى ليوى[1]. وكان بنو

(١) خروج ٤٠/ ١٢–١٥.

هارون الأئمة قضاة اليهود وحكامهم[1]، ولم يبذل موسى عليه السلام لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها (ها أزينو) وهى التى علمها موسى عليه السلام لبنى إسرائيل. وذلك قول التوراة (ويحنتوب موشى آت مشيرا هزوت وويا مداه لبنى إسرائيل) تفسيره :

وكتب موسى عليه الصلاة والسلام هذه السورة وعلمها بنى إسرائيل، وهذا دليل على أن موسى - عليه السلام - لم يعط بنى إسرائيل إلا هذه السورة. ولم يكن بنوا إسرائيل يعلمون من بقية التوراة شيئا، ثم إن الهارونيين الذين خصوا بالتوراة لم يكونوا يعتقدون أن حفظها واجب ولا سنة. بل كان الحفظ فيهم لبعضها يقع بطريق الاتفاق وعلى سبيل الفضيلة كما يحفظ المسلمون التواريخ وغيرها ليكون ذلك لهم فضيلة بين الناس لا أنهم مأمورون بها شرعا.

فإن كابروا فى ذلك نطالبهم بنقل خلافه من التوراة فلا يجدونه، ثم قتل بختنصر الهارونيين على دم يحيى بن زكريا، وكان أصل هذا أن يحيى بن زكريا صلوات الله عليهما. أنكر على ملك بنى إسرائيل فى زمانه زواجه لابنة امرأته. فضرب عنقه ودفن. فبقى كلما ردم فار الدم مع طول الأيام. حتى قدم بختنصر فقال ما هذا الدم. فقيل إنه يفور كلما ردم فار، فقال إنه يقول: خذوا بثأرى. فقتل من بنى إسرائيل عليه سبعين ألفا. فسكن الدم[2].

فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وعدم كتابهم جمع من محفوظاته ومن الفصول التى كان يحفظها الكهنة ما لفق منه فى هذه التوراة التى بأيديهم. وذلك بعد سبعين سنة بعد بختنصر. فلذلك بالغوا فى تعظيم عزرا غاية المبالغة، ويزعمون أن التوراة تنزل على قبره إلى الآن، فالذى فى أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليس كتاب الله تعالى، وإذا اعتبرت فصولها دلت على أن الذى جمعها رجل جاهل بالصفات الربانية والآداب النبوية على ما ستقف عليه إن شاء الله تعالى.

---

(١) لاوى.

(٢) متى ١٤/ ٤ - ١٢.

ولذلك نسبت إلى الله تعالى صفات التجسيم. والندامة على ما مضى من أفعاله. وأنه ندم على الطوفان(١)، وقد أقلع عن مثلها. وما زالت الأمم التى استولت عليهم كالكشدانيين، والبابليين، والفرس، واليونان، والنصارى. يقصدونهم أشد قصد ويطلبون استئصالهم وخراب بلادهم. وحرق كتبهم حتى جاء الإسلام. فوجدهم تحت ذمة الفرس إلا يهود العرب. وأشد من ذلك ملوكهم العصاة الطغاة الإسرائيليين الذين عبدوا الأصنام وتركوا أحكام التوراة وشرعها الدهر الطويل.

ومع تطاول هذه الآفات وتواترها من غيرهم ومنهم. ومنع الأمم لهم لاسيما الفرس منعوهم من الختان(٢) والصلاة لعلمهم أن معظم صلاتهم دعاء على الأمم بالبوار وعلى العالم بالخراب سوى بلدهم التى هى أرض كنعان.

ولذلك لما رأت اليهود ذلك. اخترعوا أدعية مزجوا بها فصولاً من صلاتهم. وسموها بالخزانة. وساغوا لها ألحانا، وصاروا يجتمعون أوقات الصلاة على تلحينها وتلاوتها والفرق بين هذه الخزانة وبين الصلاة. أو الصلاة بغير تلحين. يتلوها الكاهن وحده. ولايجوز أن يجهر بالصلاة غيره. والخزانة تشارك فى الجهر بها جماعة. فكانت بالفرس إذا أنكرت عليهم قالوا: نحن نلحن بنوح على أنفسنا. فكفوا عنهم وعن دبرهم، ذهب الفرس وأقررناهم نحن على أديانهم وهم على الخزانة، وقد جعلوها عبادة من السنن المستحبة فى الأعياد والمواسم عوضا عن الصلاة. وهى من جملة دبرهم وتغييرهم لشرعهم. وقيل إن التوراة لما فقدت بالتحريف، والتقطيع بعد القتل، أخبرتهم امرأة أن زوجها ترك توراة مكتوبة مدفونة فى مكان فنبشوها بعد الدهر الطويل. فأخذوا منها ما تيسر. وتركوا منها ما تعفن وتعسر، فهذا أصل توراتهم كما تراه.

ثم إنهم مع هذا الأصل الواهى الذى لا يوثق بشىء منه. ليس على وجه الأرض منهم بشر يروى التوراة، عدلا عن عدل، بل هى تلفيقات مجهولات وتواريخ موضوعات بحيث إن التواريخ الإسلامية خير منها. وأوضح بكثير.

---

(١) تكوين ٨/ ٢٤.

(٢) تكوين ١٧/ ١٠ - ١٤.

لقرب عهد زمانها. فان بعد الزمان المفرط يقتضى مزيد عدم الوثوق أكثر. مع أن المسلمين لا يجيزون الاعتماد على التورايخ فى شىء من الأحكام ألبتة. وهم يجعلون هذه التلفيقات والتواريخ عمدة لمعادهم. وشريعة لخالقهم. ومانعة مما وردمن الحق وهو غاية الخذلان. فظهر بهذا التقرير أن التوراة التى بأيديهم لا يقطع، ولا يظن أن شيئا منها من عند الله تعالى وهو المطلوب.

وثانيها: أن فى التوراة أن داود عليه السلام (ممزير) وتفسيره عندهم أنه ابن زنا. لأنه عندهم آنه ابن نيشاى ابن عابد. وأم عابد يقال لها (روث المؤابية) من بنى موآب. وقالوا فى موآب. لما أهلك الله تعالى أمة لوط عليه السلام. ونجا بابنتيه فقط. توهمت ابنتاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه نسلا فقالت الكبرى للصغرى إن أبانا لشيخ ولم يبق فى الأرض من يأتينا كسبيل البشر. هلمى نسقى أبانا خمرا ونضاجعه لنستبقى من أبينا نسلا ففعلتا. فولدت إحداهما موآب بمعنى أنه من الأب والثانية سمت ولدها عمون بمعنى أنه من قبيلتها والوَلَدَان عند اليهود أولاد زنا[1]، لأنهما من الأب وابنتيه. وداود عليه السلام عندهم من هذه الذرية فهو ولد زنا عندهم لعنهم الله، فما أجرأهم على أعراض الأنبياء عليهم السلام. بل على دمائهم.

ومثل هذه الحكاية كثير فى التوراة يسمونها النجاسات. وناهيك بكتاب مشتمل على النجاسات. فكيف يليق نسبته إلى الله تعالى. فيقطع العاقل أن شرب لوط عليه السلام الخمر وزناؤه بابنتيه كذب مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة السلام، وأن الله تعالى شرفهم نسبا وخَلْقا وخُلُقا وسيرة وسريرة بحيث لا يوجد فى نسب نبى ولا شىء من أحواله. ما يكون سببا للطعن عليه وهو مقتضى الحكمة. وإلا لما صلح جعله رسولا عن الله تعالى. ولما حصلت حكمة الرسالة بسبب نفور الخلق منه واهتضامهم لجهته بل أقل الملوك فى الدنيا لا يعتمد مثل هذا فكيف برب الأرباب.

---

(١) تكوين ١٩/ ٣٠ – ٣٨.

ثم تأمل كيف إذا سكر الشيخ الكبير يتأتى منه نكاح امرأتين ثم وطئهما وتحبيلهما معا فى الليلة الواحدة. فهذه القصة غارقة فى بحر البهتان. قاضية على التوراة بأنها مشتملة على الإفك والعدوان. وسبب هذا الإفك العداوة التى ما زالت بين بنى إسرائيل وبين بنى عمون. وبين بنى موآب بعثت الواضع على تلفيق هذا المحال. ليكون عارا كبيرا فى بنى عمون وموآب لعنه الله فيما أفترى لعناً كثيرا.

وسبب العداوة أن موسى عليه السلام كان قد وضع الأمانة فى الهارونيين. ثم استولى الداوودين عليهم. فكان المرتب لهذه التوراة هارونيا فظهر اشتمال التوراة على التغيير والبهتان وهو المطلوب.

وثالثهما: فى التوراة. قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام. لقد وصل إلىّ إثم سدوم وعامور. فقلت انزل الآن فأنظر هل منعوا وأثموا كما بلغنى وإلا عرفت ذلك. وفى هذا الكلام نسبة البارى تعالى إلى عدم العلم بالمغيبات. ونسبة الملائكة إلى عدم الصدق. وأنهم متهمون عند الله تعالى، وهذا كلام فى غاية البعد عن جلال الربوبية والملائكة الكرام. فيقطع العاقل بكذبه فتكون التوراة مشتملة على الكذب والتغيير وهو المطلوب.

ورابعها: فى التوراة أن إبراهيم عليه السلام أطعم الملائكة خبزا. وصنع لهم عجلا سمينا. وسقاهم لبنا وسمنا. وأن لوطا عليه السلام أطعمهم فطيرا. مع أن أهل الكتاب ينكرون قول المسلمين بالنعيم الجسمانى. وسيقولون لا طعام فى الجنة ولا شراب ولا نكاح. بل حال أهل الجنة كحال الملائكة، لا يأكلون ولا يشربون، وهذه غفلة عظيمة فان كان هذا صحيحا فإنكارهم على المسلمين باطل، وإن كان باطلا فتكون التوراة مشتملة على الباطل، فهى مشتملة على الباطل على كل تقدير، مع أننا نقطع بأن الملائكة صلوات الله عليهم. لم يأكلوا عندهما شيئا. لقوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ** ﴾ (١).

---

(١) سورة هود آية ٧٠.

وخامسها: في التوراة جمع إسرائيل عليه السلام بين أختين في عصمته. وهما لبئة وراحيل ابنتا لابان. والجمع بين الأختين حرام بنص التوراة وهم لا يعترفون بالنسخ. فيكون هذا كذبا على إسرائيل – عليه السلام – لأنه معصوم، ونبي مكرم، يجل عن الوطيء الحرام وهو دليل أشتمال توراتهم على الكذب والبهتان وهو المطلوب.

وسادسها: في السفر الأول من التوراة. أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض قال لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل، لطوفان فأباد. ما على الأرض من الحيوان. وأنه لما فعل ذلك ندم أيضا. قال لا أعود أفعل ذلك. وهو كلام يقتضي أن الله تعالى لا يعلم ما سيكون وأنه تعتريه صفات البشر من الندم والبدأ والأسف، ومن العجب أنهم ينكرون النسخ لئلا يلزم البدأ وهم يعتقدون البدأ والندم فما أدرى – من أي أمرهم – أعجب. ثم في هذا الكلام الندم والندم على الندم. وهو لو فعله والى ضيعة لأستحق العزل. فكيف يليق نسبته إلى رب الأرباب سبحانه وتعالى عن قول هذه الطائفة الملعونة وذلك أبلغ دليل على أشتمال توراتهم على الكذب والجهل والكفر فضلا عن التبديل والتغيير.

وسابعها: في التوراة أن نوحا عليه السلام نام في خيمته فكشفت الريح عورته. فضحك منه أبنه حام فدعا عليه وعلى عقبه فأين هذا الخلق الذميم والطبع السقيم والعقوبة العظيمة على من جنى. وعلى من لم يجن على جناية صغيرة من خلق العقلاء – فضلا عن الأولياء فضلا عن الأنبياء. وهل هذا إلا من ترهات العوام. وخرافات العجائز اتخذته اليهود قرآنا يقرأ، وجعلوه أنزل من عند الله تعالى. كلا والله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وجلت رسله ورسائله عن هذا الافتراء.

وثامنها: في التوراة أن ربيل بكر يعقوب عليه السلام زنا بسرية أبيه يعقوب عليه السلام وافترشها، فلما حضرت يعقوب الوفاة قرعه وعيره بين إخوته

وقال له نجست فراشي وامتهنته ولست أعطيك السهم الزائد، وكان من سُنَّة إبراهيم عليه السلام توريث البكر سهمين وغيره سهما فأي حكمة في ذكر هذه القبائح في التوراة يعير بهما سبط عظيم ومآثر الآباء مفاخر الأبناء.

ثم فيه من التناقض أن في التوراة أن إبراهيم عليه السلام. ورث ماله ولده إسحاق وحرم إسماعيل. مع أن في هذا الفصل أنه كان يورث البكر سهمين وغيره سهما وهي غفلة من اليهود. وجهالة بكتب الله تعالى وما دخلها من التبديل والتغيير.

وأنتم معاشر المسلمين تعلمون أن سيد البشر المرسلين. محمد بن عبد الله بن عبد المطلب. صلاة الله عليه قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. فأخبر عن جميع الأنبياء عليهم السلام أنهم لا يورثون. وهؤلاء يخبرون في توراتهم أنهم يورثون. فيكون خبر المعصوم مقدما على خيرهم. وإخبارا عن تبديل هذا الموضع وهو المطلوب.

وتاسعها: في التوراة أن يهوذا بن يعقوب عليه السلام. زنا بكنته تاموز ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه وأنها حملت منه وصار شهرة في بني إسرائيل مع أن في التوراة أنه كان حظيا عند أبيه. ودعا له بتخليد الملك والنبوة في عقبة. فلا نبوة يهوذا صانوها عما يليق بإدني السفلة من الفاحشة وسوء السمعة ولا دعاء يعقوب عليه السلام صانوه عن عدم الإجابة. بل أعقبوه بالعار والفضيحة. وذلك كله ينافيه ما للأنبياء عليهم السلام من العصمة بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم في جميع أحوالهم وعلوهم عما يوجب وصمهم واحتقارهم في نفوس شيعهم وأممهم. وذلك دليل التبديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى وعلى خاصته صلوات الله عليهم أجمعين.

وعاشرها: في التوراة أن ريتا ابنة يعقوب عليه السلام خرجت فرآها مشرك وهو سحم بن حمور رئيس القرية فافترسها. وأنزل العار بيعقوب عليه السلام. فتوصل أبوه حمور إلى يعقوب عليه السلام وآمن والتزم الأحكام هو وأهل القرية.

وأن بنى يعقوب قالو لأهل القرية. إن احييتم سنتناودينىنا. فاختتنوا لنصير شعبا واحدا. ومكروا بهم.

فلما اختتن كل أهل القرية دخلوا عليهم بالسلاح وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم فقتلوهم أجمعين وأخذوا أموالهم وحريمهم.

ولما علم يعقوب عليه السلام بالقصة. هرب ليلا على جمل خوفا وترك البلاد فحكموا على الأنبياء أولاد يعقوب عليه السلام بأنهم قتلو المؤمنين. ومن لم يؤذهم لسبب من الأسباب. وانتهبوا الأموال والحريم بعد صدور الإسلام منهم والإنابه إلى الله تعالى. المقتضين لحسن المعاملة وبسط الإحسان.

وهذه أمور لا تليق لأدنى السفلة من ذوى المروءات فضلا عن الأنبياء عليهم السلام مع أن هذه الأشياء ينقلونها على سبيل نقل التواريخ يسمونها النجاسات. لا أن الله أوحى بذلك إلى موسى عليه السلام.

فأى صواب فى نقل النجاسات الكاذبة والفضائح المستمرة على مر الأيام. لا سيما فى حق الأنبياء عليهم السلام. وإذا استهانوا بالتوراة إلى هذه الغاية فأى وثوق يبقى بما فيها. بل أقل التواريخ الإسلامية أثبت لقرب زمانه.

وحادى عشرها: فى التوراة قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام:

إن ذريتك ستستعبد بمصر أربعمائة سنة، وقال مؤرخوهم لم يمكثوا إلا مائتين وثلاثين سنة والخلف على الله تعالى محال. فهم وكتبهم الكاذبون.

وثانى عشرها: فى التوراة فى نسخة منها:

أن آدم عليه السلام عاش مائة سنة وثلاثين سنة . ثم ولد على شبهه ولدا. فسماه شيثا. وفى نسخة أخرى لم يرزق شيثا إلا بعد مائة وخمسين سنة. وعاش بعد ولادته ثمانمائة سنة. فكان جميع عمره تسعمائة سنة وثلاثين سنة، وفى نسخة ألف وثلاثون سنة. ثم عاش شيث مائة وخمسين سنة فولد أنوش[1]،

---

(١) تكوين ٥ -٦.

وعاش بعد ولادة أنوش تسعمائة واثني عشر سنة[1]، وفى نسخة أخرى تسعمائة وسبع سنين. واستمر هذا التكاذب والتناقض فى مشاهير أولاد آدم عليه السلام، ولا تكاد نسخة توافق أخرى. وإذا كان هذا تحريفهم وتبديلهم وتهاونهم فيما لا غرض لهم فيه من أعمار الأنبياء عليهم السلام. وفضائح أسلافهم ومعظمى رسلهم. فكيف يكون حالهم فى كذبهم على رسول الله. محمد بن عبد الله ﷺ وما يتعلق لهم به من غرض. ولنقتصر على هذا القدر.

وثالث عشرها : فى آخر السفر الخامس:

أن موسى عليه السلام توفى فى أرض موآب – ودفن فى الوادى من أرض مؤآب – بازاء بيت فغورا. ولم يعرف إنسان موضع قبره إلى اليوم، وكان قد أتى على موسى عليه السلام إذ توفى مائة وعشرون سنة[2]، ولم يضعف بصره، ولم يتشنج وجهه، وبكى بنوا إسرائيل على موسى عليه السلام ثلاثين يوما فى غريب مؤآب.

فلما تمت إيام حزنهم على موسى عليه السلام امتلأ يوشع بن نون من روح الحكمة لأن موسى عليه السلام كان قد وضع يده على رأسه فى حياته. وكان بنوا إسرائيل يطيعونه، ويعلمون كما أخبر الرب موسى.

هذا آخر كلام التوراة. وهو تاريخ حدث بعد موسى عليه السلام بالضرورة. فهو من غير المنزل قطعا. بل هو كلام القائل ولم يعرف إنسان موضع القبر إلى اليوم الذى كتب فيه هذا التاريخ.

ولا يعترفون بأن التوراة زيد فيها ما ليس فيها بل الجميع عندهم كلام الله تعالى، وهو جهل عظيم منهم، وإذا زيد فيها مثل هذا أمكن أن يقال: إن تلك الحكايات الركيكة زيدت بالأهوية والأغراض وليست منزلة من عند الله تعالى،

---

(١) تكوين ٥ : ٧/٨.

(٢) التثنية ٣٤/ ٧ –٨.

بل يسقط الاحتجاج بجميع التوراة. لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح. فلا يوثق بشيء بعد ذلك. ويجب اجتناب الجميع خشية أن يكون مما زيد وهو محرم كما إذا اختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع والذى يغلب على الظن أن السفر الأول الذى هو سفر البدأ والأنساب زيد بجملته وهم لا يشعرون.

الرابع عشر:

أنه قد تكرر فى التوراة. وكلم الرب موسى. وقال له اقبض حساب بنى إسرائيل. وكلم الرب موسى وقال كلم بنى إسرائيل وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى. ولا من كلام موسى عليه السلام بل هى حكايات من قول الغير لمعنى ما وقع.

ولعل هذا الحاكى أخل باللفظ والمعنى أو بالمعنى وحده ولم يثبت عندنا عدالته ولا معرفته بل لعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد على شىء منها وأنها مغيرة قطعا.

الخامس عشر:

إن اليهود تعترف بأن سبعين كوهانا اجتمعوا على تبديل ثلاثة عشر حرفا من التوراة بعد المسيح عليه السلام فى زمن القياصرة. ومن اجترأ على تبديل حرف من كتاب الله تعالى كفر وتحريفه لا يوثق به فيما يدعى أنه كتاب الله تعالى. إذ لعله مما حرفه، والكوهان هو المتقدم فى أصول ديانتهم وصاحب هيكلهم ولا يكون إلا من ولد هارون عليه السلام.

واتفق اليهود على أن التوراة ما كانت توجد إلا عند الكوهان وحده، فإذا كان هذا ثناؤهم الجميل. فعلى من يحصل التعويل. بل يجزم العاقل بل الطفل بوقوع التغيير والتبديل.

السادس عشر:

طائفة من اليهود يقال لهم السامرية:

اتفق اليهود على أنهم حرفوا التوراة تحريفا شديدا. والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف. ولعل الفريقين صادقين.

فأين حينئذ فى التوراة شيىء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوى من فرق اليهود فكفونا بأنفسهم عن أنفسهم.

وكذلك النصارى أيضا. يدعون على اليهود أنهم حرفوا فى التوراة والتواريخ. ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام وتقدموه. وهذه أمور لا يدعى معها الجزم بعد تحريف التوراة إلا معاند متعسف.

فان قالوا: فقد كان النبيون صلوات الله عليهم يحكمون بها إلى زمن المسيح عليه السلام معصومون عن الباطل. وهذا يبطل جميع ما يذكره المسلمون. فانهم وافقونا على حكم النبيين بها. لقول القرآن يحكم بها النبييون.

قلنا الجواب: من وجهين:

أحدهما: لعل النبيين عليهم السلام كان يوحى إليهم بالصحيح منها.

وثانيهما: نسلم ان كل شيىء حكموا به هو صحيح. فلم قلتم إنهم حكموا بجملتها ثم الذى حكموا به غير معين. فسقط الاستدلال بالجميع. ولا يفيدكم حكمهم شيئا. ثم إن التغيير لم يتعين له زمان. فلعله كله وقع بعد النبيين. حتى بعد المسيح عليه السلام.

السابع عشر:

فى التوراة فى سفر ملاحيم أن داود عليه السلام أطلع من قصره فرأى امرأة من نساء المؤمنين تغتسل فى دارها فعشقها وبعث إليها. فحبسها أياما حتى حملت ثم ردها. وكان زوجها يسمى أوريا غائبا فى العسكر. ولما علمت المرأة بالحمل أرسلت به إلى داود عليه السلام. فبعث داود عليه السلام إلى – أدوناب بن صور – قائده على العسكر يأمره أن يبعث إليه بأوريا فجاءه. فصنع له طعاما وخمرا حتى سكر. وأمره بالانصراف إلى أهله ليواقعها فينسب الحمل إليه. ففهم أوريا ذلك. فتجانب ولم يمش إلى أهله.

فلما يئس داود عليه السلام منه. رده إلى العسكر وكتب إلى القائد. أن يصدر به القتال مستقبلا له. فقتل أوريا - وقتل معه من المؤمنين سبعة آلاف. ففزع القائد من داود عليه السلام لقتل العدد العظيم. وقال للرسول: إذا أنت أخبرت الملك داود بقتل الناس ورأيته قد غضب. فقل له سريعا إن أوريا قد قتل فيهم. ففعل الرسول وسكن داود عليه السلام بعد الغضب وسر بموت أوريا. وهانت عليه من أجل موته دماء المؤمنين(١).

فانظر هذه الفواحش الشديدة المنكرة والصفات المستقذرة هل تليق بأولى الديانات فكيف بمعدن النبوات. وهل يحسن ذكرها من ذوى المروآت. فكيف يوحى بها إله الأرض والسموات؟

فلعنهم الله لعنا كبيرا دائما أبدا. ما أجرأهم على الله تعالى وعلى رسله. ولو لم يكن فى التوراة إلا هذا الموضع لقطع العاقل بتبديلها وتحريفها وأنها لفقت بالأهوية والأغراض.

الثامن عشر:

فى التوراة فى سفر ملاحيم. أن سليمان بن داود صلوات الله عليهما ختم عمره بعبادة الأصنام والسحر(٢).

كذبوا. قاتلهم الله أنى يؤفكون. وصدق الله العظيم وكتابه الكريم **﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾** (٣). فلعنة الله ولعنة الملائكة اجمعين عليهم وعلى من يصدقهم إلى يوم الدين.

ثم هذه الحكايات القبيحة والأكاذيب الشنيعة التى فى التوراة تبطل من أن التوراة بما فيها من الثناء العظيم، على هؤلاء الرسل الكرام، ثناء يتعذر معه مقاربة

---

(١) انظر تفاصيل زعمهم بجريمة زنا داود عليه السلام سفر صموئيل الثانى اصحاح ١١ / ٢: ٣، وقد برأ الله داود مما قالوا فى القرآن الكريم فلعنة الله على الكاذبين.

(٢) راجع سفر الملوك الاول الاصحاح ١١ فقرة ٤ / ١٠.

(٣) سورة البقرة: آية ١٠٢.

هذه الأمور. فضلا من ملابستها. وإذا أمعنت النظر فى الفصلين جزمت بأن هذه الفواحش مفتعلات. وأن التوراة امتلأت تبديلات وتغييرات.

ولنقتصر على هذا القدر من كذبهم لأنه أمر يملأ الصحف وتصدأ له الأسماع والقلوب. وإنما القصد بيان كذبهم فى قولهم. إن التوراة فى غاية الضبط والتحرير – سالمة من الكذب والتحريف، وقد ظهر ما هى عليه من عدم النظام. واشتمالها على ما يقطع بكذبه فى حق الله تعالى. وفى حق أنبيائه عليهم السلام.

السؤال العاشر:

قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى:

إن دين المسلمين فى غاية الضعف. وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة والإخافة وسلب الذرارى. والأموال. ولو سلكوا العدل والإنصاف لما ظهر فى دينهم حق.

والجواب: من وجوه.

احدها: يختص بالنصارى وهو أن الانجيل بين أيديهم ناطق مصرح بالمسالة والتزام التواضع والمذلة[1]. وهو من ضرب خدك حول الخد الآخر. ومن سامك نوعا من الهوان فلا تنازعه. وأن يبتعدوا من القتال والمنازعة غاية البعد إلى أن تقوم الساعة.

وهذا نص الإنجيل. قال المسيح عليه السلام. سمعتم ما قيل. العين بالعين والسن بالسن ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر. ومن رام أخذ ثوبك فزده ازارك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين. ومن سألك فأعطه. ومن اقترض. منك فلا تمنعه. وسمعتم ما قيل أحبب قريبك وابغض عدوك. وإنما أقول

---

(١) هذه ليست مذلة وإنما هو تسامح، وليتهم يعملون بأمر نبيهم، وينتهون عن العدوان على الدول الأخرى ونهب خيراتها، وسرقة أموالها، وما حروبهم الصليبية واستعمارهم لبلاد المسلمين وعدوانهم الأخير بزعامة أمريكا على العراق وتهديد غيرها عنا ببعيد.

لكم أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعينكم وأحسنوا إلى من يبغضكم. وصلوا على من يطردكم ويخزيكم. لكى تكونوا بنى أبيكم. كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل[1].

ومع ذلك فهم من أشد الناس تكالبا وحرصا على القتال والقتل وبسط الأيدى بالأذى فى أقطار الأرض بسلب النفوس والأموال مستبحيين لذلك. يعتقدونه من أعظم القربات وأوثق أسباب السعادات مع تحريم إنجيلهم عليهم ذلك. وايجاب التزام الاستسلام لأعدائهم. ومن استحل حرمات الله تعالى. فهو أشد الناس كفرا بالله تعالى وكتبه وأحكامه. وأما نحن وكتابنا. فنحن أولياء الله تعالى وأنصاره وهم كفرته وأعداؤه. وكتابنا أوجب علينا القتال[2]. ونص على أنه من أعظم القربات.

وثانيها: أن المسيحى وغيره من مؤرخيهم نقلوا أن ابتداء دينهم. إنما كان بسبب القتال مع اليهود. وأنهم كانوا يحرقونهم بالنيران. ويغرقونهم فى السفن فى البحار وعملوا فى اليهود كل نوع من أنواع الأذى. ولولا ذلك لم يبق لهم اليهود أثراً. فان الدولة كانت لهم. وقد قتلوا إلههم على زعمهم. ولم يترك بعده أكثر من اثنى عشر حواريا وسبعين معارف هاربين خائفين ولو ظهر منهم أحد لقتل شر قتله.

فلو التزموا شريعتهم من المسالمة لم تقم لهم قائمة. ولم يبق منهم باقية. لكن أقاموا دينهم برفض معالمه. ونصروه بمحو آثاره. والتزموا القتل والعسف، ومع ذلك فلم ينص دينهم بذلك. حتى أضافوا لدينهم أنواعا من الشعبذة والمخاريق. وضروبا من التخيل للعوام. والملوك كبكاء الصور الجمادية عند قراءة الإنجيل وتعليق الأصنام والصلبان فى هياكل الكنائس بحجارة المغناطيس فى

---

(١) متى اصحاح ٥ فقرة ٣٨/ ٤٨.

(٢) القتال كتب على المسلمين لحماية الأوطان وتامين الدعوة وتمكين المستضعفين، ولم يشرع للعدوان وسلب حقوق الآخرين والتعدى على حرماتهم كما تفعل الدول التى تنتمى إلى دين المسيح عليه السلام.

الهـواء . من غـيـر شيء يمسكهـا . إلى غـيـر ذلك مما تقـدم فى أول الكتـاب من ترهاتهم التى (يمشون بها دينهم)[1] . فسؤالهم ينعكس عليهم بل هو خاص بهم لأنه على خلاف كتبهم .

وأما نحن فممتثلون لأمر الله تعالى،ناصرون لدينه، قائمون بحقه فى أرضه على خلقه، سعداء، شهداء، أولياء أعزاء، نناظر بالمعجزات الباهرة، والبراهين القاطعة . فندعوا إلى مكارم الأخلاق وننهى عن لئامها . فمن اهتدى إليها ظفر بالسعادة، وحاز أسباب السيادة، ومن أعرض عنها كان جديرا بالصغار والذل والعار، لا نحتاج إلى التتميم بالمحال . ولا نعتمد فى الأقوال والأفعال إلا ما يثبت نقله عن ذى الجلال . ولا ندعوا إلى عبادة الرجال ولا ربات الحجال . ولا نعبد من أودته اليهود بأنواع النكال . فأين السماء من الأرض . وأين الدخان من العسجد، وأين الشموس من الظلمات، وأين القوى من المنجد لقد أشرق الحق فى ديننا كما غاب عنهم إلى الموعد .

وثالثها : أن الكتب التى بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام . مع طوايف من الطاغية كداود عليه السلام مع جالوت[2] وسليمان مع طوايف من أهل الكفر . ولم يقدم ذلك فى صحة أديانهم وإذا كان القتال سنة الله تعالى . وعادتة لأهل الحق مع أهل الضلال . فنحن على تلك السنة سالكون وبها عاملون . فتكون من مناقبنا لا من مسالبنا ومن حسناتنا لا من سيئاتنا . بل الأمر بالعكس كما تقدم .

السؤال الحادى عشر :

قالت النصارى القرآن ناطق بجواز الاتحاد فلا ينكر علينا .

بيانه : إن فيه أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليما، وأجمعت الملل على أنه كلمه بصوت . فنقول هذا الصوت يستحيل أن يقوم به، لأنه تعالى

---

(١) فى الأصل يمشون بهم دينه .

(٢) سفر صموئيل الاول ١٧ .

ليس بجسم فيكون قائما بشجرة العليق بوادى المقدس، وتكون الشجرة هى المتكلمة، وقد قالت: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ [١] وقالت أيضا. ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ [٢].

وقال موسى ﴿ قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ﴾ [٣] فخاطبت بأنها الله تعالى – وخاطبها ولولا الاتحاد بين ذات الله تعالى وذات الشجرة ما صح الكلام ولا جوابه ولا قول الملك أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام تكليما بل إنما كلمته الشجرة حينئذ. وإذا صح – الاتحاد بالشجرة – صح بذات عيسى عليه السلام. وصح لنا أن نخاطبه بأنه الرب، وبأنه الله تعالى. اقتداء بموسى عليه السلام.

فنحن على الحق حينئذ. والمسلمون غالطون فى تكفيرنا بذلك، وهذا السؤال اعتمد عليه تمشتين زعيم القسيسين بطليطلة. ورسمه فى كتاب سماه مصحف العالم. وكان مرجع النصرانية إليه فى العلم والفضيلة، ثم جاء ابن الفخار اليهودى. تنصر ورأس عند ملوك الأفرنج بالوزارة وغيرها بسبب فضيلته على زعمهم. وكتب بهذا السؤال إلى علماء قرطبة. وكان سؤالهم الذى عليه يعولون وبه يصولون.

والجواب:

أما قوله إن الملل متفقة على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام بصوت فكذب وفجر والتقيم بفيه الحجر. إذ لم يقع فى ذلك اتفاق. بل جمهور – المسلمين على أن الله تعالى لم يكلم موسى عليه السلام بصوت. بل أسمعه كلامه النفسانى القائم بذاته من غير حرف ولا صوت. وإذا لم يكلمه الله تعالى

---

(١) سورة طه آية ١٤ .

(٢) سورة طه آية ٤٣ .

(٣) سورة طه آية ٤٥ .

بصوت بطل السؤال من أصله بناء على هذه المقدمة وسأبين كيف يتصور إسماع الكلام النفسى بغير حرف ولا صوت.

فإذاً لم يكلمه تعالى بصوت، وأما القائلون بأنه كلمة بصوت. فقالوا خلق الأصوات والكلام فى شجرة دالة على ما قام بذاته تعالى. كما تبلغ الملائكة من غير اتحاد ولا حلول، وكما يحسن أن يقال: إن الله تعالى خاطب موسى على لسان الملك. ويقال هو كلام الله. فكذلك الشجرة. والأصوات فيها - مبلغة عن الله تعالى، والمتكلم فى الحقيقة هو الله تعالى والوسائط من الملائكة وغيرها لا يمنع كون ذلك كلام الله تعالى بهذا التفسير.

ولذلك أجمعت الملل على أن الكتب التى بلغتها الملائكة كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها كلام الله تعالى. وإن كانت تلك الأصوات، وتلك اللغات بالعبرانية وغيرها. لم تقم بذات الله تعالى هذا على القول بأن الذى سمعه موسى عليه السلام صوت، وهو ليس بصحيح. وإنما أردت أن أبين فساد السؤال على القولين.

وأما على الصحيح. وهو أنه عليه السلام. إنما سمع الكلام النفسى الذى هو صفة ذات الله تعالى القائم به من غير حرف ولا صوت فمعناه يتبين بقواعد.

منها: إن كل عاقل يجد فى نفسه الأمر والنهى والخبر عن كون الواحد نصف الاثنين، وعن حدوث العالم وغير ذلك. ثم إنه يعبر عن ذلك تارة بالعربية وتارة بالعبرانية وتارة بالفارسية فتختلف العبارات وهو واحد لا يختلف فى نفس المعبر. فذلك الذى لا يختلف هو الكلام النفسى. والمختلف هو الكلام اللسانى. والأول هو الذى ندعى أن الله تعالى متصف به وأقمنا البراهين على ذلك فى علم أصول الدين.

ومنها أن علم الحواس أجل من علم النفس. بدليل أن من فتح بصره فرأى زيدا ثم أغمض عينه فإنه يقطع بوجوده حالة التغميض كما يقطع بوجوده حالة

فتح البصر. ونحن نقطع بأن القطع الحاصل حالة فتح البصر أجلى وأقوى من القطع الحاصل حالة التغميض. وكذلك سائر الحواس. وإذا تكرر هذا ظهر أن إدراك الحواس علم خاص أجلى من مطلق العلم. وهو ممكن الوجود والقدرة الربانية يمكن ايجادها لكل ممكن. فيخلق الله تعالى هذا العلم الخاص الذى هو السمع فى نفس موسى عليه السلام متعلقا بصفات الكلام القائم بذات الله تعالى.

فهذا هو سماع موسى عليه السلام لكلام الله تعالى النفسى وبه باين من يعلم هذه الصفة ولم يسمعها لأن من يعلم قيام كلام الله تعالى بذاته منا، إنما يعلمه بأصل العلم العام. وأما هذا العلم الخاص الجلى فلم يحصل لنا، وسمى الخاص سماعا لأن إدراكات الحواس الخمس إنما هى علوم خاصة أخص من مطلق العلم. فاذا وجد هذا العلم الخاص سمى باسمه الموضوع له فى اللغة. فليس من شرط علوم الحواس أن تكون بالأعضاء متماثلة وكل ما جاز على أحد المثيلين جاز على الآخر. فكما جاز أن يخلق عالم السماع فى الأذن جاز أن يخلق فى سائر جهات البدن. وفى جواهر النفس، كما اتفق لموسى عليه السلام.

ومما يقرب هذا المطلب على العقل أن الإنسان يقطع بأن الناس يتحدثون فى أنفسهم فهو مطلع على كلامهم النفسى وقاطع به وهو مطلع أيضا على ما قام بنفسه من الأحاديث ويجد من نفسه علما ضروريا أن علمه بأحوال نفسه من - الأحاديث وغيرها أجلى من علمه بأحوال نفس غيره وإن اشترك الجميع فى القطع. فقد وجدنا العلم القاطع الجلى المتعلق بالكلام النفسى موجودا فينا، وإذا وجدناه واقعا فينا أمكن وقوعه متعلقا بكلام الله تعالى، والموجب لعدول أهل الحق عن سماع موسى عليه السلام للكلام الصوتى، إلى أنه سمع الكلام النفسى قوله تعالى (منهم من كلم الله) فجعل بعض النبيين كلمهم دون البعض مع اشتراك الجميع، بل هم والمؤمنون والمشركون فى سماع الكلام الصوتى من التوراة

وغيرها. فلولا اختصاص البعض بسماع كلام الله النفسي لما حسن ذكر لفظة (منْ) المقتضية للتبعيض.

وموسى عليه السلام من أجلهم فهو أولى بأن يخصص بسماع الكلام النفسي لاسيما وقد أكد الله تعالى كلامه بقوله تعالى ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً**﴾ (١) والمصادر تأكيد وتقوية للمذكور. فيتعين أن يكون المراد الكلام النفسي دون الصوتي.

فان قلت إذا كان المسموع هو الكلام النفسي. فلأى شيء قال الله تعالى ﴿**نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ**﴾ (٢) فقد حصل ابتداء غاية الكلام من الشجرة ومن الوادى. والقائم بذات الله تعالى لا يكون ابتداؤه من شيء من المحدثات. إنما يستقيم ذلك فى الصوتى.

قلت هذا سؤال قوى وجوابه جليل شريف. وهو أن الغاية التى ذكرت بلفظة (من) كما يتصور أن تكون غاية للنداء. يتصور أن تكون غاية للمنادى. باعتبار حال مقدرة له وتقريره. أنا إذا نادينا زيدا وهو قريب من شجرة ونحن بعيدون عنها. لا ينسب إليها صدق قولنا. نادينا زيدا من الشجرة بمعنى ناديناه قريبا من الشجرة فهى غاية لقربه منها لا لنا ولا لندائنا وهذا مثالنا فى غاية الظهور.

فكذلك موسى عليه السلام ناداه الله تعالى بكلامه النفسي. وهو قريب من شاطىء الوادى، وقريب من الشجرة، فيكون العامل فى هذا المجرور الحال المقدرة لموسى عليه السلام، دون النداء، أو نقول، المباركة اسم مشتق يصلح للعمل فيكون الغاية له، أى ابتداء البقعة المباركة من الشجرة ومن شاطىء الوادى ويتعين هذا دون النداء لما ذكرناه من الأدلة الدالة على أن المسموع هو الكلام النفسى

(١) سورة النساء آية ١٦٤.
(٢) سورة القصص آية ٣٠.

دون الصوتى من التخصيص بمن، والتأكيد بالمصدر، كما جاز أن يبصرنا الله وهو ليس فى جهه وبغير جارحة، ونراه نحن وهو ليس فى جهه، ونقطع بوجوده. وليس هو داخل العالم ولا خارج العالم ولا جسم له جاز أن نسمع كلاما ليس بصوت.

السؤال الثانى عشر:

قال النصارى: دل القرآن على الاتحاد والمسلمون ينكرون ذلك. بيانه أنه لما ذكر الله تعالى يحيى عليه السلام قال فى حقه ﴿**وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا**﴾ (١)ولما ذكر عيسى عليه السلام قال فى حقه ﴿**وَالسَّلَامُ عَلَيَّ**﴾ (٢)فاتحد المسلِّم والمسلَّم عليه فى حق عيسى عليه السلام. لأجل ما أختص به من الاتحاد.

ولَمَّا لَمْ يحصل الاتحاد ليحيى – عليه السلام – سلم الله تعالى عليه بصيغة التعدد. فقال وسلام عليه. وهذا نص جلى فى الاتحاد فى حق عيسى عليه السلام دون غيره. ولا يحتاج معه إلى غيره، مع أن المسلمين ينكرون ذلك فى حق عيسى عليه السلام وهو فى كتابهم.

والجواب:

أن هذا اغترار بما لا طائل تحته. لأن كل واحد منا يحسن منه أن يقول فى حق نفسه، الرضوان والسلام والرحمة على سبيل الدعاء إن لم يعلم وقوع ذلك له، أو على سبيل المخبر إن علم وقوع ذلك له مع القطع بعدم اتحاد شىء بذاته، بل لأن اللفظ العربى يقتضى ذلك.

وأى غريب فى قول عيسى عليه السلام (والسلام على) أى من الله تعالى. كما يقول صلوات الله عليه ورضوان الله على. وفضله ونعمته، بل تسليم الله

---

(١) سورة مريم آية ١٥ .

(٢) سورة مريم آية ٣٣ .

تعالى على يحيى – عليه السلام – أفضل من قول عيسى عليه السلام (والسلام عليّ) لأن خبر الله تعالى عن يحيى عليه السلام وحصول السلامة له واقع قطعا، وخبر الله تعالى صدق، وكلام عيسى عليه السلام دعاء، والدعاء ليس من لوازمه الإجابة.

واللازم الوقوع أفضل من غير اللازم الوقوع وأخبار الله تعالى عن العبد أفضل من إخبار العبد عن العبد . لمزيد شريف الربوبية على العبودية . فظهر أن متمسكاتهم أوهام وأضغاث أحلام .

السؤال الثالث عشر :

قالوا : المسلمون ليسوا على ثقة مما بأيديهم من القرآن . وهم يعتقدون أنه لا خلل فيه، وبيانه أن عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – كان من أجلّ الصحابة حتى قال فيه عليه الصلاة والسلام رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد . وقد خالفهم فى القرآن وخالفوه حتى أوجعه عثمان رضى الله عنه ضربا . ولم كان القرآن مقطوعا به لما وقع فيه الخلاف بين الصحابة وهم حديثوا العهد بالنبى ﷺ . لأن القطع يمنع وقوع الخلاف .كما لا يختلف العقلاء فى وجود بغداد ولا فى أن الواحد نصف الاثنين. وإذا لم يحصل للصحابة رضى الله عنهم القطع لم يحصل لغيرهم بطريق الأولى لأنهم أصل لغيرهم . والفزع لا يكون أقوى من الأصل .

وقد أثبت ابن مسعود رضى الله عنه ما نفاه غيره من القراءات الشاذة وأثبتوا هم ما نفاه هو . وهو المعوذتان . فكان عبد الله ينفيهما . وإذا وقع مثل هذا الاختلاف العظيم نفيا وإثباتا اختلت الثقة بجملة القرآن .

والجواب :

أن هذا سؤال أورده بعض المرتدة عن الإسلام بعد أن اسلم . وكان يعتقد أنه من الأسئلة العظيمة . والمثالب الفاحشة وليس الأمر كما ظنه . بل أضله الله تعالى

على علم. فنظر بعين البغضاء وتكلم بلسان الشحناء فران على قلبه هواه فلم يتميز له صوابه من خطاه.

والذى اتفق بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. ليس لأن القرآن غير معلوم عندهم بل هو معلوم متواتر خلفا وسلفا. لقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١) وقوله ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾(٢).

وإنما اختلفوا رضى الله عنهم فى أن ابن مسعود كان يقرأ القرآن ويضم إليه تفسيره نحو قوله تعالى ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ (٣) كان يقرؤها متتابعات وغير ذلك مما كان رضى الله عنه يعتقد أنه تفسير لتلك الآيات التى نازعوه فيها حرصا منه على بيان معناها.

فكانوا هم يحرصون على أن لا يضاف للقرآن غيره. حذرا مما اتفق لأهل الكتاب فى كتابهم ففسد حالهم، وكان الصواب معهم - رضى الله عنهم - فميزوا كلام الله تعالى عن غيره. ولم يخلطوه بسواه فسلم من الغلط والزلل وهذا هو الحزم الذى وفق الله تعالى له هذه الأمة.

ولذلك أجمعوا فيما أعلم على أنه لا يجوز أن يكتب فواتح السور بالمداد بل بصبغ آخر حذرا من أن يعتقد أنها من القرآن وهذا غاية العناية من الله تعالى بهذه الأمة. وهو المحمود المشكور على نعمه السابقة. وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. فهذه هى القراءات الشاذة ومنها القراءات بالمعنى نحو القراءة فى قوله تعالى (اهدنا صراط من أنعمت عليهم بدلا من قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فرفض ذلك غاية الرفض حرصا على نفس اللفظ وابعادا لذرائع التغيير والتبديل فهذا من أفضل محاسن هذه الأمة لا من مساويها. ومن فضائلها لا من رذائلها.

---

(١) سورة الحجرات آية ٩ .
(٢) سورة النساء آية ٨٧ .
(٣) سورة المائدة آية ٨٩ .

وأما المعوذتان فكان ابن مسعود يريد أن يفردهما عن القرآن ليقرأهما الجنب وغيره للتعوذ حتى يتميز ما يشترط فيه الطهارة من القرآن عما لا يشترط.

فهذا وجه اجتهاده رضى الله عنه.. ورأى الصحابة رضى الله عنهم أن إفراد شىء من القرآن – عن القرآن ذريعة ووسيلة إلى إسقاط بعض القرآن فمنعوا منه وكان الحزم معهم رضى الله عنهم فظهر حينئذ أن السؤال سراب، والجاهل يعتقد أنه صواب فبنى على منواله فى الضلال وقنع بزخارف الأموال. وسيعلم إذا انكشف الغبار. أفرسا ركب أم حمار.

السؤال الرابع عشر:

قالوا: المسلمون على ضلال فى دينهم بنص نبيهم وهم لا يشعرون. بيانه أن فى الأحاديث الصحيحة عندهم باتفاقهم أن نبيهم قال لهم عند موته هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فمنعهم عمر من ذلك وقال حسبنا كتاب ربنا. وإذا قال النبى الصادق إن الكتاب الذى يكتبه سبب عدم الضلال وما كتبه، فيكون سبب عدم الضلال لم يوجد فينتقى مسببه وهو عدم الضلال، فيكون الواقع هو ضلالهم جزما بشهادة نبيهم التى لا يمكنهم ردها.

والجواب:

أن ايراد هذا السؤال يقضى على مورده بعدم فهم لسان العرب لأن قوله عليه الصلاة والسلام لن تضلوا معه لا يقتضى أن الضلال المنفى بسببه يجب أن يكون فى عقائد الدين ولا فى قواعد المسلمين بل ذلك يصدق بأدنى مسألة من الفروع ولم يصرح – عليه الصلاة والسلام – بأنا نضل فى الدين إذ لم يكتب. ولا أنا نضل فى شىء ألبته. بل صرح بأنه يكتب ما ينفى معه الضلال ولا يلزم من عدم سبب معين لنفى الضلال أن يقع الضلال، بل جاز أن ينفى الضلال بالهداية الالهية والعناية الربانية. كما إذا قلنا للمسافر إن أخذت هذا الخفير لا تضل معه. يحتمل أنه إذا لم يأخذه أن يهتدى من تلقاء نفسه بإلهام ربه أو سبب آخر، مع أن العلماء قد نقلوا أن ذلك الكتاب كان المقصود به نفى الضلال

فيمن يعين للخلافة بعده – عليه الصلاة والسلام – والخلافة ليست من قواعد الأديان. ولا شرطا فى صحة الإيمان. مع أنا ما أثبتنا الخلافة بعده ﷺ. إلا بنصه وإيمانه به ودلّ فى معنى الكتاب كقوله عليه الصلاة والسلام، الأئمة من قريش، وقد ولينا قريشا، وبقوله عليه الصلاة والسلام لما وعد المرأة بعدة. فقالت له عليه السلام فأن لم أجدك، قال لها عليه الصلاة والسلام (إئت أبا بكر) فصرح بأنه يتولى أعباء المسلمين بعده، وهذا هو الخلافة وما ولينا غير أبا بكر رضى الله عنه. فما ضللنا والحمد لله فى الخلافة ولا فى غيرها.

وعمر رضى الله عنه من أشفق الناس على هذه الأمة. فلولا أنه علم أن فى النصوص ما ينوب عن الكتاب لما أهمله. وهو عليه السلام أشفق منه، وعليه التبليغ واجب. فلو كان قد بقى ما يضلنا فى ديننا لما تركه عليه السلام. ولا سيما وهو يقول فى حجة الوداع ألا قد بلغت ألا قد بلغت والله تعالى يقول تقريرا لذلك ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (١).

وحينئذ يتعين أن ذلك الكتاب كان من باب الاحتياطات التى لا يضر الإخلال بها وحينئذ لا يلزم من عدمه مفسدة فى شيء من الأحوال ولا فى غيرها. فاندفع السؤال.

السؤال الخامس عشر:

قال: المسلمون يعيرونا بأن أنا جيلنا أربعة عن أربعة مختلفين وقرآنهم عن سبعة قراء مختلفين اختلافا شديدا أكثر مما بين الأناجيل من اختلافات بكثير. ويعترفون أن القراءات أكثر من سبع وإنما هذه السبعة اتفق اشتهارها فلهم حينئذ سبعة كتب(٢)، بل عشرة بل أكثر من ذلك من أناس شتى. فهم أشد اختلافا

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) ليس لدى المسلمين سوى قرآن واحد فى مصحف واحد، والقراءات هى لنفس المصحف فهى توافق رسم المصحف ولا تخالفه ففيها مد لبعض الحروف وإضغام او اخفاء لبعضها فى القراءة فقط ولكن رسمها لا يتغير.

فى كتابهم منا فى كتابنا بالضرورة. فلا معنى لإنكارهم علينا ما وقع فى كتابنا من الاختلاف فإنه عندهم أعظم.

والجواب: ما قال الشاعر

أكل امرء تحسبين امرءا ونار توقد بالليل نارا.

هيهات ما كل سوداء تمرة ولا كل بيضاء شحمة. أنزل الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز على خير رسله بلغة قريش. وقبايل العرب مختلفة اللغات فى الإمالة والتفخيم والمد والقصر والجهر والإخفاء وإعمال العوامل الناصبة والرافعة والجارة. فلو كلفوا كلهم الحمل على لغة واحدة لشق عليهم ذلك فسأل عليه الصلاة والسلام ربه أن يجعله على سبع لغات لتتسع العرب ويذهب الحرج، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، فأنزلت القراءات لذلك فكلها مروية عنه عليه الصلاة والسلام، متواترة، فنحن على ثقة فى جميعها. وأنها عن الله تعالى وبإذنه متلقاة عن خير رسله. فذهب اللبس وحصل اليقين.

وأما أنتم فليس فى أنا جيلكم رواية العدل عن العدل إلى مؤلفى أناجيلكم ولا صرح مؤلفوا أنا جيلكم بكلمة واحدة يقول متى فيها أوغيره: قال لى المسيح: إن الله أنزل عليه كذا بل غاية ما فى بعضه قال اليسوع المسيح كذا. أما أن ذلك القول من الكتاب المنزل من عند الله أو هو من قبل عيسى عليه السلام على ما أقتضاه رأيه. أو أنزل عليه لا على سبيل أنه من الإنجيل – هذا لم يتعرض له إنجيل من الأناجيل.

وهلموا إلى أناجيلكم تحكم بيننا وبينكم إن كنتم صادقين. فقد وقفنا عليها ولم نجد فيها شيئا من ذلك. بل تواريخ وحكايات وأخبار وبينها أقوال يسيرة معزية للمسيح عليه السلام، لم يصرح فيها بأنها من الإنجيل ولا من غيره وليس لكم أن تقولوا متى نقل للتلاميذ شيئا فالمسيح قاله لهم لأنا نقول هم خلفاؤه على زعمكم، وكانوا فضلا نجباء.

ومثل هؤلاء يكون لهم أراء واجتهادات وأقيسة وفراسات يتحدثون باعتبارها، فليس لكم أن تقولوا كل ما يقولونه فهو من قبل المسيح عليه السلام. أو من قوله.

ولو سلمنا أنه من قوله عليه السلام فيحتمل أن يكون من كلام الإنجيل ومن غيره. فلا يوثق بحرف واحد عندكم أنه من الإنجيل المنزل. بل نقطع بأن أكثره ليس منزلا وهو تلك التواريخ وكلام الكهنة وملوك الكفرة التى حشوتموها فى الإنجيل. وتزعمون أن الجميع من الإنجيل الكتاب المنزل. وهذا عندكم أشد وأصعب من التوراة. فإن التوراة كتبت فى الألواح، وتميزت وتعينت ثم طرأ عليها ما طرأ عليها.

وأما الإنجيل فلم يتميز قط ولم يعرف له صورة ولا سمعت منه كلمة، غايته أن التلاميذ أملوا هذه الأناجيل بعد رفع المسيح عليه السلام بمدة طويلة. ولم يصرحوا بأن هذا منزل ولا غير منزل فسقطت الثقة من الجميع حتى يتعين المنزل.

ولهذه القواعد لم يجز المسلمون أن يجعلوا شيئا من الأحاديث النبوية مع صحتها من الكتاب المنزل. ولا قول أحد من الصحابة. بل متى قال صحابى قولا نسب له فقط. ولا يجوز أن يقال هذا من قول النبى ﷺ فضلا عن كونه من القرآن .

وأنتم جعلتم الجميع من الكتاب المنزل وسميتموه كتاب الله. فوقعتم فى الضلال وقول المحال. فلا تشبهوا أنفسكم بنا. فوالله ما اجتمعنا فى شيىء من هذا بل أنتم فى غاية الإهمال ونحن فى غاية الاحتفال.

* * *

الباب الثالث
فى أسئلة على الفريقين

هذه أسئلة على الفريقين معارضة لأسئلتهم ودامغة لكلمتهم وملتهم فيزهق الباطل بالحق والكذب بالصدق.

السؤال الأول:

فى الإنجيل قال لوقا. اختار يسوع عليه السلام سبعين رجلا وبعثهم إلى كل موضع أزمع أن يأتيه وقال الحصاد كثير والحصادون قليل. اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فعلة لحصاده. ثم قال من سمع منكم فقد سمع منى ومن سمع منى فقد سمع من الذى أرسلنى ومن شتمكم فقد شتمنى، ومن شتمنى فإنما شتم من أرسلنى[١].

فقد صرح عليه السلام بأنه رسول لا رب، وهو حجة على النصارى؟

السؤال الثانى:

قال لوقا[٢]: قال الفريسيون، ليسوع عليه السلام. أخرج من هاهنا فان هيردوس يريد قتلك فقال: امضوا وقولوا لهذا الثعلب إنى أقيم هاهنا اليوم وغدا وفى اليوم الثالث أكمل. لا يهلك نبى خارجا عن أورشليم.

فخوفوه كما يخوف البشر وصرح أنه نبى حكمه فى أورشليم حكم الأنبياء عليهم السلام. لا أنه رب العالمين. ويريد بقوله: اكمل تتم مدة إقامته فى هذا العالم ثم يرفع إلى السماء.

السؤال الثالث:

فى الإنجيل قال يوحنا[٣]:

---

(١) لوقا ١٠/ ١-١٦.

(٢) لوقا ١٣ / ٣١ - ٣٢.

(٣) يوحنا ٧/ ١٤ - ١٨.

لما انتصف العيد حضر يسوع عليه السلام إلى الهيكل. وشرع يعلم فقال اليهود كيف يحسن هذا التعليم. فقال تعليمى ليس هو لي بل للذى أرسلنى. فمن عمل بطاعته فهو يعرف تعليمى هل هو من عندى أو هو من عند الله، إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه. فأما من يريد مجد من أرسله فهو صادق. ثم قال إنى لم آت من عندى ولكن الذى أرسلنى فحق ولستم تعرفونه، وإنما أنا الذى أعرفه وهو الذى أرسلنى، فهم اليهود بأخذه فلم يقدروا لأن ساعته لم تحضر بعد(١).

وقد صرح غاية التصريح بأنه مرسل، وأن الكلام ليس له، وإنما هو لله تعالى، وأنه لايريد مجد نفسه، بل مجد مرسله، وأنه لم يختلق شيئا من قبل نفسه، ولكن الله تعالى أرسله بالحق. وعلى قول النصارى أنه الله – تعالى عن قولهم – يكون الكلام له ويكون ساعيا فى مجد نفسه ولا يكون مرسلا، وهذه تصريحات عظيمة لا تدفع إلا بالعناد المحض والبهتان الصرف.

السؤال الرابع:

قال المسيح عليه السلام فى خاتمة الإنجيل:

إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم(٢)، فسوى بين نفسه وبين غيره فى الأبوة والبنوة لأن المراد بها أن الله تعالى يحسن لخلقه إحسان الآباء للأبناء بل أشد. وهذا مشترك بين عيسى عليه السلام وبين الخلق. فذلك سواء بسواء، وهو معنى قول اليهود فى القرآن الكريم ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ (٣). والنصارى يحكمون بأبوة الولادة بصدر هذا الكلام. وهو قوله (أبى) ويغفلون عن قوله

---

(١) يوحنا ٧/ ٢٨ – ٣٠.

(٢) يوحنا ٢٠/ ١٧ (اذهبى الى اخوتى وقولي لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم والهى والهكم). وهذا تصريح انه مربوب وان له إلها فهو عبد الله ورسوله.

(٣) سورة المائدة آية ١٨ .

(وأبيكم) وعن قوله وإلهكم وتصريحه عليه السلام بأنه مخلوق مربوب، له إله يعبده ورب يدبره كسائر البشر.

وقد وقع فى الإنجيل لفظ الابن والأب كثيرا لغير المسيح عليه السلام. فقد قالت النصارى أن المسيح عليه السلام. علم تلاميذه هذه السورة. وهى يا أبانا الذى فى السموات. قدوس اسمك يأتى ملكوتك تكون مشيئتك فى السماء كذلك يكون فى الأرض إلى آخر السورة.

فقد أطلقوا على الله تعالى الأبوة بالنسبة إليهم وهى مستعملة بالمعنى الذى ذكرناه عندهم كثيرا على سبيل المجاز كقول التلاميذ لبطرس يا أبا، وفى التوراة قال يوسف عليه السلام: لستم أنتم الذين بعثتمونى بل الله قد منى أمامكم وجعلنى أبا لفرعون. أى مدبرا له.

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح عليه السلام يا أبه يا أبه وهو متكرر فى الإنجيل.

وفى التوراة. قال الله تعالى: إسرائيل ابنى بكرى أى أعز الأولاد. بمعنى أعامله أفضل ما أعامل به الخلق.

وقال يوحنا فى إنجليه: إن يسوع عليه السلام كان مزمعا أن يجمع أبناء الله. أى أهل الإيمان الذين تفضل الله تعالى عليهم بتوحيده فلم لم يعتقد النصارى أن هؤلاء كلهم أبناء الله مثل عيسى عليه السلام. ويدلك على استعمال عيسى عليه السلام المجاز فى الإنجيل. قال متى: بينما يسوع عليه السلام جالس يتكلم على الناس إذ قيل له أمك وإخوتك بالباب يطلبونك. فقال من أمى ومن إخوتى ثم أومأ بيده إلى تلاميذه. وقال هؤلاء هم أمى وإخوتى. وكل من صنع مشيئة أبى الذى فى السموات فهو أخى وأختى وأمى.

فلم لم يقتد النصارى بالمسيح عليه السلام وبالتلاميذ وبالتوراة باستعمال

المجاز فى هذه الألفاظ بل هم فى الجهالة والضلالة وقلة العقل. بل عدمه كالفار الأعور يرى الخبز ولا يرى القط. إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً.

ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذى ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون تحذف كونه خلق من غير أب من البشر. فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى. وآدم أولى منه بذلك، لكونه خلق من غير أب ولم يباشر الأرحام ولاسقم الأطفال ولا تطور فى أطوار البشر، وكم فى العالم من الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب.

ولقد بلغنى أن بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية. لأن الأنبارور أثار ذلك لما قدم عليه رسول ملك المسلمين. فجمع أعيانهم له فقطعهم بقدح من الفول المسوس. فكان يخرج لهم الفولة فيخرج سوستها ويقول أين أبو هذه؟ ثم يخرج أخرى فيقول أين أبو هذه فبهتوا لعنهم الله. وناهيك من قوم يقطعهم فولة مسوسة. فإن سوس الحبوب بأسرها لا تتوالد وإنما تخلق كل سوسة داخل الحبة. والقشر متعلق عليها. وإنما تخرج من الحبة بعد خلقها.

وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال. فأى آيات الله تنكرون. ولذلك غلطوا فى لفظة الرب والاله. والمراد بالرب المربى والإله المسلط. ففى التوراة قول إبراهيم ولوط صلوات الله عليهما للملك يارب. بل إلهى. وفيها قال الله تعالى لموسى – عليه السلام – قد جعلتك إلهًا لفرعون. يريد مسلَّطا عليه. وقال له وقد اشتكى له لثغة فى لسانه. قد جعلتك ربا لهارون. وجعلته لك نبيا. أنا آمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ بنى إسرائيل. فلا تغتروا بقول بطرس للمسيح عليه السلام يارب.

وهذه الألفاظ كثيرة فى كتبهم فى غير عيسى عليه السلام تركتها خشية الإطالة.

السؤال الخامس:

زعمت النصارى أن المسيح عليه السلام هو الله تعالى. وإنما نزل إلى الأرض لينصرهم على اليهود. وأن يشرق فى سماء مجدهم شمس السعود. لتخليص العالم من الخطيئة. وتصير أنفس أهله زكية راضية مرضية.

فيقال لهم كان الأبلغ فى أبهة الجلالة الصمدية. والحرمة الإلهية أن يفعل ذلك عن أيدى رسله المرضيين وخاصته المقربين. فما الذى أوجب نزوله من مجده الرفيع وعزه المنيع إلى حضيض الآفات. ومقر الملومات فولج بطون النسا واغتذا بالدماء ولبث فى الأرحام. منغمسا فى المشيمة والأحوال الذميمة إلى أن ولدته أمه وأرضعته وفصلته وأربته. وأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها وترددت به إلى المواسم وأرته الشعاير والمعالم، تلقنه وتثقفه حتى شب وترعرع وتشوق إلى شرف الرجولية وتطلع .

فلما شرع فيما نزل إليه وَثَبَتْ عليه اليهود. أهل الكفر والجحود. فنكروه وطردوه وعزموا على أن يقتلوه فلما أعياه أمرهم تحصن بالاستتار خلف الجدار وأمر أصحابه بكتمانه وأن يبالغوا فى إخفاء مكانه وأقام على ذلك مدة واليهود تطلبه حتى دل عليه يهوذا صاحبه، فأسلمه لأعدائه وأحله فى شبكة بلائة فسحبوه على الشوك حزيناً.

وبقى هذا الاله المسكين فى أيدى اليهود بالعذاب رهينا. يرون أقبح ما يفعلونه حسنا، وأشد ما يهينونه به مستحسنا. مهما بلغوا من إهانته المراد. وعلاه لشدة الهوان الضعف السواد. مضوا به إلى بقعة من الأرض يزعم النصارى أنه رجاها. وحملوه على خشبته التى يقولون إنه أنبت لحاها، وألبسوه أثوابا حمراً للشهرة. كان قد خلق ورسها وأنكره نحو الشمس الذى هو أسخن مسها وسألهم شربة من الماء الذى فجره حين وصلت روحه للحنجرة. فبخلوا بها

وعوضوه الخل والمرعنها . فلما تعالت عليه الآلام والدواهى . نادى فوق جذعه إلهى إلهى .

وقد صار بين اللصوص ثالث الجناج وعوض عما نزل إليه أنواع الآفات والمذلات ثم زهقت نفسه وحضر رمسه وصار فى بطن اللحد سرا مكتوما . وعاد الاله القديم معدوما . ثم خرج بعد الثلاث من ذلك المكان، وعاد كما كان بعد أن اتصف بالأحوال الوبيلة، وبقيت حسرة النصارى عليه طويلة . وتضاعفت الخطيئة بالجناية على رب البرية . وعظم تسلط اليهود . وكفر أهل الحجود، ولم يعظمه ويؤمن به إلا النفر القليل، والعدد اليسير .

فكيف هذا الرأى السقيم . والتصرف الذميم، بل لا يصدر هذا إلا من فاسد الرأى مشوم الغرة، ناقص الهمة، مظلم الفكرة، يعرض نفسه للمحن، ويثير بين العباد الإحن، وأن هذا لمن اعظم الشين لهذه الربوبية وإزالة بهجتها وطمس نورها وإطلاق ألسنة الأعداء بابطلها، وأين هذا من قول المسلمين الذين يجلون الله عن الاتصاف بصفات الأجسام، ويحيلون على جنابه الكريم أن تنالة الآفات والآلام، بعث عيسى عليه السلام، نبيا مكرما، ورفعه إليه مجيبا معظما، لم يهنه بأيدى الأعداء، ولا سلط عليه أسباب البلاء .

ولو أن إنسانا نشأ ببعض الجزاير لا يعرف الأديان . ولا يخالط نوع الإنسان، فقيل له إن لك ربا خلقك، وأبدعك، وهو رجل مثلك، يبول ويتغوط، ويبصق ويمخط . ويجوع ويعطش – ويعرى ويكسى . ويأكل ويشرب ويسهر وينام . ويتنازع مع الأنام الكلام .

وأن إنسانا مثله ومثلك – باعه – بفضة فضربه وسجنه ثم صلبه وقتله، بعد أن حطم شعره، ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذر عليه روح الحياة، لا ستنكف العقل السليم، والطبع المستقيم[1] . الاعتراف بوجود هذا الاله، فضلا عن

---

(١) فى بعض النسخ (الوخيم) .

الاعتراف بربوبيته، ولنفر أن يكون عبدا له. ويرى نفسه أفضل من هذا الاله لسلامته عن هذه الآفات.

وجميع ما ذكرته فى هذا الفصل هو نص الإنجيل ولا يخالف النصارى فيه.

السؤال السادس:

يقول النصارى:

الله تعالى الأزلى الخالق للعالم، والنافخ للروح فى آدم، فيقال لهم أهو إله واحد أم لا؟ فان قالوا: نعم كفروا بالأمانة والصلوات الثمانية لأن فى الأمانة التى هى أصل دينهم، نؤمن بالله الأب الواحد ضابط الكل، ونؤمن بالرب الإله الواحد يسوع المسيح إله الحق، الذى بيده أتقنت العوالم وخلق كل شىء، ونؤمن بروح القدس الواحد الحى، ويقرؤون فى صلوة النوم:

الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة أيها الآب لأنك لم تزل، وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة، ثالوث واحد فقد صرحوا بثلاثة أزلية. وإنسان من بنى آدم يسمى يسوع فهم يقولون بأربعة وهم لا يشعرون، وإن قالوا لا، كفروا بالتوراة والإنجيل.

أما التوراة:

قال الله تعالى لموسى عليه السلام. أنا إلهك فلا يكن لك إله غيرى، وفيها أعلم أننى أنا الله وحدى وليس معى غيرى. أنا أميت وأحيى وأسقم وأبرىء ولا ينجو أحد من يدى. والتصريح بالتوحيد كثير فى التوراة.

وفى إنجيل متى:

لا صالح إلا الله الواحد.

وفى إنجيل يوحنا:

قال المسيح وقد رفع بصره إلى فوق الهى. إن الحياة الدائمة تجب للناس إذا علموا أنك الواحد الحق الذى أرسلت المسيح .

وهو كثير فى الإنجيل تركته خوف الإطالة، فهم كفره على التقديرين. إما بصلواتهم وإما بأمانتهم التى هى عين الخيانة أو بكتبهم.

السؤال السابع:

نقول: الاله الواحد الأزلى جسم ولحم ودم أم يستحيل عليه ذلك، فإن أحالوا ذلك عليه خرج المسيح عليه السلام من الربوبية. لأن الأناجيل الأربعة تشهد بأنه لذلك لا يباين البشر فى شيىء.

وإن لم يحيلو ذلك. أكذبتهم التوراة والإنجيل، والنبوات، ففى التوراة. لا تشبهونى بشيىء مما فى السموات فوق، ولا فى الأرض أسفل، ولا فى البحار تحت ولا بشى وهو قول القرآن الكريم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

وفى الإنجيل: إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه. أحد قط، وفى المزامير. يارب أنت صانع العجائب ولا نظير لك.

السؤال الثامن:

نقول لهم: الله تعالى يجوز أن يصلب ويقهر. فإن قالوا لا بطل قولهم فى المسيح، إذ يقرؤون فى صلاة الساعة السادسة: يا من سمرت يداه على الصليب. وبقى حتى لصق دمه عليه. قد أحببنا الموت لموتك يا الله - نسألك يا الله - بالمسامير التى سمرت بها نجنا.

وإن جوزوا على الله ذلك، كذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير.

ففى السفر الأول من التوراة: أن الله تعالى أنزل الطوفان وأهلك الجبابرة والفراعنة والطاغية والطغاة والمروة وسائر الملوك من بنى آدم. وكل بنى روح من

---

(١) سورة الشورى آية ١١ .

الحيوان البهيم وغيره، وغرق فرعون فى ستمائة ألف فارس فى البحر فى ساعة واحدة ولم يتمهر سبحانه ولم يغلب. بل هو القاهر الغالب جل وعلا.

وفى الإنجيل: لا صالح إلا الاله الواحد. ولا يعلم يوم القيامة سوى الله تعالى. لا عزيز مثل إلهى، والذى تلحقه الآفات والقهر لا يتقرر بالصلاح بل هو كغيره.

وفى المزمور السابع عشر. عزيز مثل إلهى.

السؤال التاسع:

نقول للنصارى: آدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى، وأممهم كانوا يعرفون المسيح عليه السلام، ويعتقدون أنه خالقهم ومدبرهم أم لا؟ فان قالوا: لا. كفروا بهؤلاء الأنبياء عليهم السلام لنسبتهم فيها إلى الجهل بخالقهم، وإن قالوا: نعم. كذبتهم الكتب جميعا، إذ ليس فيها حرف يدل على أن أحدا من هؤلاء كان يعتقد أن المسيح عليه السلام إله.

السؤال العاشر:

نقول لهم - آدم عليه السلام تاب وأناب أم لا.

فان قالوا: نعم بطل القول بالصلب، فانهم يقولون إن سر الصلب محو خطيئة آدم عليه السلام، وأن الله تعالى فداه بابنه. كما فدا إسحاق[1] بالكبش، فضرب المسيح عليه السلام عوضا عن رفاهية آدم ،وإهانته بدلا من الثمرة التى أهلها بالخلود فى الجنة. وصلبه على خشبة لتناوله الشجرة. وسمرت يداه لامتداد يد آدم عليه السلام حلاوة ما أكله، ومات بدلا عن موت المعصية. الذى كان آدم عليه السلام يتوقعه.

وإن قالوا لا كذبتهم كتبهم، فإنها كلها مصرحة بتوبة آدم عليه السلام،

---

(١) الصحيح أنه اسماعيل عليه السلام و المؤلف ينقل أقوالهم.

والتوبة تنفى الحوبة، فلا معنى لعقوبة الولد، ثم الفدا بهابيل أولى لأنه ولد الصلب، وفداء البشر بالبشر الصرف أولى من الفداء ببشر هو إله قديم، وفى كتبهم أن الله تعالى فدا إسحاق[1] بكبش[2] ففداء آدم على خطيئته بكبش أولى، أو نقول: الله تعالى فدا الجميع بكفرة عجلهم للنار. وهو أولى لأنه إيقاع العقوبة.

ويدل على أن التوبة تمحوا إلا ثم. قول الإنجيل. لما أسلم المعمد إلى القتل، خرج يسوع عليه السلام إلى الجليل وجعل ينادى قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله تعالى، فتوبوا وآمنوا بالبشرى[3]، فجعل التوبة توجب الايمان بالبشرى.

السؤال الحادى عشر:

نقول لهم:

الله تعالى بكل شيىء عليم أم لا. فإن قالوا لا، كذبتهم كتبهم لقول المسيح عليه السلام لا يعلم القيامة إلا الله تعالى. وإن قالوا نعم بطل اعتقادهم فى ربوبية المسيح عليه السلام. فإن نصوص الإنجيل تقتضى عدم علمه بالمغيبات. كقوله عليه السلام لمريم. ومرثا أختى[4] العازر[5]. حين مات أين دفنتموه فعرَّفوه بمكانه فأحياه.

وأدلة ذلك كثيرة فى الإنجيل. ومن هو منقوص بنقايص البشر لا يصلح للربوبية.

---

(١) الفداء كان لإسماعيل عليه السلام لأنه البكر والأمر كان لإبراهيم بذبح ابنه البكر.

(٢) راجع سفر التكوين – إصحاح ٢٢ / ١٢-١٣ .

(٣) إنجيل مرقس – اصحاح ١ / ١٤-١٥ (وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل).
انظر الاختلاف فى النص أعلاه عن هذا النص، وهكذا تختلف الروايات!!

(٤) فى الأصل أمى العازر والصحيح أنهما أختاه.

(٥) راجع قصة العازر واحياء المسيح عليه السلام له بعد موته بأربعة أيام فى انجيل يوحنا الاصحاح ١١ / ١-٤٤ .

السؤال الثانى عشر:

هل كان الله تعالى قادرا على خلاص آدم وذريته بغير صلب المسيح أم لا؟.

فإن قالوا لا كفروا بنسبة الله تعالى للعجز والاضطراب واكذبهم ما تقدم من التوراة وغيرها.

إن قالوا يقدر كفروا بنسبته إلى الحيف على يسوع عليه السلام وإهانته الخاصة بأيدى السفلة على قاعدتهم فى التحسين والتقبيح، وليس من العدل أن ينجى آدم عليه السلام، فيُفْدَ بابن الله تعالى.

السؤال الثالث عشر:

يقولون فى أمانتهم التى هى أصل دينهم.

إن خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلا قتل المسيح عليه السلام والتوراة والنبوات ترد عليهم.

ففى السفر الأول من التوراة، يقول الله تعالى لقابيل قاتل هابيل، إن أحسنت يقبل منك، وإن لم تحسن فان الخطيئة رابضة ببابك[١]، وفى بعض النبوات لا آخذ الولد بخطيئة الوالد – ولا الوالد بخطيئة الولد. طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطىء عليه تكون[٢].

وهو تصريح وبعدم تخطى الخطيئة محلها كقول القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [٣] ولأنه لو عمت لكانت خلاف العدل. وغير حسن على قاعدة الحسن والقبيح عندهم.

وفى المزمور الرابع: يا بنى البشر حتى متى أنتم ثقيلى القلوب، لماذا تهابون الباطل وتتبعون الكذب، اغضبوا ولا تأثموا، والذى تتهمون به فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم. اذبحوا لله ذبيحة البر. وتوكلوا على الرب[٤].

---

(١) تكوين ٤/ ٦/٧.

(٢) دانيال ١٢/ ٢– ٣ ولوقا ١٢/ ٢٩ – ٣٤.

(٣) سورة فاطر آية ١٨.

(٤) مزمور ٤/ ٢: ٥.

فأخبرهم أنهم إذا فعلوا آمنوا، فلا حاجة إلى صلب الرب ولا صلب ولد وهو كثير فى كتبهم. ثم المصلحة تقتضى الفداء بهابيل وكان العالم قد تخلص من خمسة آلاف سنة من زمن هابيل إلى زمن المسيح عليه السلام.

ثم الذين ماتوا قبل زمن المسيح عليه السلام. ماتوا كفارا أو مؤمنين. فإن قالوا ماتوا مؤمنين فلا حاجة إلى الصلب. وإن قالوا كفارا كذبهم الإنجيل فى قول عيسى عليه السلام. إنى لم أرسل إلا إلى الذين ضلوا من بنى إسرائيل. وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء. ثم تأخيره حينئذ عن الخطائين حتى ماتوا. إغفال للمصالح العظيمة وهو غير لائق بالحكمة.

السؤال الرابع عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام مات ثم عاش. فنقول لهم من أحياه فإن قالوا نفسه قلنا وهو حى أو ميت فإن قالوا وهو حى لزم تحصيل الحاصل، وإن قالوا وهو ميت لزمهم المحال، لأن الخالق للحياة لا يمكن أن يكون ميتا، بل أقل أحواله أن يكون عالما بمن يحييه، وقيام العلم بغير الحى محال، وإن قالوا أحياه غيره و هو الذى أماته لزمهم أن يكون المسيح عليه السلام عبدا مربوبا وهو المطلوب.

السؤال الخامس عشر:

يقال لهم: إماتة المسيح عليه السلام حكمة أو سفه. فإن قالوا حكمة لزمهم الثناء على اليهود بالخير. لإعانتهم على الحكمة وفعلهم لها. وإن قالوا سفة نسبوا الرب تعالى إلى السفه وهو كفر.

السؤال السادس عشر:

قالوا: المسيح عليه السلام إله العالم وخالقهم ورازقهم ومدبرهم إلى منتهى آجالهم. ثم صلب ودفن ثلاثة أيام[1] فنقول لهم ياسخفاء العقول والجاهلين بالمعقول والمنقول من كان يقوم برزق الأنام والأنعام فى تلك الأيام. وكيف كان

---

(١) متى ٢٧ / ٦٣.

حال الوجود والإله فى اللحود. ومن المدبر للسموات والأرض بالبسط والقبض والرفع والخفض وهل دفنت الكلمة بدفنه. وقتلت بقتله أم خذلته وهربت مع التلاميذ.

فإن دفنت فإن القبر الذى وسع الكلمة لقبر عظيم. وإن أسلمته وذهبت فكيف أمكنت المفارقة بعد الاتحاد والامتزاج وكيف يحسن بهذا الاله إسلامه محله لأعدائه. وخذلان سائر أودائه، وأن قولكم فى الأمانة التى هى أشد فسادا من الخيانة. إن المسيح عليه السلام، أتقن العوالم بيده. وخلق كل شيىء.

وقولكم إن الأب لا يدبر أحدا بل الابن الذى يدبر الناس، فإن كان صلبه برضاه، وهو قادر على دفعه عن نفسه فينبغى أن يترحموا على اليهود ويعظمهم لتحصيلهم رضاه، وإن كان بغيررضاه فاطلبوا إله سواه، فإن العاجز عن حفظ حشاشته كيف يرجى منه دفع أو يتوقع منه نفع.

السؤال السابع عشر:

نقول: كون هذه الواقعة العظيمة، التى من جملتها صلب إله العالم، إنما كانت عندكم لسبب خلاصكم فحققوا لنا هذا الخلاص، إن كان من محن الدنيا فها أنتم مشاركون لسائر البشر فى النفع والضر، أو من عهد التكاليف فها أنتم مخاطبون فيها بالمبادرة. وآثمون على التسويف، تدأبون فى الصلاة والصيان. ومختبطون فى موارد الأنام أو من أهوال القيامة، وما تكابده الخلائق يوم الطامة، أكذبكم الإنجيل بقوله (إنى جامع الناس فى القيامة عن يمين وشمال فأقول لأهل اليمين فعلتم خيرا فاذهبوا إلى النعيم وأقول لأهل الشمال فعلتم شرا فاذهبوا إلى الجحيم[1]، فقد أخبر أن الناس كلهم ينجون بحسناتهم ويهلكون بسيئاتهم وضاع الصلب فى البين.

---

(١) نقل المؤلف النص من الانجيل الذى كان أيامه، والروايات تختلف بعضها عن بعض لذا تجد النصوص تختلف من انجيل لانجيل ومن طبعة إلى أخرى، انظر متى ٢ /٧ ومرقس ٩ / ٤٣ - ٤٤.

السؤال الثامن عشر :

على معنى قولهم فى الاتحاد.

وهم فرق ثلاثة. اليعاقبة والروم والنسطورية. وهم كثيرون فى فرقهم. لكن المشهور الآن هؤلاء الثلاث وأقوالهم متضادة متناقضة. لأن كلا منهم يريد تفريع مذهب صحيح على أصل مستحيل. ولا فرع إذا فسد الأصل.

فاليعاقبة فرقة يعقوب السروجى، ويسمى البراذعى، ادعت أن المسيح عليه السلام صيَّرة الاتحاد طبيعة واحدة، وأقنوما واحدا، والسؤال عليهم. أن حقيقة اللاهوت والناسوت إن بقيتا بعد الاتحاد على حالهما بطل قولهم صارتا طبيعة واحدة. وإن تغيرتا عن حالهما فهذه حقيقة أخرى. لا لاهوت ولا ناسوت. فلا تصفوا المسيح عليه السلام. بأنه إله ولا إنسان.

ويلزمهم أن القديم الاله صار محدثا. والمحدث صار قديما لضرورة اتحاد الحقيقة - وأن يصير الخالق مخلوقا. والمخلوق خالقا لضرورة اتحاد الحقيقة، أو نقول اللاهوت والناسوت إن بقى لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان قطعالا حقيقة واحدة فلا اتحاد. وإن ذهبت خصوصية كل واحد منهما، عدما بالضرورة. لأن الخصوصية للذات من ألزم اللوازم. فإذا عدم اللازم عدم الملزوم، وإذا عدمت الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة. لأن اتحاد الذاتين فرع وجودهما، والعدم نفى محض، فلا اتحاد معه فالاتحاد باطل جزما.

الفرقة الثانية. الروم وهم الملكانية. يقولون هما بعد الاتحاد جوهران. أقنوم واحد، والأقنوم لفظة رومية ومعناها فى اصطلاحهم أقنوم الشخص، وقال الجوهرى فى الصحاح، الأقانيم الأصول واحدها أقنوم مثل عصور وخرطوم. قال وأحسبها رومية، قالت الملكانية: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود عليهما السلام، وهو شخص واحد. فأوجبوا الاتحاد فى الشخص فقط لاعتقادهم استحالته فى الحقائق، والسؤال عليهم أن نقول :

قولكم الحقيقتان لم تتحدا. وإنما حصل الاتحاد فى الشخص كلام غير معقول. فإن الاتحاد إن أريد به الامتزاج قد صارت الحقيقتان واحدة. وهو مذهب اليعاقبة، فعليكم ما عليهم، وإن أريد أن الحقيقتين اجتمعتا فى شكل واحد، فهذا هو الحلول لا الاتحاد وهو محال، فإن العالم يلزم أن يكون أصغر من جماعة من اليهود، فإنه كان فى اليهود من هو أعظم هيكلا من المسيح عليه السلام، وهو كان سياحا قليل الغذاء كثير الأسفار. ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم، والحَالّ أبدا أصغر من المحل، فيكون ذلك اليهودى المعتل[1] البدن أعظم من المسيح، الذى هو أعظم من الله تعالى، وهو لا يقول عاقل. وإن كان المراد بالاتحاد معنى ثالثا فهو غيرمعقول.

الفرقة الثالثة النسطورية، نصارى المشرق منسوبون إلى نسطورس يقولون هما بعد الاتحاد جوهران أقنومان باقيان على طبعهما. والسؤال عليهم ان الطبيعتين إن كانتا فى شخص واحد فذلك – باطل. لأن الطبيعتين لا تقومان فى محل واحد – وإن كانتا فى شخصين فذلك يكذبه الحس. فإن عيسى عليه السلام كان شخصا واحدا. فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة، . ومخالف الضروريات وكفى بذلك بطلانا.

السؤال التاسع عشر:

النصارى مجمعون على القول بالثالوث.

وهو أن ربهم آب وابن. وروح. فالآب الذات والابن النطق الذى هو الكلام النفسانى والروح الحياة. فالآب جوهر. واختلفوا فى الكلام والحياة. هل هما صفتان للآب أو ذاتان بأنفسهما أو خاصيتان لذلك الجوهر. ثلاثة مذاهب لهم.

فنقول لهم إن قلتم إن الاله واحد، والزائد صفتان، فهو قولنا إن الله تعالى له صفات سبع، وهو إله واحد، وصفاته العلم والحياة والإرادة والكلام والقدرة

(١) فى نسخة المبل وفى أخرى العبل والصحيح ما أثبتناه.

والسمع والبصر، وفارقتم قول مشايخ الأمانة فى قولهم الآب إله واحد، والإبن يسوع إله واحد والروح القدس إله ثالث. وأفسدتم صلواتكم حيث تقرؤون فيها الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك فى الابتداء وروح القدس. شاركك فى الكرامة.

وإن قلتم الجميع إله واحد، وكل منهما يستقل بالالهية فقد خالفتم ما تقدم من الأمانة، والصلوات ففى الأمانة أن المسيح إله حق أتقن العوالم بيده، وخلق كل شيء، وأنه نزل من السماء لخلاص الناس والذى نزل من السماء إنما هو أقنوم الابن وحده.

وإن قلتم إن كل واحد من الثلاثة إله ومجموعها إله واحد. فنقول لهم الاله يتصور عندكم بدون صفات الكمال، من الحياة والعلم والكمال أم لا؟ فان زعموا تصور ذلك، فكل جماد فى العالم، أونبات أو حيوان هو إله مستقل، لاقتصارهم حينئذ على مجرد ذات المفهوم من الإله. فيكون حمار الأسقف إلاها. وكذلك جميع حشرات بيته. بل نعله الذى فى رجله.

وإن قالوا لابد من هذه الصفات فى مفهوم الإله لزمهم أن يكون لكل واحد من هؤلاء الثلاثة. علم وحياة وكلام، التى هى عندهم الأقانيم الثلاث. فيصير التثليث تتسيعا، ويلزمهم أن يكون لكل واحد من التسع إلها، لأن كل واحد منهما مساو لكل واحد من الثلاثة الأول، فيحتاج كل واحد من التسع إلى صفات ثلاث، لأنه حينئذ إله، فيلزم التسلسل وآلهة غير متناهية وموجودات ليس لها غاية، وهذا محال كله، فهم حينئذ لا يقدرون على تصوير مذهبهم أصلا.

ولذلك اتفق لى مع كثير منهم فى المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه فيعجز ومن يعجز عن تصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه فيتوقف. فلو كان للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم.

السؤال العشرون:

لهم الأمانة وهى أقبح من الخيانة

يسمونها شريفة الإيمان والتسبيحة، لا يتم لهم عيد ولا قربان إلا بها. قال المؤرخون وأرباب النقل، إن الباعث لأوائل النصارى على ترتيبها ولعن من يخالفها، أن آريوس أحد أوائلهم كان مع طائفة موحدا مخالفا للنصارى فى اعتقادهم فى المسيح عليه السلام. وكان يعتقد أنه رسول، وعبد مخلوق. فعلموا به. فتكاتبوا إلى أن اجتمعوا فى مدينة نيقية عند الملك قسطنطين فناظروه. فشرح آريوس مقالته، فرد السلام الأكصيدروس بطريق الاسكندرية وتتبع مقالته عند الملك، ثم تناظر الجميع، فانتشرت مقالتهم، وكثر اختلافهم فتعجب الملك من شدة الاختلاف، وكثرة التباين، وأمرهم بالبحث عن القول المرضى، فاتفق رأى الأكصيدروس وجماعة على نظم الأمانة. بعد أن أفسدوها دفعات، وزادوا ونقصوا.

الأمانة:

وهى نؤمن بالله الواحد الآب. ضابط الكل. ملك كل شىء. صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد. بكر الخلايق كلها. الذى ولد من أبيه قبل العوالم كلها. وليس بمصنوع، إله حق من إله حق من جوهر أبيه. الذى بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شىء. الذى من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء. وتجسد من روح القدس. وصار إنسانا وحبل به. وولد من مريم البتول وأوجع. وصلب أياما وليالى على عهد بيلاطس البنطى ودفن وقام فى اليوم الثالث، كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الله وهو مستعد للمجيىء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء. ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق، الذى يخرج من أبيه روح يحييه [١] وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية. وقيامة أبداننا بالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين.

فهذه هى الأمانة التى أجمع عليها اليوم جميع فرق النصارى. الروم

---

(١) فى بعض النسخ (مجدية).

واليعاقبة والنسطورية واتفقوا على أنه لا يتم عبد ولا قربان إلا بها مع أنها لا أصل لها فى شرع الإنجيل، ولا من قول المسيح عليه السلام، ولا من قول تلاميذه بل هى آراء قوم مغفلين، وتلفيقات جماعة مشكلين، عليها من الركاكة الظاهرة، والعبارة القبيحة، والمعانى السمجة ظلمات بعضها فوق بعض. قد احتف بها القطع من جميع جهاتها، وشملها الكفر والبهتان فى جميع كلماتها، ومع ذلك فهم عليها عاكفون ولها معظمون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الاخسرون.

السؤال الحادى والعشرون:

قولهم فى أول الأمانة:

الله تعالى ضابط الكل ومالك كل شىء، وصانع ما يرى وما لا يرى، يلزم منه أنه تعالى خالق المسيح، وروح القدس لأنهما إما مرئيان أو غير مرئيين، وعلى التقديرين يكونان مخلوقين وهو خلاف معتقدهم.

السؤال الثانى والعشرون:

إنهم وحدوا الله بالخلق والملك، ثم لم يلبثوا حتى نقضوا ذلك على الفور، فقالوا مع هذا الاله المستبد بالخلق لما يرى وما لا يرى، إله آخر أتقن العوالم بيده، وخلق كل شىء.

فكيف يتصور عاقل أن الآب خالق لكل شىء فأى شىء بقى للإبن؟ وإن كان الابن خالق كل شىء فأى شىء بقى للآب؟ وإن كان الخالق واحدا. فلأى شىء صرحوا بخالقين[1] وهذا غاية التناقض والفساد فى هذه الأمانة التى ألفها أهل الجهل والخيانة فلو ألفها أحد صبيان المكاتب من أولاد المسلمين لما وقع فى هذه المذلان ولا نطق بهذه الهفوات.

السؤال الثالث والعشرون:

إنهم فى الأمانة أثبتوا عبادة رجل من بنى آدم.

---

(١) فى بعض النسخ خرجوا مخالفين والصحيح (صرحوا بخالقين).

فإن يسوع المسيح عليه السلام اسم للانسان المنفصل من مريم عليها السلام، وكل رجل من بنى آدم مخلوق. فهم يعبدون المخلوق ولا يشعرون، وهب أن القديم على زعمهم حل فيه أليس الناسوت مخلوقا والمسيح اسم للمجموع والمركب من القديم والحادث ومن القديم والمخلوق مخلوق، فهم يعبدون المحدث المخلوق جزما ولو شعروا بذلك لأنكروه ولكن لا يشعرون.

السؤال الرابع والعشرون:

قولهم فى الأمانة:

إن المسيح ابن الله بكر الخلائق الذى ولد من أبيه يقتضى حدوث المسيح عليه السلام. وهم يعتقدوم قدمه فنقضوا أصلهم من حيث لا يشعرون.

بيانه. أن المولود من غيره لابد أن يتقدم عليه والده بالزمان، ثم يوجد الولد بعده فى زمن آخر - إذ لو وجدا فى زمان واحد لم يكن كون أحدهما ابنا للآخر أولى من العكس، والمتأخر بالزمان هو الحادث لكن القوم لا يعلمون الحادث من القديم فلذلك نقضوا قواعدهم من حيث لا يشعرون.

ثم قولهم بكر الخلائق يقتضى أن الخلائق كلهم أولاده. ويكون المسيح عليه السلام مصنوعا فالقسمان باطلان فقولهم باطل، جزما ويصير المسيح عليه السلام بمقتضى القولين مخلوق وغير مخلوق.

السوأل الخامس والعشرون:

قولهم فى الأمانة:

المسيح إله حق - من إله حق من جوهر أبيه. يبطل قول المسيح عليه السلام فى الإنجيل. وقد سئل عن يوم القيامة فقال لا أعرف ذلك. ولا يعرفه إلا الآب وحده. فلو كان من جوهر أبيه لعلم ما يعلمه أبوه وساواه فى علمه وتعلقه بالمعلومات وغيرها، فلما لم يعلم ذلك دل على أنه من جوهر آبائه دواد وغيره من الأنبياء عليهم السلام.

ولذلك لما سئلوا عن يوم القيامة قالوا كقول المسيح صلوات الله عليهم أجمعين. فلو جاز أن يكون إلاها ثانيا من أول لجاز ثالث من ثان ورابع من ثالث إلى غير النهاية، لكن هذا كله باطل، لقول المسيح عليه السلام. إن أول الوصايا أن الرب واحد، وبقوله فى إنجيل مرقس. لا صالح إلا الله تعالى.

السؤال السادس والعشرون:

قولهم فى الأمانة:

المسيح عليه السلام أتقن العوالم، وخلق كل شىء، يلزم أن يكون خلق أمه، فتكون أمه ولدت خالقها، وهو خلق أمه، وهذا لا يقوله إلا أهل البيمارستان ثم يبطله ويكذبه قول متى فى الإنجيل: هذا مولود يسوع المسيح عليه السلام ابن داود[1].

فكيف يكون خلق داود والعوالم التى قبله. والخرق التى لف فيها عند الولادة والمهد الذى وضع فيه وهو طفل – أمور معلومة وبطلان ذلك لا يخفى على عاقل.

وكيف يكون خالق العوالم ومن جملتها إبليس، وفى الإنجيل أنه قال للمسيح عليه السلام، اسجد لى وهو محصور معه فى رؤوس الجبال[2]، فكيف ينحصر خالق العوالم ومدبرها فى يد بعض العوالم على هذه الصورة، لكن المشايخ الذين لفقوا الأمانة كانوا من التياسة والجهالة فى أبعد غاية.

السؤال السابع والعشرون:

قولهم فى الأمانة:

أن المسيح الاله الحق نزل من السماء، فنقول النازل إن كان الناسوت فهو باطل لإجماعهم أنه ابن مريم رضى الله عنها وإن كان اللاهوت فان كان الآب لزم

---

(١) انجيل متى الاصحاح ١/١.
(٢) انجيل متي اصحاح ٤/٩.

لحوق النقايص به من الأكل والشرب والحركة والسكون من العلو إلى السفل وذلك صفات المخلوقين وخواص الأجسام المحدثة وهو محال على الله تعالى أتفاقا.

وإن كان الكلمة الذى هو العلم عندهم يلزم أن يبقى البارى تعالى بغير علم لأن علمه نزل وتركه، وعدم علم الاله يسقط ربوبيته اتفاقا وعقلا، أو يبقى عالما بعلم ليس قائما بذاته وهو مستحيل أن يعلم إنسان أو غيره يعلم لم يقم به فبطل القول بالنزول مطلقا.

السؤال الثامن والعشرون:

إن المسيح ليس اسما للكلمة، لأنها عندهم فى الإنجيل لا تسمى مسيحا بل علما وليس للجسد على أنفراده عندهم فهو أسم للمجموع والمجموع لم ينزل من السماء. لأن الجسد عندهم إنما حصل فى الأرض فبطل القول بنزول المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض.

السؤال التاسع والعشرون:

قولهم فى الأمانة:

إنه نزل لخلاص الناس دعوى لا دليل عليها وما سبب استقلاله بهذه الفضيلة والالهية بينهم أثلاث ولم لا يكون المخلص هو الآب أو الروح مع تصريح الأمانة بمساواتهما للابن واختصاص أحد المتساوين بحكم لابد له من مرجح، فأخبرونا عنه ولن تجدوه أبدا إلا إذا كان من هذه الوساوس السوداوية فحدث ولا حرج.

السؤال الثلاثون:

قولهم فى الأمانة:

وتجسد من روح القدس باطل بنص الإنجيل بقول متى فى الفصل الثانى[1] إن يوحنا المعمدانى حين عمد المسيح عليه السلام جاءت روح القدس إليه من

---

(١) انجيل متى الاصحاح ٣/ ١٦.

السماء فى شبه حمامة. وذلك بعد ثلاثين سنة من عمر المسيح عليه السلام ولا يكون قد تجسد من الروح لتأخرها عن الجسد هذا القدر، فكذبت الأمانة وبينت الخيانة فى حقوق الله تعالى بالكفر ولرسله بالتكذيب ولرسائله بالتبديل. ولسائر الخلق بالتضليل.

السؤال الحادى والثلاثون:

الروح القدس عندهم.

هو حياة الله تعالى. وتجسد المسيح منها يقتضى انقلاب الحقائق فإن الحياة معنى من المعانى كالإراده والعلم وصيرورة الحياة جسدا كصيرورة اللون رائحة والطعم حركة والأغراض أجساما وذلك كله محال فالقول بتجسد الروح القدس محال.

السؤال الثانى والثلاثون:

إذا تجسد المسيح عليه السلام من الروح القدس والروح حياة الله تعالى فيلزم أن يبقى خالقنا مواتا لعدم الحياة وأنتقالها إلى المسيح عليه السلام وذلك محال.

السؤال الثالث والثلاثون:

إن القول بحلول الكلمة التى هى الكلام فى مريم وتجسد المسيح عليه السلام من الروح يقتضى انتقال صفات المعانى من محالها إلى محال أخرى، وأنتقالها محال لأن الحركة من خواص الأجسام والمتحيزات، فيلزم أن تكون المعانى أجساما والصفات موصوفات وذلك قلب للحقائق وهو محال عند جميع العقلاء.

السؤال الرابع والثلاثون:

إذا كان المسيح عليه السلام تجسد من الروح فهو متولد من الروح فهو ابن الروح لا أبن الله تعالى فكذبوا فى قولهم إنه ابن الله تعالى عن قولهم علوا كبيرا،

وإن كان ما تجسد من الروح كذبت الأمانة، فهم الكاذبون على الله وعلى رسله على كل تقدير.

السؤال الخامس والثلاثون:

فى قولهم فى الأمانة:

إن المسيح عليه السلام قام من بين الأموات وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، كذب فاحش، فليت شعرى من هو الذى صعد إلى السماء وجاء إليهم فأخبرهم أنه رآه جالسا عن يمينه، وهل هذا إلا مجرد الاختلاق.

السؤال السادس والثلاثون:

جلوسه عن يمين أبيه، يقتضى أنهما جسمان لكل واحد منهما الجهات الست، يمين وشمال وخلف وقدام وأسفل وأعلى، فيلزمهم أن الله تعالى جسم وهو محال، وهم لا يعتقدون الجسمية.

السؤال السابع والثلاثون:

قولهم فى الأمانة:

إن المسيح عليه السلام بعد قتله وصلبه وقيامه وصعوده إلى السماء من بين الأموات مستعد للمجيئ مرة أخرى لفصل القضاء بين الأحياء والأموات.

الظاهر أنهم متخيلون أنه لما جرى عليه من الشيطان وحزبه ما جرى من الإيذاء والإهانة والإحراق راح إلى أبيه يستريح وترجع إليه نفسه. ويسكن روعه. ويستظهر بعدة أخرى من عند أبيه. ثم يأتى. لمحاربة عدوه.

وما أجدرهم بأن يعبدوا الآن عدوه ويتركوه، فان الغلب الآن لعدوه، والمتوقع فى المستقبل لا يدرى كيف هو، ولعل الكسرة فى النوبة الثانية تكون أعظم وهو الظاهر، فإن ذلك الرعب العظيم لم يكن حاصلا له أول مرة وقد جرى ما جرى. فكيف وقد استولى عليه الرعب. وذاق طعم الشدائد، وتأسد عدوه بسلطان الظفر والنصرة.

فالمصلحة الان تقتضي أن لا يكون بينهم وبين آلهته معاملة — بل يعبدون الشيطان كما يزعمون فهو أولى، ثم إنه فى أول مرة مع وفور القوة، ما تخلص مع شرذمة يسيرة من الأحياء، وهم يريدون أن يوقعوه فى المرة الثانية مع جميع الأحياء والأموات، وعلى هذا التقدير لا يكون لهم ولا لهذا الإله قائمة أبدا.

السؤال الثامن والثلاثون:

قولهم فى الأمانة:

نؤمن بروح القدس الذى يخرج من أبيه تصريح بأن الروح القدس والمسيح عليه السلام أخوان وهو خبط عظيم، وهم عنه معرضون.

السؤال التاسع والثلاثون:

قولهم فى الأمانة:

نؤمن بمعمودية واحدة لغفران الخطايا، مناقض لقولهم إن خطيئة آدم عليه السلام عمت ذريته. ولا يتخلصون منها إلا بقتل المسيح عليه السلام. وتلك الشدائد التى جرت عليه، ولذلك يسمونه عليه السلام، حمل الله تعالى، ويسمونه مخلص العالم.

وإذا كانت المعمودية توجب غفران الخطايا، فقد اعترفوا بأنه لا حاجة إلى قتل المسيح عليه السلام، وهذه كلها غفلات وجهالات لا تصدر إلا عن عدم أنواع الإدراكات.

السؤال الأربعون:

قولهم فى الأمانة:

ونؤمن بجماعة واحدة قديسة يعنون هذه الجماعة التى لفقت هذه الأمانة المتناقضة فى نفسها، المناقضة للإنجيل بسبب جهل ملفقها وعدم معرفته بالإيمان؛ فضلا عن كونه مؤمنا فى نفسه، وناهيك من قوم رتبوا الثناء على أنفسهم وذكوها وعظموها.

ولا يفعل هذا إلا من لاخلاق له، مع أنهم - أعنى هؤلاء المثنين على انفسهم قد صرحوا بكفر أنفسهم، لما بيناه من مناقضة الإنجيل. الذى هو العهد فكيف يكون مثل هذا قديسا بل حمارا وتيسا حسيسا.

السؤال الحادى والأربعون:

إن هذه الأمانة مناقضة لجميع كتبهم التى يعتقدونها من التوراة والإنجيل والنبوات. فدل ذلك على بطلانها وجهالة ملفقها. وجهالة من أتبعه وجعله قديسا.

بيانه أن فى التوراة، أنا ربك الذى أخرجك من أرض مصر بيد القوة لا يكن لك إله غيرى. ولا تشبهنى مما فى السماء ولا مما فى الأرض. ولا مما فى البحار، أنا إله واحد[١].

فصرحت التوراة بالوحدانية ونفى التشبيه، والأمانة تنفى ذلك، فدل ذلك على بطلانها فى قولها، إن معه إلا هين آخرين. أحدهما إنسان من بنى آدم.

وفى نبوة أشعياء قال إله إسرائيل. أنا الأول وأنا الآخر وليس غيرى[٢] والأمانة تقول: بل غيره أيضا أول ومعه غيره، وهو كذب على الله تعالى وعلى كتبه.

وفى الإنجيل، أن أول الوصايا كلها، اسمع يا إسرائيل الرب واحد فأجبه من كل قلبك[٣]، ومن كل قولك.

وقالت الأمانة بل الرب ثلاثة، وهذه النصوص كثيرة نتركها خشية الإطالة. وكلها مكذب لهذه الأمانة المخترعة التى جعلها النصارى عقيدتهم. فأصبحوا هزءا للناظر. ومضغة للمناظر، فهذه اثنان وعشرون سؤالا على أمانتهم التى هى عمدة دينهم.

---

(١) سفر التثنية ٥ / ٦-٩.
(٢) سفر اشعياء ٤١ / ٤.
(٣) انجيل مرقس ١٢ / ٢٩ / ٣٠.

السؤال الثاني والأربعون:

نقول للنصارى:

زعمتم أن معبودكم ثلاثة أقانيم الوجود والحياة والعلم أو الكلام على إختلافهم في الدليل على الحصر في ثلاثة ولعله أربعة. والرابع هو القدرة لانها التي بها ظهرت العوالم. أو خمسة والخامس هو الإرادة لأنها القضاء والقدر التي بها تخصيص المصنوعات وترتيب الموجودات، وهي القاهرة المقدسة على جميع الإرادات، أو ستة، والسادس هو البصر، فإنه إدراك وعلم أخص مما ذكر تموه من العلم، فكل بصر علم، وليس كل علم بصر، فهذه الصفات كلها ثابتة لله في التوراة والإنجيل، أو سبعة أو عشرة آلاف ألف – ولا يلزمنا بيان ذلك، بل عليهم الدليل في حصر ما ذكروه ولن يقدروا عليه أبدا، فدل ذلك على أنهم ليسوا على دين ولا في شيىء من أمرهم على يقين.

السؤال الثالث والأربعون:

النصارى إنما دلها زعمها على أن عيسى عليه السلام، ابن الله تعالى، إحياؤه للموتى، والعقل جازم بانه لا يلزم من عدم الدليل عدم المدلول، فلا يلزم من عدم علمهم بأن زيدا أو عمرا يحيي الموتى، أن لا يكون ابن الله تعالى، لجواز أن يكون كذلك، ولم يظهر الدليل الدال عليه، فليجوزوا في كل أحد، أن يكون ابن الله، تعالى عن قولهم علوا كبيرا.

السؤال الرابع والأربعون:

إذا تقرب النصارى في الكنايس، أكلو الخبز وشربوا الخمر، ويقولون قد أكلنا خبز الرب وشربنا دمه، ورَوَوْا عن المسيح عليه السلام أنه أعطاهم خبزا، وقال هذا جسدي فكلوه[1]، وأعطاهم خمرا وقال، هذا دمي فاشربوه.

---

(١) انجيل مرقس اصحاح ١٤ فقرة ٢٢ – ٢٤.

والله إن هذه بالخيانات الموبقات أليق منه بالقرب الموجبة للمثوبات: وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب. وكأن النصارى لم يرضوا بهذا للرب. حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد. وشربوا دمه فى المواسم والأعياد. وإنما يفعل ذلك أرباب الضغاين والأحقاد. ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتابا يتلى، ووصايا ربانيه تملى، وكفى بهذه الفضايح لمن يريد الإسلام نصائح، ولهذا صار كثير من النصارى يسلم قبل اطلاعه على محاسن الإسلام، بل فرارا من هذه القبائح.

السؤال الخامس والاربعون:

ترك جمهور النصارى الاختتان وحرموه بهواهم لا بأمر مولاهم[1]، ورأو إطالة الغرلة دينا وشرعا لا يسع خلافه يخلوا أحدهم امرأته وجلدة غرلته مستطيلة، وفرج الأخرى بارز كأنه عرف ديك[2]. فيكون اجتماعهما أقبح شيىء وأسمجه وخالفوا التوراة والإنجيل وسائر النبوات. ففى التوراة أن الله تعالى أمر إبراهيم الخليل عليه السلام بالختان، فقال له: هذا عهد بينى وبينك وبين نسلك بعد أن يختن غرلته كل ذكر منكم. ومن عبدانكم. ليكون عهدا متسم فى أجسادكم عهدا دائما على الأبد. وكل ذكر لا يختن غرلته، فلتهلك تلك النفس من سعيها[3]، لأنها أبطلت عهدى، فعهد إبراهيم عليه السلام فاختتن، وهو إذ ذاك كبير، وختن أولاده وعبدانه، فنصت التوراة على الختان للأبد،وأن تاركه يقتل، وذلك يدل على كفر تاركه، فان القتل من شعائر الكفر عندهم، فهم الكفرة حينئذ.

وقد اختتن المسيح عليه السلام وتلاميذه والعجيب من النصارى. أن منهم

---

(١) التوراة فيها حكم الختان للرجال وسيدنا إبراهيم عليه السلام اختتن عندما أمره الله بذلك فى بلدة قدوم حسب رواية التوراة و،النصارى يعتمدون على التوراة لأنها الشريعة، وقال عيسى عليه السلام: (ما جئت لأنقض الناموس بل جئت لأتمم) فمن أين جاءهم ترك الختان؟

(٢) الختان للأنثى مكرمة وليس بواجب .

(٣) سفر التكوين اصحاح ١٧ / ١١ / ٢٧ .

من يجب مذاكيره ويخصى نفسه، وآخرون يحلقون لحاهم، ولم يأت بذلك شرع، ولا نزل به كتاب، وتركوا الختان المنزل في الكتب.

ولم تزل النصارى كلها تختتن إلى زمان بولس، فنهاهم بولس[1]، وهو أشأم من إبليس على النصارى، أخرجهم بولس هذا من الدين كما تخرج الشعرة من العجين وأوقعهم في ظلمات الضلال، وأليم الوبال بسبب أنه كان يهوديا، وكان شديد القتال والقتل للنصارى، فلم يشف بذلك قلبه، فأعمل الحيلة، إلى أن حفظ الإنجيل، وعمد إلى راهب عظيم سأله خدمته، فأجيب، فأظهر الاجتهاد والنصحية والمبالغة في وجوه البر والإحسان إلى أن طال الزمان. فاستيقظ في بعض الليالي وصاح. وأظهرالهلع مما رأى في منامه، فسأله الراهب، فقال رأيت المسيح عليه السلام، ونفث في فمي وبارك على، وأنا أجد في نفسي كلاما لا أدرى ما هو. منذ نفث في فمي فذكر بعض ذلك الكلام. فوجدوه من الإنجيل بجملته فاعتقدوا أن ذلك من عناية المسيح عليه السلام به، ومن عظم بركته.

فقال الراهب، أنا أحق بالخدمة منك وأنت أحق بالتقدمة. فتصدر وتقدم واشتهر، إلى أن صارت ملوك النصارى تزوره يوما في السنة، فلما تحقق تمكنه من قلوبهم قال لهم في بعض زياراتهم له:

إن المسيح قد أمرني أن أنزل غدا من هذه القبلة. وأذبح نفسي في سفح هذا الجبل قربانا للمسيح، فعظم ذلك عن الملوك لفوات بركته وألم مفارقته، وكيف يذبح نفسه بيده، وباتوا تلك الليلة عيونهم ساهرة، وقلوبهم من الجزع طائرة، إلى أن أصبح الصباح، ودخلوا للوداع، فتقدم أكبر الملوك منزلة، وأعلاهم رتبة لينفرد بتوديعه فقال له بولس لعنه الله. إني ذاهب الآن إلى المسيح، وإن عندي سرا أودعك إياه قبل الممات. فاعلم مقداره، وأرفع مناره، فقال له وما هو أيها الأب القديس. فقال له إن المسيح هو ابن الله تعالى فقال له: ابن الله، فقال له

(١) غلاطية ٥/٢، ٦/١٥.

ابن الله ولولا ذلك لم يظهر عليه ما ظهر، فصمم الملك على ذلك، ولم يكن سمعه قبل ذلك اليوم.

ثم دخل الملك الأوسط، فقال له: إن عندى سرا عظيما وإنى ذاهب إلى المسيح، وإنى أوثرك به فاحفظه واعمل به. فقال له وما هو؟ قال له: مريم زوجة الله. فأعتقد الملك ذلك. ولم يكن سمعه قبل ذلك الوقت.

ثم دخل عليه الملك الأصغر، فهول عليه وطول مثل الأولين، وأودعه أن الله ثالث ثلاثة، ثم خرج عند تعالى النهار، والعالم قيام فى صعيد واحد ينظرون ماذا يكون من أمر بولس فخرج من صومعته وعليه ثياب القربان ومعه سكين مرهفة. ونزل إلى سفح الجبل، وذبح نفسه بيده والعالم ينظرون إليه فابتدره الملك الكبير، بعد زهوق روحه وأخذه ليحمله إلى وطنه، لتكون بركته فى مملكته، فتنازعه الملكان الآخران، فقسموه بينه وبينهم أثلاثا، وأخذ ثلثه الذى فيه رأسه، فنازعه الملكان فى ذلك الثلث، لاشتماله على أشرف الجسد، فاقتضى الحال أن أحرقوه وسحقوه وقسموه أثلاثا، ليحصل العدل والتناصف.

ثم ذهبوا إلى بلادهم فأظهر الملك الأكبر معتقده الذى أسره إليه، وكذلك الملكان الأخيران فأنكر كل منهما على صاحبه مقالته. وقال إن الراهب بولس لم يقل هذا ولا جاءت به النبوات ولا الكتب فهو كفر، فقاتل كل منهما الآخر ديانة وتقربا فصار بأسهم بينهم شديدا، والقتل فيهم بسيوفهم، وبسيوف اليهود وكان ذلك مراد بولس، فانظر ما أشد هذا الحقد، وما أبلغ هذا الكيد.

وقالت فرقة من المؤرخين عندنا وعندهم، إن عيسى عليه السلام، لما دعى بنى إسرائيل للإيمان، أجابه نفر يسير ثم رفع فاستحلى الناس كلامه حتى بلغ أتباعه سبعمائة رجل، فكانوا يجاهدون فى بنى إسرائيل ويدعون للإيمان. فقام بولس اليهودى ويسمى قولس أيضا وكان هو الملك فى بنى إسرائيل فهزمهم وأخرجهم من الشام إلى الدروب فأعجزهم.

فقال بولس إن كلامهم يستحلى، فإن لم تقدموا على عدوكم وتردوهم عن ملتهم يتكثرون علينا، فتعاهدوننى على كل شيىء خيرا أو شرا ففعلوا فترك ملكه وخرج إليهم وقد لبس لباسهم ليضلهم، وقالوا الحمد لله الذى أمكن منك، فقال لهم أجمعوا أكابركم، فانه لم يبلغ منى حمقى أن أتيكم إلا ببرهان، فقال أكابرهم؟ مالك؟ قال: لقد لقينى المسيح عند منصرفى عنكم. فأخذ سمعى وبصرى وعقلى فلم أسمع ولم أبصر ولم أعقل. ثم كشف عنى فأعطيت الله عهدا أن أدخل فى أمركم، فأتيت لأقيم فيكم، وأعلمكم التوراة وأحكامها فصدقوه وأمرهم أن يبنوا له بيتا ويفرشوه رمادا ليعبد الله تعالى، ففعلوا، وعلمهم ما شاء الله.

ثم أغلق الباب فأطافوا به، وقالوا نخشى أن يكون رأى شيئا يكرهه ثم فتح بعد يوم، فقالوا رأيت ما تكرهه؟ قال: لا. ولكنى رأيت رؤيا أعرضها عليكم، فإن كانت صوابا فخذوها، وهى: هل رأيتم سارجة تسرج إلا من عند ربها وتخرج إلا من حيث تؤمر به؟ قالوا: نعم، قال فإنى رأيت الصبح والليل والشمس والقمر والبروج إنما تأتى من هاهنا، وذلك أحق الوجوه أن يصلى إليه، قالوا: صدقت. فردهم عن قبلتهم بيت المقدس إلى الشرق المحض.

ثم أغلق الباب بعد ذلك يومين، ففزعوا أشد من الأول وأطاغوا به، ففتح الباب فقالوا: رأيت شيئا تكرهه؟ قال: لا. ولكنى رأيت رؤيا، قالوا: هات قال: ألستم تزعمون أن الرجل إذا أهدى إلى الرجل الهدية فردها شق عليه، وأن الله تعالى سخر لكم ما فى الأرض جميعا وما فى السماء، والله تعالى أحق أن لا يرد عليه فما بال بعض الأشياء حلال وبعضها حرام، ما بين البقة إلى الفيل حلال، قالوا صدقت فاتبعوه فى إباحة المحرمات.

ثم أغلق الباب بعد ذلك ثلاثا، ففزعوا أشد من الثانية فلما فتح لهم، قال: إنى رأيت رأيا، قالوا هات، قال ليخرج كل من فى البيت إلا يعقوب ونسطورا. وملكوت والمؤمن ففعلوا. قال هل علمتم أن أحدا من الإنس خلق من الطين خلقا فصار نفسا؟ قالوا لا. فقال هل علمتم أن أحدا من الإنس أبرأ الأكمة والأبرص

وأحيى الموتى قالوا لا . قال فانى أزعم أنه الله تعالى تجلى لنا ثم احتجب . فقال بعضهم صدقت . وقال بعضهم لا ولكنه ثلاثة . والد وولد وروح القدس . وقال بعضهم : إله وولده . وقال بعضهم هو الله نَجَم لنا . فأفترقوا على أربع فرق .

فأما يعقوب فأخذ بقول بولس . إن المسيح هو الله وبه أخذت شيعته وهم اليعقوبية .

وأما نسطورا فقال إن المسيح ابن الله تعالى على جهة الرحمة، وبه أخذت شيعته النسطورية إلا أن شيعته لم يعتقدوا أنه ابن على سبيل الرحمة، بل على ما تقدم .

وأما ملكوت . فقال إن الله تعالى ثلاثة . وبه أخذت شيعته وهم الملكانية .

فقام المؤمن وقال لهم عليكم لعنة الله، والله ما حاول هذا إلا إفسادكم، ونحن أصحاب المسيح قبله، وقد رأينا عيسى عليه السلام . ونقلنا عنه، وإنما هذا يضلكم فقال بولس للذين اتبعوه قوموا بنا نقاتل هذا المؤمن، ونقتله هو وأصحابه، وإلا أفسد عليكم دينكم، فخرج المؤمن بالمسيح إلى قومه، وقال ألستم تعلمون أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذا قال لكم قالوا : بلى . قال فإن هذا المعلون أضل هؤلاء القوم فركبوا أثرهم . فهزموا المؤمن وأصحابه . فخرجوا إلى الشام فأسرتهم اليهود، فأخبروهم الخبر، وقالوا إنما نحن خرجنا إليكم لنأمن فى بلادكم، وما لنا فى الدنيا من حاجة . إنما نلتزم الكهوف والصوامع ونسيح فى الأرض فتركوهم . ثم فعل بعض الذين كفروا مثل أصحاب المؤمن من الصوامع والرهبنة فهو قوله تعالى ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ﴾ (١) .

وأدرك النبى ﷺ من أصحاب المؤمن ثلاثين راهبا فاتبعوه، وماتوا على الإسلام، وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ (٢) أى بالحجة . وكانت هذه الواقعة بعد المسيح عليه السلام بأربعين

---

(١) سورة الحديد آية ٢٧ .

(٢) سورة الصف آية ١٤ .

سنة، ثم لم يزل الأمر كذلك لم يستقر للجميع على قدم إلى زمن الملك قسطنطين قيصر بعد رفع المسيح عليه السلام. بمائتين وثلاثة وثلاثين سنة فكثر عدوه، وكاد ملكه يذهب باختلاف رعاياه عليه، وضعفهم وكسلهم عن تصرفه، فرام جمعهم على شريعة واحدة. فأشار عليه أهل الرأى من دولته. أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أنسب لنصرته فوجد اليهود يذكرون فى تواريخهم أن رجلا جاء يدعى نسخ التوراة والانفراد بالتأويل فطلبوه، وهو فى نفر يسير ممن اتبعه، فظفروا بواحد منهم، وشهد رجل بأنه المطلوب فصلبوه. ولم يحققوا أنه هو إلا بكونه لم يوجد بعد ذلك، فحينئذ عمد قسطنطين إلى من ينتسب إلى دين المسيح عليه السلام. فوجدهم قد اختلفت آراؤهم وتفرقت كلمتهم، فاستخرج ما بقى من رسم شريعتهم المنسوبة للمسيح عليه السلام. وجمع علماءه ووزراءه فأثبت ما أعجبه منها، وتحكم فيها باختياره، وما وافق مقصده كالقول بالصلبوت، وليتعبد القوم بطلب دم المصلوب. وكترك الختان لأنه شأن قومه، ثم أكد ذلك بمنامة ادعى أنه رآها، فجمع رعاياه من الروم على رأس سبع سنين من ملكه، وقال:

رأيت أنى أنصر بهذا الشكل، وأغلب الأمم - وأشار إلى صليب- فأعظموا ذلك. وكان فى زمنه كاهنة بعث إليها، فقالت مثل ذلك فتأكد قوله ومنامه. ولم يعلم الناس ما سر ذلك الشكل حتى غزا غزوة به، فغلب فهول عليهم ووعظهم وبالغ فى ذلك.

فسألوه عن سر الشكل وألحوا عليه، فقال لهم أوحى إلىّ فى منامى أنه كان الله تعالى هبط إلى الأرض من السماء فصلبه اليهود فهالهم ذلك كثيرا مع ما تقدم عندهم من نصر الله فانقادوا إليه انقياداً حسنا وتأكدت أسباب دولته، وشرح هذه الشرائع التى بأيديهم اليوم أو أكثرها، ولعل أكثر ما فى الإنجيل أو كثيرا منه من تلفيقات قسطنطين.

وهذه التواريخ لا ينكرها النصارى من حيث الجملة، وإن أنكروا بعض

تفاصيلها ولا يقدروا أن يجحدوا محاربة بولس اليهودى ولا إجلاءهم من الشام، وكذلك قسطنطين.

وهذا الملعون بولس، وهو المفسد لدين النصارى بعد التوحيد، والمغير لمعالم شرائعهم، والحال لنظام أحكامهم فى الختان وغيره، وهو أصل القول بالتثليث برأيه الخبيث، ومع ذلك فالنصارى له فى غاية الإجلال. وعلى رأيه وأقواله فى غاية الإقبال. وكفى بهذه الثلمة فى دين النصارى خللا عظيما، لم تترك لهم عقلا مستقيما. ولا قلبا سليما.

وقد وقع فى كتبهم الفقهية تأويل الختان، التزموا فيه على التوراة الباطل والبهتان، فقالوا المراد بالختان فى التوراة نقاوة القلوب وصفاء النية بذهاب غلوفة القلب، لأن اليهود كانت قلوبهم غلفا، فغلوفه القلب هى المضرة، وأما غلفة اللحم لا مضرة فيها، بل الأحسن ترك الاختتان. كما خلقها الله تعالى. هذا نص كلامه.

فانظر كذبهم على الله تعالى، فى قولهم إنه أراد غلوفه القلوب، ولو كان صحيحا لنبه موسى عليه السلام إليه، ولما فعل الختان يحيى وعيسى وسائر الأنبياء عليهم السلام الذين حكموا بالتوراة. ولم يزالوا يأمرون بالختان.

وثانيها: أنهم سفَّهوا أحكام الله تعالى، ورسل الله حيث قالوا: لا منفعة فى ذلك مع أن الله تعالى قد حكم به، وبلغته رسله، وعملوا به ثم إنا نبين فوائده حتى يظهر كذبهم فى قولهم إنه لا فائدة فيه.

فمنها ما يترتب عليه من ثواب الله تعالى فى الدار الآخرة، وأعظم بالسعادة الأبدية فائدة.

ومنها أنه لا يتأتى مع بقاء الغلفة مبالغة فى النظافة ومع زوالها يتأتى ذلك.

ومنها أنه ألذ فى الجماع وأسرع لمجيىء شهوته وقد تكسل الغرلة عن الإنزال. ووجهه: أن رأس الحشفه أنعم من الجلدة ومع الخشونة يبعد الإنزال، بل النعومة أصل فى هذا الباب.

ومنها أنه أسرع فى تدافع الإنزال، وانزعاج الماء لعدم الغلوف والغرلة تثبطه وتبعده وتفتره، وإذا خرج فاترا قلت اللذة، وبعد عن محل التخليق، فيبعد حصول الولد، الذى هو أسمى المقاصد فى النكاح استبقاء للنوع الانسانى الشريف، وتسببا لايجاد من يوحد الله تعالى ويعبده.

ومنها أن أوامر الله تعالى وطاعته خلع إحسان، وأيادى امتنان وكلها تذهب بالفراغ من ملابستها ولا يبقى لها أثر فى الوجود إلا الختان، فإنه يبقى مخلدا فى الجسد إلى الممات.

وهذه خصيصة عظيمة دالة ما بقى الإنسان على توجه الأمر الربانى عليه وأنه حاز شرف الإنابة والطاعة لديه، وكفى بهذه المنة شرفا للإنسان على مر الزمان، وإليه الإشارة بقوله فى التوراة ليكون عهدى ميسما فى أجسادكم عهدا دائما على الأبد.

فهذه خمس فوائد جليلة عظمية جهلها الأغبياء وشقى بتركها السفهاء.

وثالثها: أنهم تركوا أحكام الله تعالى بالتوهم، وتابعوا الهوى والتحكم، وتأولوا من غير حاجة للتأويل ورفضوا لنص التنزيل، وذلك هو التحريف والتبديل.

ورابعها: ما كفاهم رفع كتاب الله تعالى حتى فضلوا أهواءهم على شرع الله تعالى فقالوا: والأحسن أن تترك الأجساد كما خلقت: فما أعجبهم يتبعون وهم مبتدعون ويعظمون وهم يهزؤون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون، وإذا وقفت على كتبهم التى فيها نتائج محافلهم التى اجتمعوا فيها لتأسيس الأحكام وتلفيق النظام، رأيت عجبا عجيبا، ومذهبا غريبا، كيف اشتملت تلك المحافل على تيوس الأنعام بل حشرات الهوام. قد محقوا أفكارهم الرديئة فاستنبطوا آراء غير مرضية فسموها أحكام الله تعالى على العباد، وهذا غاية الجهل والفساد، والتمرد والعناد والقدوم على الموت بغير زاد.

السؤال السادس والأربعون:

النصارى تزعم أن مريم أم المسيح عليه السلام، تنزل على دار المطران بطليطلة في يوم معروف في السنة بكسوة تلبسها لهم، وهم جازمون بذلك ببلادهم[1]. فيقال لهم: نزلت بإذن الآب أو بغير إذنه؟ فإن نزلت بإذنه فلم يرسل بعض الملائكة ويوقر والدته، فصانها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبى منها، وإن كان من غير إذنه فكيف اصطفى الآب لنفسه من يتصرف من غير إذنه ويعاشر الأجانب وهو لا يعلم.

السؤال السابع والأربعون:

النصارى يصلون للشرق. ويتحرون مطلع الشمس قبلتهم حيث كانوا والمسيح عليه السلام طول مقامه يصلى لبيت المقدس وكذلك موسى عليه السلام، وجميع النبيين عليهم السلام .

واعتذروا عن هذه الزلة العظيمة والبدعة الشنيعة بأنها الجهة التى صلب إليها إلاههم، ولو أن لهم عقلا لرفض هذه الجهة فى العادة، فكيف فى العبادة، وكيف يجوز لهم أن يحدثوا فى دينهم ما لم يكن فيه، بناء على فعل شر خلق الله تعالى اليهود، وهل هذا إلا من تلاعبهم بالدين، وانتظامهم فى سلك المجانين.

السؤال الثامن والأربعون:

النصارى يبول أحدهم ويتغوط، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاته، وهو مما أحدثوه بعد المسيح عليه السلام، ولا يوجد فى شريعة من الشرائع إهمال الأدب مع الله تعالى، فى مناجاته والوقوف بين يديه، بل الشرايع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدى الله تعالى، إلا على اكمل أحواله، فيجمعون فى صلاتهم بين ملابسة أقبح القاذورات، ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات، ويتضرعون

---

(١) أشيع مثل ذلك فى مصر فى السبعينات من القرن العشرين وزعموا أنها تظهر فى كنيسة بحى الزيتون ورتبوا لذلك المزارات ثم خمدت الفتنة وتوقف الظهور..

إلى رجل من بنى آدم قضوا عليه بالهوان والممات، ويسألونه بالمسامير التى سمر بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلات، وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف لأشبعهم بالضرب العنيف، وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه أو معدودين من حشمه.

السؤال التاسع والأربعون:

رهبان النصارى وأفسادهم[١]. يرون أن من أراد التوبة يعترف لهم بمخازيه وذنوبه، وإلا فلا يقبل له توبة فإذا اعترف للبترك[٢] أو القس غفر له ذنبه كأنه ربه أو خالقه، ويبعثون العصاة على المجاهرة بالمعاصى، وكتمان المعصية أخف جناية من إظهارها ويسلطون ولاة الأمور على أموال الناس. بالاطلاع على معاصيهم وجناياتهم وينشرون الفاحشة والفضيحة والعار فى الذرارى والأعقاب. ويبقى أهل ذلك البيت سبة على وجه الدهر وهذه مفاسد كبيرة لم تأمر بها شريعة، ولكنها من بدعهم الفظيعة، وهذامشهور بعكا وسائر مدن النصارى، وأى ذنب سكت عنه وخباه لا يغفره الله له.

السؤال الخمسون:

زاد النصارى فى صومهم الكبير جمعة يصومونها لهرقل ملك بيت المقدس، بسبب أن الفرس لما استولوا على البيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس أعانهم اليهود على ذلك، وكانوا أشد فتكا فيهم من الفرس، فلما توجه هرقل للبيت المقدس تلقاه اليهود بالهدايا وسألوه الأمان، فكتب لهم أمانا على أنفسهم وأموالهم.

فلما دخل البيت المقدس شكا إليه النصارى ما لقوا من اليهود، وسألوه قتلهم فاعتذر بالتأمين، فقالوا نحن نصوم عنك جمعة فى أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم فى الصوم مادامت النصرانية، ونلعن من

---

(١) فى بعض النسخ وفساوستهم.

(٢) أى البطريرك .

يخالف ذلك ونكتب بذلك إلى الآفاق غفرانا لذنبك، فأجابهم وقتل اليهود وفعلوا ما قالوا.

وهذا من التلاعب بالدين، موجبون ما لم يوجبه الله تعالى، ويحرمون من اللحم ما لم يحرمه الله، ويزيدون فى قربات الله ما لم يأذن به. وهذا غاية اللعب بالرسائل الربانية والنواميس الإلهية. ثم إنهم التزموا ستين يوما، ولا نكاد نجد من نسأله عن الصوم الواجب منها، كم هو؟ فيعرفه.

وكان القسيس حفص أفقه من نشأ فى النصرانية، وأزكاهم وأعرفهم، على أنه ليس فى القوم رجل رشيد. إلا أنه كان فى ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما ميزه بين النصارى. ومع ذلك إذا أخذ يتحدث فى دينهم يتلجلج لسانه، وينعجم بيانه، لأجل قواعدهم الرديئة، وأرائهم الدنية، وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.

وقد نص القسيس حفص فى كتابه، وقد سأله سائل عن صيامهم الواجب فقال: أول من صام الأربعين يوما موسى بن عمران عليه السلام وصامها بعد ذلك إلياس النبى الذى رفعه الله إليه فى عصر بنى إسرائيل.. ثم بعد ذلك صامها المسيح.

وأما العلماء فكملوها ثلاثة وأربعين، وإنما هى عُشر أيام السنة، كما قال بولس الحوارى فى بعض رسائله، كما تؤدون العشرات من أموالكم، فأدوا العشرات من أبدانكم. فهذا هو الصيام المفروض، فأخذ يبين أن الثلاثة والأربعين واجبة. بما يقتضى أنها ليست واجبة، لإخباره أن أحبارهم أوجبوا الثلاثة من عند أنفسهم، مع أن عيسى وموسى وغيرهما من النبيين صلوات الله عليهم أجمعين لم يبينوها.

فإن كانت واجبة فما بلغوا أحكام الله، واعتقاد ذلك فيهم كفر، وإن لم تكن واجبة فلما أوجبها الجهال منكم، وأعتمدوا على قول بولس الذى بينا أنه يهودى، قد سلّكم من الدين كما تُسَلّ الشعرة من العجين، فأفسد عليكم

دينكم وأحكامه، فأحدث لكم القول بالثالوث وأبطل الختان، وحولكم عن قبلة الأنبياء عليهم السلام إلى الشرق، وأحل لكم المحرمات، وأوقعكم فى المعضلات بالخيالات والترهات.

وهب أنه حوارى كما زعمتم أنه ادعاه، فلعله ارتد كما ذكرتم أن يهوذا من الحوارين ارتد. سلمنا أنه حوارى لم يرتد، فاتباع الحوارى غيره من دون الإنجيل أولى، ولم يذكروا هذه الأيام الثلاثة، بل اتباع موسى والنبيين صلوات الله عليهم أولى، فانه ليس نبيا ولا ينقل عن الله تعالى[1]، ثم قوله هى عُشْر أيام السنة، علمهم فيها بالحساب، كعلمهم بالحساب فى الواحد، جعلوه ثلاثة، وجعلوا الثلاثة واحد. وهو أظهر أنواع الحساب ومراتبه.

بل عشر أيام السنة، ستة وثلاثون يوما وبعض يوم، لأن السنة الشمسية، ثلاث مائة يوم وستون يوما وخمسة أيام وربع يوم مجبور، فعشر ثلاثمائة ثلاثون، وعشر ستين ستة، وخمسة وربع عشرها بعض يوم، وفى سنة الكبيس، وهى فى كل أربع سنين سنة بسبب اجتماع الربع يكون ثلاثمائة وسته وستين يوما، يكون العشر ستة وثلاثين يوما، فأين الأربعون فضلا عن ثلاثة وأربعين. ومن غلط فى الثلاثة لا غرو ولا عجب أن يغلط فى عشر ثلاث مائة وخمسة وستين.

ثم المنقول فى التواريخ أن الله تعالى إنما أوجب على بنى إسرائيل ثلاثين يوما شهر رمضان، وقد صرحت به شريعتنا، المطهرة، ثم إنهم وجدوه يأتى فى شدة الحر أحيانا فشق ذلك عليهم، فآثروا أن يزيدوه عشرة ويحولونه إلى الشتاء فتجبر صعوبة الحر بزيادة العدد فصارت أربعين يوما من يومئذ، ثم زادوا هرقل جمعة كما تقدم بيانه واتصلت الزيادة بزيادة بولس وغيره إلى ستين.

---

(١) يقصد بولس الذى أفسد دين النصرانية.

ثم إن من تخلفهم يصومون الكل بنية واحدة، ولا يقصدون ما أوجبه الله بنية تخصه، وما ابتدعوه بنية تخصه.

ثم نقول لهم: كيف تعتقدون أن موسى عليه السلام إذا صام أربعين يوما يلزم أن يكون الجميع واجبا، أوْشيىء منها واجب فان الأنبياء عليهم السلام كما يفعلون الواجبات يفعلون التطوعات، بل هم أولى الناس بها، فلم قلتم إنهم صاموا على وجه الوجوب، ولعل الله تعالى لم يوجب صوما فى التوراة البتة، بل أمر به تطوعا، فالقضاء على ذلك الصوم بالوجوب جهل، حتى تنقلوا أن موسى عليه السلام قال صمته على سبيل الوجوب، أو قال احملوا أفعالى كلها على الوجوب، حتى أقول لكم هى غير واجبة، لكنهم لم ينقلوا شيئا من ذلك، فقد حكمتم بالجهل.

ثم إنكم تفطرون من العصر، ومن أين لكم أن الصوم لهذا الوقت يجزى، بل ظاهر النقل إن صح أن موسى عليه السلام، كان يصوم أربعين يوما، أنه يصوم اليوم من أوله إلى آخره، فالاقتصار على خلاف ما نقلتموه، إفساد للدين.

وبالجملة فأصل النقل لم يثبت بالعدل عن العدل، والتفقه فيه فى غاية الفساد، فهو فاسد مبنى على فاسد، ثم العجب من اليهود والنصارى أنهم يجتمعون يدعون اتباع التوراة، وقد اقتسموا فى الصوم طرفى الإفراط والتفريط. فالنصارى يصومون ستين، واليهود يوما واحد من كل سنة.

فليت شعرى أين التوراة من هاتين الفئتين، لقد تفرقت بهم السبل أيدى سبأ. والتزموا اتباع الهوى دينا ومذهبا.

السؤال الحادى والخمسون:

للنصارى عيد ميكائيل، ليس له أصل فى الشرع، بل ابتدعوه بسبب أنه كان فى الإسكندرية صنم يعمل له أهل الإسكندرية ومصر عيدا عظيما، ويذبحون الذبائح فولى بطركة الإسكندرية الأكسيدورس فرام ابطال ذلك

الصنم. فلم يقدر من عوام النصارى فقال إن تعييدكم لصنم لا يضر ولا ينفع جهل واضلال وكفر، فلو جعلتم العيد لميكائيل الملك، وذبحتم له هذه الذبائح لكان يشفع لكم عند الله تعالى، وذلك خير لكم من الصنم، فأجابوه، وكسر ذلك الصنم واتخذ منه صلبانا، وسمى الهيكل كنيسة ميكائيل، واستمر ذلك إلى اليوم ولا أصل له فى الدين وذلك ضلال عظيم.

السؤال الثانى والخمسون:

لهم عيد الصليب وعيد النور وغيرهما. لا أصل لهما فى شرعهم. وقد زادوها فى شرعهم وشعائرهم بجهلهم. وسبب عيد الصليب أن اليهود لعنهم الله اتخذوا المقبرة التى دفن بها الشبه مزبلة للأوساخ والأقذار. تحقيرا وإهانة للمصلوب. واستمر ذلك كذلك نحو ثلاث مائة سنة.

فجاءت أمرأة قسطنطين الملك الخبيث الملعون فأمرت بالكشف، وظهرت المقبرة وفيها ثلاثة صلبان، وهى صليب لكل من اللصين والشبه، فأشكل عليها صليب المسيح عليه السلام على رأيها وأرادت عرفانه. وكان ثم مريض به علة عظيمة. فوضعت عليه صليبا بعد صليب فلم يبرأ. فوضعت الثالث فبرأ لحينه. فقالت هذا صليب الرب فلفته بالذهب وبعثته إلى الملك.

ثم إن النصارى جعلوا ذلك عيدا، وعظموا الصليب غاية التعظيم، حتى صوروه فى كنايسهم، وطبعوه على أجسامهم وأثوابهم وقربانهم ولو أمكنهم أن لا يخلوا شيئا إلا فعلوه فيه – لفعلوا ومنهم من يُصَلِّب على وجهه بأصبع واحدة وهم القبط، وبأصبعين وهم الروم، وبالعشرة وهم الإفرنج وهو شيء لم يجدوه فى كتاب من الكتب، ولا فى شريعة الشرائع بل ابتدعوه بآرائهم الفاسدة وعقولهم السقيمة، بل العاقل يهان غلامه أشد الإهانات، فيود لو نسيت تلك الإهانة، وعفيت آثارها تعظيما لقدرة وقدر غلامه فكيف رضى بإهانة ربه على زعمه بتلك الإهانات العظيمة المتنوعة.

فلو كانوا عقلاء محوا آثارها وأخملوا شعارها وراغموا اليهود في إخماد غيظهم، ومحو آثار عداوتهم بل صاروا لليهود على إظهار ذلك العدوان أعوانا، وجعلوا شعار هوان ربهم قربانا، فلو نزل التلاميذ اليوم لم يعرفوا شيئا مما عليه النصارى الآن، ولا وجدوهم في سلك دين من الأديان، فإن يحل لهم لعقلهم الفاسد أن الصليب ينبغى أن يعظم لكون الرب صعد إلى السماء فهو فاسد، وإن قاله كثير لأنه عندهم دفن بعد الصلب ثلاثة أيام وصعد من القبر إلى السماء فالقبور حيئذ أولى بالتعظيم.

وإن كان ولابد من هذا الباب، ففى الإنجيل أن المسيح عليه السلام ركب الحمار عند دخوله المدينة، وبين يديه الصبيان ينادون: مبارك الآتى باسم الرب، فركب الحمار فى حال تعظيمه، والصليب في حالة إهانته فينبغى لهم أن يعظموا الحمير، ويضمخوها بالعبير، ولا يركبونها صيانة لركوب المعبود عن ملابسة العبيد، وهى أفضل من الصليب، لأنها حيوان وهو جماد وأين آثار السعادة من آثار الإهانة والإنكار.

السؤال الثالث والخمسون:

أكثر النصارى يسجد للتصاوير فى الكنايس، وهو من كفرهم القبيح، وأى فريق بين عبادة الأصنام والسجود للتصاوير، ولو أن السجود للصورتين لسجدت التلاميذ للمسيح عليه السلام فى حال حياته، فإن صورته أفضل مما يصورونه فى الكنايس، وليس فى كتبهم حرف من شرع التصوير، ولا من السجود للتصاوير، بل مملوءة بالتوحيد والتمجيد، وكفر مَنْ يفعل مثل هذا، فهم كفرة فجرة على كل كتاب أنزل وعند كل نبى أرسل.

السؤال الرابع والخمسون:

جوزت النصارى على البارى تعالى النزول والطلوع والحركة والسكون وهى من خواص الأجسام المحدثة، ولا يكون إلا فى المخلوقات المخترعة المدبرة، فيلزمهم أن الههم جسم محدث، ومخلوق مدبر وهم لا يشعرون.

السؤال الخامس والخمسون :

أكلت النصارى لحوم الخنازير، وأحلوها بعد تحريمها فى زمن المسيح عليه السلام فى التوراة والإنجيل(1)، فراغموا الكتب وخالفوا الرسل ففى التوراة، الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه وهو نص لا يحتمل التأويل.

وفى إنجيل مرقس(2) أن المسيح عليه السلام، اتلف الخنزير وغرق منه فى البحر قطيعا كثيرا وقال لتلاميذه، لا تعطوا القدس الكلاب ولا تلقوا جواهركم قدام الخنازير فقرنها بالكلاب، فمن أحلها فقد كفر بموسى والمسيح عليهما السلام.

ويروون عن بطرس أنه رأي فى المنام أن صحيفة نزلت من السماء فيها صور الحيوانات والخنازير وقيل له: كل منها ما أحببت. والشرائع لا تدون بالاحلام.

والرسل عليهم السلام لا يُكَذِّبُوا بالمنام، مع أننا نمنع صحة هذا النقل عن بطرس فانه ليس عندهم نقل صحيح لعدم رواية الكتب عن العدول والضبط لحروفها وما فيها من معانيها.

السؤال السادس والخمسون :

التزام النصارى أن الراهب والراهبة لا يتزوجون وأن الزواج مناف لباب التقرب إلى الله تعالى، وأن ترك النكاح من جملة المناسك والقربات، ويعرضون الرجال والنساء للزنا والفساد فى بيوت العبادات، ويسدون باب الذرية الصالحة.

ومن يعظم الله تعالى ويمجده ويقدسه، وهو أمر لا يجدون له عندهم أصلا إلا قول الإنجيل من ترك زوجة أو بنين أو حقلا من أجلى(3) فإنه يعطى للواحد ألفا، فقد صرح بأن ترك الزوجة يثاب عليه. وهم على غلط فيه من وجوه.

أحدها: أن الأولاد لا يجوز تركهم بغير كفالة، ومن نسب المسيح عليه

(1) سفر اللاويين - اصحاح 11 / 7- 8.
(2) مرقس 5 / 11 - 14.
(3) مرقس 10 / 29 - 30.

السلام للجهل بذلك فقد كفر، وتعين أن يكون المراد من ترك زوجة لله تعالى إذا طلبت فراقه لعجزه أو لسبب آخر، وترك البنين بمعنى لا يشتغل بمحبته إياهم عن طاعة الله تعالى.

ثانيها: أنه سماها زوجة. وإنما تكون زوجة إذا عقد عليها وجازها. فهو أمر بالفراق إذا أمر الله تعالى به، لا أنه أمر بترك الزواج، كقوله تعالى فى القرآن ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾[١] فكما أن الزواج يكون لله تعالى يكون الفراق له.

ثالثها: أنه معارض بقول المسيح عليه السلام فى الإنجيل من طلق زوجته باطلا فقد عرضها للزنا[٢]، فقد نهى عن الطلاق بغير سبب يوجبه وأمر بداوم الزوجية عند عدم سبب الفراق.

رابعها: الزواج مشتمل على قربات – منها إعفاف الزوجة وإعفاف الزوج والتسبب لعبد صالح يعظم الله تعالى، وإرغام الشيطان بصون الإنسان عن موارد العصيان، وهذا القربان أفضل مما انقطع إليه الرهبان من الصلوات.

ثم النكاح والتناسل سنة الأنبياء عليهم السلام، وخواص الأولياء ودأب النجباء والأقوياء وفى كتبهم أن الله تعالى امتن على إبراهيم عليه السلام، وزكريا عليه السلام بنعمة الأولاد[٣].

وقد قال مرقص فى الرسالة الثانية عشر[٤]: إن القس محقوق بأن يكون غير ملزم فانه وكيل الله تعالى، غير حقود ولا مستبد برأيه، ولا مجاوز القصد فى الخمر ولا اسرع يده إلى الضرب، وأن يكون محبا للقربان والأعمال الصالحات، عفيفا بارا خيرا ضابطا لنفسه عن الشهوات غنيا بالعلم والتعليم وله زوجة واحدة وبنون صالحون.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٩ .

(٢) متى ٩ / ٣ .

(٣) تكوين ١٧ / ٢ – ٨ .

(٤) عبرانيين ٥ / ١– ٤ .

وهذا نص فى حسن النكاح، والتسبب للعفاف، فمن خالفه فقد ضل عن سنة النبين، واحدث البدع القبيحة فى الدين، وما هى إلا نزعة فلسفية. وخيالات سوداوية.

السؤال السابع والخمسون:

النصارى اليوم كلهم معترفون بأنهم عصاة جناة، رافضون لشرايعهم متبعون لطبايعهم وذلك أن مذهبهم الاستسلام وترك القتال والانتصار وعدم مدافعة الكفار وترك الأخذ بالثار، لما فى الإنجيل أنه من لطمك على خدك فحول له الآخر. وقد تقدم هذا الفصل مستوعبا وفيه: أحبوا مبغضيكم وصلوا على لاعنيكم[1]، وكفى بهذا.

ويقولون: لو أراد المسيح عليه السلام الحروب لم يستسلم وقد قال بولس فى الرسالة الحادية عشر: اهرب من جميع الشهوات، وابتغ للرب والإيمان والود والتسليم وتنكب المنازعات فانها تورث القتال، وليس يحل لعبد أن يقاتل .

هذا قول بولس[2]، ومع ذلك فهم اليوم أشد الناس قتالا وحرصا على سفك الدماء، واتباع الأهواء وهم موافقون على الفصلين، فهم حينئذ معترفون بكفرهم بالشرائع واتباع الطبائع.

السؤال الثامن والخمسون:

اتفقت النصارى على الحكم بغير ما أنزل الله تعالى واتباع الأهوية فى الأحكام، يحلون الحرام ويحرمون الحلال، ويسفكون الدماء ويحبون الأموال والفروج بغير شرع، بل بمجرد اتباع الأهواء والوسواس السوداوى من غير شرع منقول.

وذلك أنه ليس يشتمل ديوان فقه النصارى على أكثر من خمسمائة مسألة

---

(١) متى ٥/ ٤٣.
(٢) ثيموثاوس الأولى ٦/ ١١ - ١٢.

ونيف لم ينقلوها عن المسيح عليه السلام. فهي أيضا في نفسها باطلة. ولو أنها صحيحة فالصلوات وحدها تحتاج آلافا من المسائل فأين أحكام الله تعالى في بقية العبادات والأنكحة والمعاملات والأقضية والجنايات والودائع والرهون والديون والاتلاف إلى غير ذلك من أحكام الله تعالى في التصرفات.

وأقل مختصر عند المسلمين يحتوى على عشرة آلاف مسألة، ومع ذلك فهو قطرة في بحر، فكيف خمسمائة مسألة، وأكثر رجوعهم إلى أحكام المسلمين مع أنها عندهم باطلة، وأى شيىء استحسنوه بعقولهم السقيمة حكموا به، فإن نازعهم أحد منهم حرموه ومنعوه من دخول الكنائس، وهذا غاية البعد من الشرائع واتباع الأهوية والضلال.

ثم إنهم يحكمون بما لا يرضاه الصبيان- ولا طبيعة النسوان كما يصنعون في كرسي مملكتهم بعكا بالشام. إذا ادعى أحد على أحد قتل قريبه، دفعوا لكل واحد باسيلقا من السلاح، ويحلقون رأسَيْ الاثنين ويعطونهما قرنين محددين، ثم يخرجون عند باب المدينة، فمن صرع صاحبه بذلك الحديد جلس على صدره، وخسف عينيه بالقرن، وسلمه لولي الأمر.

ويعين أنه الظالم بسبب أن المسيح قد نصر عليه، وهذا حكم المجانين والضعفة من المغفلين(١).

السؤال التاسع والخمسون:

قالت النصارى:

إن يوحنا جلس بأفسيس من بلاد الروم، يكتب إنجيله، فنزل مطر فمحى بعض ما كتب فغضب يوحنا ورفع وجهه إلى السماء وقال: أما تستحى أن تمحى اسم ابن الهك، فلم تمطر تلك القرية بعدها، قالوا وبينها وبين قسطنطينية ألف فرسخ، وهذا شأن النصارى فيما يستشهدون به على أباطيلهم - يبعدون شاهدهم غاية البعد، فانظر هذه الرقاعة، كيف يغضب يوحنا على ربه، وينازعه

(١) ربما كان ذلك في عصر المؤلف، أو قبله، لأنه الآن غير موجود.

فى تصرفه فى ملكه، وجرأتهم على يوحنا فى نسبته لهذه الجهالة مع ماله من المكانة.

السؤال الستون:

قالت النصارى:

إن المسيح عليه السلام لم يتكلم فى المهد. ولم ينطبق ببراءة أمه بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار، وتحكم بأنه ولد زنا، مع أنه عندهم قادر على كل شيىء - وخالق كل شيىء فيلزمهم أن ما لقيت والدة من ولدها شرا مما لقيت مريم رضى الله عنها من المسيح عليه السلام. وأنه جمع بين عقوق أمه وهتك سترها. وفضيحتها على رؤوس الأشهاد، وأعان على التمادى على الباطل، اعتقادا وقولا مع قدرته على دفع جميع هذه المفاسد بغير كلفة.

ثم ما اكتفى لوالدته بذلك، حتى ألزمها الصلاة والصوم ومشاق التكاليف وقضى عليها الموت، وجرعها غصص الموت، وسلط على جسدها الفساد وهذا لم يصل إلى قبحه ولد من الأولاد.

وهو صلوات الله عليه منزه عن جميع ذلك وإنما يلزمهم هذا من مذهبهم السوء المشتمل على الكفر والفساد.

السؤال الحادى والستون:

مذهب النصارى أن الخير من الله والشر من الشيطان. ووافقهم بعض اليهود. فيلزمهم أن يكون مراد الله تعالى أقل وقوعا، وأن مراد الشيطان أكثر وقوعا وأنفذ وأغلب، لكون أكثر العالم كفارا وضلالا، وشريرين اتفاقا، فيلزمهم أن يكون الشيطان أولى بالربوبية، وأحق بالعبودية.

وديننا أن الخير والشر والنفع والضر كل بيد الله وهو مسطور فى كتبهم

ولكن لا يهتدون إليه سبيلا، ففى التوراة. قال الله تعالى لموسى عليه السلام امض لفرعون وقل له: أرسل شعبى يعبدونى. وأنا أقسى قلبه فلا يرسلهم[1].

وفيها: وقسى الله تعالى قلب فرعون فلم يؤمن كما قال الرب[2]، وهو تصريح بأن الله تعالى يخلق القسوة والكفر فى القلوب كما يقول المسلمون.

وفيها: لما أخرج الصاع من رحل بنيامين. خرج اخوته. وقالوا من عند الله نزلت هذه الخطيئة[3] وهو فى التوراة كثير.

وفى الإنجيل إنى لم آت لأعمل بمشيئتى بل بمشيئة من أرسلنى[4].

كقوله تعالى فى القرآن الكريم، **﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** [4]، ونصوص التوراة والإنجيل متظافرة وهم على ذلك بالكتابين كافرون ولكن لا يشعرون.

السؤال الثانى والستون:

يقول النصارى:

إن قتل المسيح عليه السلام وما جرى عليه كان لأجل التطهير، فنقول لتطهير من آمن به أو من كفر؟.

فإن قالوا من كفر، فكيف يكون تطهير الخطايا بأقبح منها، من صلب الرب وإهانة الخالق الأكبر.

وإن قالوا من آمن، فكيف يكون فعل الكفار طهرا للأبرار بالإيمان. وإنما يطهر الإنسان عمله الصالح، ثم الإيمان كاف فى التطهير وإلا فلا عبرة به، وأى

---

(١) خروج ٩ / ١ - ١٢.
(٢) خروج ٧ / ٣ - ٤.
(٣) تكوين ٤٤ / ١٦.
(٤) يوحنا ٥ / ٣.
(٥) سورة التكوير آية ٢٩ .

فساد زال من العالم بقتله، وأى صلاح حصل، بل العالم على حاله، والناس على ما كانوا عليه من صالح وطالح ورفع وخفض وإبرام ونقض.

بل المصيبة التى حصلت بإهانة الرب على زعمهم لم يحصل فى العالم قبلها مثلها، ولا يحصل بعدها مثلها، وكان فى غناء عن هذا التطهير.

السؤال الثالث والستون:

النصارى يقرؤون بعد الفطر بجمعتين. تسبيحة مشهورة عندهم وهى صلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت. وانطفأت فتن الشيطان ودرست آثارها، وهل هؤلاء النصارى إلا هزءا للضاحكين، فأى موت بطل فى العالم، وأى فتنة انطفأت ودرست.

فمازال اليهود والفرس والمجوس وعبدة الأوثان وأنواع الضلال من العالم. بل ازدادت الضلالات وكثر الكفر والجهل والعناد بوجودهم بين أظهر العالم، ولم يظهر من ولد آدم ما ظهر منهم وما شبيه فيما هم عليه من خلط الكفر بالجنون[1].

السؤال الرابع والستون: يقرؤون يوم الأحد من الصوم التسبيحة المشهورة وهى.

أن المسيح هو الذى أنقذ رعيته من الفتن، وغلب بصومه الموت والخطيئة، ويغفلون عن كون الناس يموتون إلى الآن. وأن المقابر تعمر وأن المنازل تخرب. والعصاة والطغاة أكثر من أن يحصون وهم أكثر العالم. ولكن شغل النصارى بالعناد منعهم من الاطلاع على أحوال العالم وجسرهم على الكذب.

السؤال الخامس والستون:

يقرؤون بعد كل قربان. ياربنا يسوع الذى غلب بوجعه الموت الطاغى وهم

---

(١) فلينظروا الآن إلى الشرور التى تبثها أمريكا فى جميع أنحاء العالم، وما غزو أفغانستان والعراق وتهديد سوريا وليبيا وإيران وتسميتهم بمحور الشر تمهيدا لغزوهم وقهرهم واستعمارهم عنا ببعيد فأين هذا من ذاك.

لا يشعرون أن الموت أول ما بدأ به عندهم. وبأمه وجميع أصحابه وجميع النصارى إلى أن تقوم الساعة، ولكنهم معذورون لعدم العقل، وليت شعرى كيف يذهب الوجع الموت وهو أول مقدماته، وإنما يذهب الشيىء بما ينافيه. ولكن أين من يعلم الملايم من المنافى.

السؤال السادس والستون:

يقرؤون فى ثانى جمعة من الفطر.

إن فخرتنا إنما هى بالصليب الذى ذهب به سلطان الموت، وصيرنا إلى الأمل والنجاة، وينبغى لهم أن يمدحوا اليهود ويعظموهم لأنه سبب فخرتهم. ولولا اليهود لم يكن فخرة ولاجلالة. فما كان فى ذلك الزمان يجسر على الصلب سواهم، وهذه مرابع الناس قد خلت من الموت، والآمال قد تكدرت من خوف الفوت، ولكن لما كان النصارى لا يموت منهم أحداً، اعتقدوا أن الناس كلهم كذلك.

السؤال السابع والستون:

يقرؤون فى الصلاة الأولى التى يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر:

تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلاهنا أيها الرب خروف الله أرحمنا أنت وحدك القدوس المتعال، فسموه أولا الرب. ثم جعلوه خروف الله. وليت شعرى. ما مناسبة الخروف للربوبية حتى يسمى له العالم خروفا. ثم جعلوه وحده هو القدوس المتعالى، وهو هذا الخروف الذى لله تعالى، وإذا ثبت توحد الخروف بالقدس والتعالى، لا يكون صاحبه كذلك، فصاحبه أولى أن يكون الخروف.

السؤال الثامن والستون:

يقرؤون فى صلاة الساعة الأولى

المسيح الاله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمة الداعى الكل إلى

الخلاص، فجمعوا فيه بين كونه إلاها وبين كونه طويل الروح، وطول الروح الصبر على المؤلمات، وهو مناف للوصف بالألوهية، لأن الآلام والصبر عليها من خواص البشرية، ثم نصوص الإنجيل متظافرة بأنه عبد مربوب كما تقدم بيانه فى إثبات عبوديته عليه السلام، ثم كيف يخصصون المسيح عليه السلام بكونه المخلص من الموت والخطايا، وأنه الطويل الروح، والآب أولى منه بذلك. والروح القـــدس، فإعراضهم عن هذا إبطال للثالوث أو سوء أدب مع الآب والروح القدس.

ولا خلاف عندهم أن العبادة لأقنوم الكلمة وحدها كفر. فلما كفروا فى أول النهار قبل أن يتعالى، وإنما هو دليل على أن نهارهم مشؤوم عليهم، ثم دعاءه (أى المسيح) الكل للخلاص، إن دعى مريدا لذلك فقد ثبت عجزه فلا يصلح للألوهية أو غير مريد، فقد أراد كفرهم، وهو يهدف أصولهم بالقول بالتحسين والتقبيح. وأن الله تعالى أراد بالكل الخير. ولا يريد المسيح غير ذلك أبدا.

السؤال التاسع والستون:

يقرؤون فى صلاة الساعة الثانية

والدة الإله السماوى، أنت هى الكرمة الحقانية والحاملة ثمرة الحياة، إليك نتضرع لترحمى نفوسنا يا والدة الاله السماوى، افتحى لنا أبواب رحمتك.

فنقول لهم: هذا من العقائد التى لابد منها فى الدين أم لا؟ فان قالوا نعم، قلنا لهم: فابراهيم وموسى وغيرهما عليهم السلام، ما كانوا يعتقدون أن لله والدة ولا ولد، ولو كانوا كذلك لوجد فى التوراة وكتب الأنبياء عليهم السلام، فانهم لا يقصرون فى نصح الخلايق وإرشادهم إلى ما يجب من الايمان لكنهم لا يجدون فى الكتب من هذا حرفا واحدا فالأنبياء عليهم السلام حينئذ كفرة لجهلهم بهذه الحقائق والعقايد.

وإن قالوا إن هذا ليس من عقايد الأديان، ولا آذنت فيه الكتب الربانية، فقد اعترفوا بالكفر، بكونهم نسبوا إلى الله تعالى ما لم يأذن فيه، ثم إن هذه الصلاة

تقتضى عبادة مريم، رضى الله عنها، لتصريحهم بالتضرع لها، لترحم نفوسهم، وتفتح لهم أبواب الرحمة، ولا معنى للعبادة والربوبية إلا هذا، مع اعترافهم بأن جسد مريم رضى الله عنها، لم يتحد به كلمة[1]، ولا غيرها، بل هى كسائر بنات آدم صلوات الله عليه فقد عبدوا الرجال، وأردفوا ذلك بعبادة ربات الحجال، وصار الثالوث رابوعا، واستورطهم الشيطان فكان بالوعا، وأضحَوْا حمير الضلالة بل جزوعا.

السؤال السبعون:

يقرؤون فى صلاة الساعة السادسة:

يا من سمرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التى تجرأ عليها آدم، خرق العهد المكتوب فيه خطايانا، وخلصنا، يا من سمر على الصليب وبقى حتى لصق على الخشبة بدمه، قد أحببنا الموت لموتك، أسألك بالمسامير التى سمرت بها نجنى يا الله.

فليت شعرى مَنْ علَّمهم الأدب مع إلهم، حتى يثنون عليه بصفات الكمال ونعوت الجلال، ويتقربون إليه بذكر أفضل الأحوال.

ثم المسيح عندهم أنه هو الله تعالى.

وليت شعرى، كيف يخطىء آدم فيصلب الرب ليمحى خطيئة العبد[2]، ومَنْ المطالب بهذه الخطيئة، حتى ألجأ الرب لهذه الرذيلة بل كان يكفى الرب أن يغفر ذنب عبده ولا حاجة إلى شيىء آخر، ثم إنهم يجمعون بين وصف الربوبية وبين ما يناقضها من القهر لها. بل أقبح - أنواع القهر من أقبح الناس وهم اليهود.

ولو اعترفوا لليهود بالربوبية، ودانوا لهم بالعبودية لكان أولى بهم فى هذه الحالة من المناجاة بآداب لو قوبل بها شيخ ضيعة لأوسعهم ضربا بالنعال وخلدهم فى النكال.

---

(١) انظر بركة مريم عليها السلام فى لوقا ١ / ٢٦ - ٣٨.

(٢) يوحنا ٣ / ١٦ ومرقس ١٠ / ٤٥.

السؤال الحادى والسبعون:

يقرؤون فى صلاة الساعة التاسعة:

يا من ذاق الموت من أجلنا فى الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سلم نفسه إلى الآب لما علق على الصليب، لا تغفل عنا، يا مَنْ مِنْ أجلنا ولد من العذراء، واحتمل الموت، لا تخيب من خلقت بيدك، واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذى عاهدت عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

ويقرؤون فى هذه الصلاة.

لما رأت الوالدة الحمل والداعى ومخلص العالم على الصليب قالت وهى باكية، أما العالم ففرح بقبوله الخلاص، وأما أحشائى فتلتهب عندما انظر إلى صلبوتك بعينى.

وهذه القراءة مع سخافتها فهى متناقضة، إذ كانوا قد تخلصوا بصلبه من الخطايا، أى شيىء يحوجهم إلى شفاعة أمه فيهم، وأى حاجة بهم إلى هذا التضرع والسؤال.

وقد بينا فيما تقدم، كذبهم فى دعواهم خلاص العالم. وأحواله لم يتغير منها شيىء، وما بالهم يسيئون الظن بربهم. ويسألوه أن لا ينقض عهده، وما ذلك إلا أنهم فيه رأوه (أى نقض العهد) لما أن الإبن صلب وعجز عن خلاصه من اليهود. وكيف يليق أن يخاطب الرب تعالى بأن لا يكذب ولا ينقض عهده. وهل هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا.

السؤال الثانى والسبعون:

يقرؤون فى صلاة المغرب

يا والدة الاله العذراء. اسع فى خلاصنا وافرحى يا والدة الاله مبارك أنت فى النساء، ومباركة ثمرة بطنك، لأنك ولدت لنا مخلصنا، يا والدة الاله، مباركة لا تغفلى عن وسيلتنا ونحن من المعاطيب، وفى هذه الصلاة، ياصانع المسيح يوحنا اذكر جماعتنا، ونجنا من المعاطب، فصارت آلهتهم ستة.

الآب. الابن. الروح القدس. ومريم. والمسيح عليهما السلام. ويوحنا.

ووجدوا هذا الباب بغير ثمن فاستكثروا منه وإن طال بهم الزمان صارت آلهتهم لا تعد ولا تحصى، وكيف يليق أن يجعلوا يوحنا صانع المسيح عليه السلام، ويصرحون بأن يوحنا إلهه، والمسيح عليه السلام مصنوع له، وحينئذ قد صرحوا بعبودية المسيح عليه السلام وأنه من جملة المخلوقين لكن ليوحنا، فتفتخر اليهود حينئذ لأن الله تعالى خلقهم وكل من كان قبل خلق يوحنا، فإن يوحنا لم يخلقه، وهل هذه الصلوات لا تستحى منها الفضائح وتتعوذ منها القبايح.

السؤال الثالث والسبعون:

يقرؤون فى صلاة النوم

الملائكة يمجدونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها لآب وابنك نظيرك فى الابتداء، وروح القدس مساويك فى الكرامة، ثالوث واحد.

فما كفاهم ما كفروا به من التثليث حتى يشركوا معهم الملائكة، والتوراة والإنجيل، والمزامير تكذبهم فى دعواهم على الملائكة ذلك، وتشهد بتوحيد الله تعالى، وتبرؤه عن الثانى فضلا عن الثالث. وقد بينا ذلك فيما تقدم بنصوص هذه الكتب، ثم قولهم قبل الكل حدوث المسيح عليه السلام. لأنه لو كان فى زمان أبيه، لم يكن الله تعالى قبل الكل، وإذا تأخرعنه بالزمان ثبت عدمه فى زمان أبيه، والمسبوق بالعدم محدث.

فالمسيح عليه السلام محدث، لكن القوم لا يفهمون القديم من المحدث فلذلك وقعوا فى هذه الترهات، وإذا كان المسيح عليه السلام محدثا بطلت ربوبيته وتعينت عبوديته. وانتقض أصلهم ولم يزل منقوضا.

السؤال الرابع والسبعون:

يقرؤون فى صلاة نصف الليل وهى الثامنة من صلاتهم لا تاسع لها من الرتبات.

تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالى إلى الدهر. مبارك أنت فوق المسيح، وفوق المتعالى إلى الدهر، ويكررون هذه الفوقية فى هذه الصلاة دفعات، ونسوا أنهم قرأوا فى صلاة النوم أن المسيح نظيرك فى الابتداء وروح القدس مساويك فى الكرامة.

فإن صدقوا فى الأولى كذبوا فى الثانية، وإن صدقوا فى الثانية كذبوا فى الأولى، فهم الكذبة الفجرة على كل تقدير.

فهذه ثمانى صلوات لهم، مشتملة على البهت والكفر. والفجر وسوء الأدب على الله تعالى، وعلى المسيح عليه السلام، وهم فيها متضمخون بالعذرات، ملابسون للقاذورات، حتى إن العباد منهم إذا مات أحدهم يوجد على شعر مقعدته نجاسات وعذرات متحجرات كما تتفق على أذناب الأغنام.

فلو أن فيهم رجلا رشيدا ناصحا أشار عليهم بترك هذه الصلوات والإعراض عن باب القربات لكان خيرا لهم وأقوم فليس للقوم أهلية للعبادات، وليس لهم آداب تصلح للمناجاة بين يدى رب الأرض والسموات، بل أشبه بالجمادات من الحيوانات.

السؤال الخامس والسبعون:

اختلفت مستندات النصارى فى كون المسيح عليه السلام ابنا. فننقلها كلها. ونبين بطلانها.

منهم من يقول إنما كان ابنا مسيحا، لأن الله مسحه بدهن وهو باطل، لأنه يلزم أن يكون داود وغيره ابنا ومسيحا لله تعالى، لقول داود عليه السلام فى المزامير «صبيا كنت فى غنم أبى فأخذنى ربى ومسحنى بدهن مسحنته[1].

وفى السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة «أن الخير الممسوح من أولاد هارون هو الذى يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح[2].

---

(١) مزمور ٨٩/ ١٠ -٢١.
(٢) لاويين ٨/ ١٣.

وفى هذا السفر قال الله تعالى لموسى بن عمران: عمد آل هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن المسحتين الذى تمسح به الأخيار، وخذ الجماعة كلها إلى باب فيه الأمر، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة، وكله بإكليل من ذهب، وصب على رأسه من دهن المسحتين، وأمسحه وقدسه ففعل موسى عليه السلام ذلك.

فالمسيح عليه السلام أسوة هذه الصفوة فلا مزيد له[1].

ومنهم من قال: بل لأنه سماه ابنه، وهو باطل لما فى التوراة أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ابنى بكرى إسرائيل[2] والبكر أجل الأولاد، فيعقوب عليه السلام أولى بالنبوة.

ومنهم من قال: بل لأنه أحسن تربيته وتأديبه، وهو باطل. فان مربيه امرأة، ولم تكن الملائكة تلازم بابه وحفظه وتعليمه. بل هو كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى النشأة، لم يوجد فى حقه زيادة توجب النبوة.

ومنهم من قال: بل لأنه أطاع الله تعالى، فأعطاه ما لم يعط غيره. فاتخذه ابنا.

قلنا: ففى التوراة أن موسى عليه السلام عمر مائة وعشرين سنة وإذا طرحنا عمر الصبى، بقى عمر المسيح عليه السلام خمس عمر موسى عليه السلام فأعماله أعظم. وحكيتم أن موسى عليه السلام ملك جانبا من الأرض كبيرا، وقاتل الجبابرة، وجاهد العمالقة، وأباد الفراعنة، وقتل عوجا مبارزة وأوصل[3] لله تعالى أربعين يوما وأربعين ليلة، لا يذوق طعاما، وابتلى بخلاف قومه وعتبهم فصبر، وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحب، فلم يهب جبارا وإن عظم قدره، ولا نكل عن عدو وإن تفاقم أمره، حتى فتح الشام ودوخ البلاد، ولمادنى

---

(١) خروج ٢٩/ ٣ - ١٠.

(٢) خروج ٤/ ٢٢.

(٣) أى صوم الوصال وعن حروبه للمذكورين راجع سفر الخروج اصحاح ١٧/ ٨ - ١٦، والتثنية ٢٥/ ١٧/ ١٩.

حمامه وقيده من الأجل زمامه، تقدم إلى خادمه يوشع بن نون بفتح باقى بلدان الشام، وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمه ما قوى عزمه وأيد حزمه، فقاتل أربعة وعشرين ملكا وأبادهم.

وهذه أعمال عظيمة لم يوجد مثلها للمسيح عليه السلام، أو وجد ما يعادلها. فليكن – موسى عليه السلام ابنا لله تعالى بل فى الإنجيل أن عيسى عليه السلام منذ نشأته إلى ثلاثين سنة ما زال مشتغلا بتعلم التوراة. واقتباس العلم من أتباع موسى عليه السلام.

ومنهم من قال: بل لحلول العلم الالهى، أو الكلام على خلاف بينهم فى مريم رضى الله عنها، فتجسد إنسانا فكان ابنا، وهذه مزية لم توجد لغيره.

قلنا: قد بينا فيما تقدم أن العلم والكلام معنيان، وأن المعانى يستحيل انتقالها ولو انتقلت لزم خلو ذات الله تعالى عنها، والكل محال فالقول بالنبوة محال.

السؤال السادس والسبعون:

فى إنجيل لوقا

أن جبريل عليه السلام بشر مريم رضى الله عنها بأن ولدها المسيح ابن داود ويجلسه الرب تعالى على كرسى أبيه داود. ويملكه على بيت يعقوب فجبريل عليه السلام يسميه ابن داود. والنصارى تقول كَلاًّ، بل هو رب داود.

ولقد تباعد ما بينهم وبين جبريل صلوات الله عليه، وعادوه وخالفوه بالرد عليه، ومن كان عدوا لجبريل الأمين فلا شك أنه عدو لرب العالمين.

وكيف يليق بجبريل صلوات الله عليه أن يخمد قدر المسيح ويقلل قدره، وينسبه إلى البشر وهو منسوب إلى خالق البشر، لا سيما وذلك فى معرض التبشير وهو محل التفخيم والتعظيم، ولو لم يكن فى الإنجيل إلا هذا الموضع، لكان قاطعا لحجج النصارى وكافيا فى إثبات عبودية المسيح عليه السلام.

السؤال السابع والسبعون:

يقول اليهود:

حقيقة المعجزة لا تختلف وهى فعل خارق يقترن به التحدى، وهذا قد وجد فى حق محمد بن عبد الله ﷺ كما وجد فى حق موسى عليه السلام، فإن كانت المعجزة لا تفيد النبوة يلزمهم أن لا يعتقدوا نبوة موسى عليه السلام، وإن أفادت يلزمهم اعتقاد نبوة محمد ﷺ.

وإنما قلنا إنه عليه السلام جاء بالمعجزة لأنه جاء بالقرآن فى زمن الفصحاء والبلغاء. وسأل من جميعهم أن يأتوا بمثله فأعجزهم. فسألهم سورة منه بحيث تصدق على سورة الكوثر فعجزوا.

فنادى بينهم على رؤوس الأشهاد بقوله:

﴿ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١)، فما اقتصر على تعجيزهم حتى أضاف إليهم – أكثر منهم وهم الجن، ومع ذلك التوبيخ الذى يأباه ذووا المروءات، ويثير الحميات لاسيما عند العرب العرباء، ذوى الأنفة والكبرياء، ومع ذلك كله أظهروا العجز، وآثروا العدول إلى القتال وسلب النفوس مع الأموال، ومثل هذا لا يفعله الجميع العظيم من العقلاء إلا للمبالغة فى العجز.

وقد اشتمل القرآن العظيم على مثل سورة الكوثر سبعة آلاف مرة، فيكون سبعة آلاف معجزة.

وفيه من المعجزات وجوه كثيرة جدا. منها إخباره عن المغيبات والمستقبلات وكان ذلك يوم بدر.

وقوله ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾(٢) وكان الأمر كذلك.

(١) سورة الإسراء آية ٨٨.

(٢) سورة الروم آية ٢.

وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[1] وكان كذلك وهو كثير.

ومنها إخباره عن أحوال القرون الماضية، ووجد كذلك مع أنه عليه السلام لم يقرأ كتابا. ولم يخالط ولم يرحل إلاّ إلى الشام مرتين فى المتجر مع قومه، ولم يلتمس هذا قط من أهل القصص ولا غيرهم.

ومنها أنه لا يمل مع تطاول الأزمان، ونحن نجد أحسن قصيدة غرًا أو رسالة بديعة حسنا. يستحليها السمع ثم يملها ويسأمها وللقرآن الكريم ست مائة سنة يتلى ولا يزيده تطاول الأيام إلا جدة. ولا تجد الأسماع عنه نهوه.

فهذه وجوه من الإعجاز للقرآن الكريم. وليس هذا موضع التوسع فيها[2].

ومن معجزاته ﷺ، انشقاق القمر. وهو أعظم من انشقاق البحر لأن الماء فى كل حين يفترق من حيث الجملة.

وأجرى الماء من أصابعه وهو أعظم من إجراء الماء من الحجر. لأن الحجر مكان الماء من حيث الجملة.

وكلّمه الحصى والجمل والشجر والذراع.

ومعجزاته عليه السلام كثيرة ليس هذا موضع استيعابها. إنما المقصود إيراد السؤال مع إجماع أوليائه وأعدائه على أنه كان من أصدق الناس وأكرمهم وأشجعهم وأكثرهم أمانة ووقاراً وإعراضا عن الدنيا وترغيبا فى الآخرة.

لم يختلف فى هذه الصفات اثنان ممن خالطه من الكفار والمسلمين. وهذه صفات لا تجتمع إلا لنبى، فمن كفر به يلزمه أن لا يعتقد نبوة موسى عليه السلام ولا غيره من الأنبياء.

---

(١) سورة الفتح آية ٢٧ .

(٢) هناك كثير من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم كالاعجاز العلمى فى قصة خلق آدم وخلق الإنسان فى الأرحام وقد توصل العلم الحديث إلى حقيقة ما قرره القرآن فى وقت لم يكن يعلم أحد أى شئ عن مثل هذه الأمور وغير ذلك كثير فلتطلب فى مظانها من كتب الإعجاز.

فائدة: لمعجزته عليه السلام مزايا لم تحصل لغيره منها أنه باق على وجه الدهر، وغيره ذهب بذهاب نبى ذلك المعجزة.

ومنها: أنها واحد وهو القرآن وهو آلاف من المعجزات، وغيره واحده من كل وجه.

ومنها: أنه معجز شريف فى معنى لطيف وهو الفصاحة والبلاغة وأنواع سحر البيان مع الوصف العجيب والرونق الغريب، لأن أمته عليه السلام أشرف عقولا سرية. وأعظم اخلاقا رضية، وألطف نفوسا بشرية، فتحدى لها بالمعجز الشريف فى المعنى اللطيف.

ولما كانت الأمم المتقدمة اكثف طبعا، وأصعب انقيادا وسمعا، جعل معجزهم فى الصور الكثيفة والآيات القاهرة العنيفة. فى نتق الجبال وشق البحار وبروز الحيوان من الصخرة الصماء، ومقتضى الحكمة علاج كل مريض بما يناسبه، فالنسمة الشريفة بشراب الرمان. والجبلة الكثيفة بالحطب والنيران.

السؤال الثامن والسبعون:

نقول لليهود:

إذا اعترفتم بصدور الخوارق وأنكرتموها وشهدت النقلة بوجودها فى حق محمد بن عبد الله. وعيسى بن مريم صلوات الله عليهما وطعنتم فيها بعد ذلك لزمكم ذلك فى معجزات موسى عليه السلام، فكل شىء توردونه من احتمال السيميا أومعاونة الشياطين أو الطلسمات أو غير ذلك يلزمكم ذلك فى موسى عليه السلام، وكل ما تخيلتموه جوابا لكم فهو جوابنا.

السؤال التاسع والسبعون:

أسلم خيار اليهود وخيار علمائهم كعبد الله بن سلام. وكعب الأخبار، وأخبرونا بأن مقتضى التوراة ومقتضى دين اليهود صحة نبوة محمد ﷺ.

وأجمع اليهود قديما وحديثا على سيادة هؤلاء وعظم شأنهم فى العلم

والدين وكثرة الاطلاع، وهم اليوم يسلمون ذلك، فتكون شهادتهم حجة على اليهود، لأنه لم يكن هناك ما يوجب عدولهم عن الحق لا سيما الأتقياء والسادة والنجباء مقبولة – (أى شهادتهم)، فى كل شىء. فتقبل على اليهود فى كل شىء، ويتعين أنهم التزموا العناد والجحود. وتأخر إسلام كعب الأحبار إلى زمن عمر رضى الله عنه.

فقال له ما سبب تأخر إسلامك فقال له: انا نجد فى التوراة أن محمدا يبعث من العرب، ثم يتوفى ويتولى بعده شيخ صالح ثم يموت ويتولى بعده صلد من حديد. فلما رأيت الأمر جميعه كذلك. أسلمت قال له عمر: واذفراه أو ذكرت هناك؟ أى أنا منتن لا أصلح أن أذكر فى التوراة تواضعا من عمر رضى الله عنه.

وكفى بعمر وشيعته دليلا على صحة نبوته عليه السلام، فان اتباع المبطلين لا تكون لهم الكرامات، ولا تخرق لهم العادات، وعمر رضى الله عنه ينادى سارية من المدينة، وسارية فى أرض فاريين[1]: يا سارية الجبل. فسمعه سارية من هنالك. فالكرامة للاثنين فى السماع والاسماع رضى الله عنهم أجمعين.

السؤال الثمانون:

نقول لليهود:

جمهوركم يعتذر عن الإسلام بتعذر النسخ لئلا يلزم منه الندم والندا فى حق الله تعالى. وقد تقدم أن النسخ وقع عندكم فى تحريم السبت. وفى اسحق[2] صلوات الله عليه وتحريم الأخت المباحة فى زمن آدم عليه السلام. وبقية الوجوه مذكورة قبل. وإذا كان النسخ واقعا عندكم انقطع العذر ولم يبق إلا العناد.

---

(١) سارية كان يحارب فى أرض الشام.
(٢) فى بعض النسخ وقد استحق.

السؤال الحادى الثمانون :

نقول لليهود أنتم فى ضلالة قطعا . بيانه أن كتبكم التى تعتمدون عليها لا يمكن الاعتماد عليها لأن أجَلَّها التوراة . وهى غير متميزة لأنها مشتملة على التواريخ الكائنة بعد موسى عليه السلام والكائنة قبله وفى زمانه . ومشتملة على كلام كثير ليس لموسى عليه السلام والمتعين منها لموسى عليه السلام قليل . وإذا اختلطت التوراة بغيرها سقط الاحتجاج بها، فان الحجة إنما هى فى قول صاحب الشرع لا فى غيره . فإذا اختلط بغيره سقطت الحجة من الجميع لعدم التعين فلا يقوم به الحجة .

السؤال الثانى والثمانون :

نقول التوراة مبدلة قطعا لما تقدم بيانه مما اشتملت عليه من نسبة الأنبياء عليهم السلام، وخاصة عباد الله إلى الفسوق والزنا وشرب الخمر ومالا يصدر من أدنى السفلة . حتى إنهم يسمون هذه الحكايات النجاسات . مع قيام الأدلة على عصمة الأنبياء عليهم السلام . فيحصل الجزم بعدم صحة ما بأيديهم من التوراة .

السؤال الثالث والثمانون :

إن بختنصر قتل اليهود وحرق التوراة حتى لم توجد ، وكانوا لا يرون حفظها مأمورا به وكانت مختصة بأولاد هارون من بنى إسرائيل كما تقدم نصه فى التوراة ثم بعد السنين الكثيرة المتطاولة، لقنهم غريرا هذه التوراة التى بأيديهم من فصول جمعها لا يدرى هل أصاب أم أخطأ .

ولا جرم وقعت فيها النجاسات وما لا يليق بالنبوات ومثل هذا لا يجوز الاعتماد عليه حتى نقطع بكونه عن الله، وأين القطع فى خبر واحد ، فثبت أن التوراة لا يجوز الاعتماد عليها ! !

السؤال الرابع والثمانون:

عقلاء اليهود يعترفون بنبوة محمد ﷺ لما يجدونه عندهم فى التوراة ويخصصون نبوته عليه السلام بالعرب.

فنقول: إذا سلمتم نبوته والنبى من شأنه الصدق وحسن السيرة والسريرة فكيف قتل اليهود فى خيبر وغيرها ودعاهم إلى دينه. فلو لم يكن رسولا إليهم لما دعاهم. فكل من اعترف بنبوته عليه السلام للعرب يلزمه تصديقه فى كل ما أخبر به وهو قد أخبر أنه قد بعث للناس كافة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [1] وقال عليه السلام (بعثت للأحمر والأسود)[2] فأخبر أنه عليه السلام مبعوث للجن والإنس.

السؤال الخامس والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن روح الله تعالى قبل خلقه كانت ترفرف على المياة[3]، وهو كلام باطل من جهة أن قبل الخلق لم يكن ثَمَّ مياه، وكلامهم يقتضى قدم المياه. فلا تكون مخلوقه وهو خلاف إجماعهم، وخلاف المعقول والمنقول[4].

ثم لو سلمنا قدم المياه[5]. فكلامهم يقتضى أن الله تعالى له روح، هى جسم فان الرفرفة إنما تكون فى الأجسام، والجسمية محال عليه تعالى، بأدلة العقول وبموافقتهم على ذلك.

---

(١) سورة سبأ آية ٢٨.

(٢) رواه البخارى راجع فتح البارى ٤٣٩ / ١.

(٣) أى قبل خلق الإنسان.

(٤) النص فى سفر التكوين المتداول حاليا يبين غير ما ذهب إليه المصنف فالنص يقول (فى البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه الماء) سفر التكوين ١ / ٢٠٠١.

(٥) أو كان بعد خلق الماء حسب النص فى الهامش السابق.

ثم يقتضى قوله إن روح الله تعالى تفارقه ويبقى بلا روح ميتا وهو محال آخر، فاشتمل قولهم هذا على أنواع من المحال.

السؤال السادس والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن الله تعالى حين أكمل خلق العالم. قال: تعالوا نخلق بشرا يشبهنا فخلق آدم(١). فاعتقد كثير من اليهود لهذه المقالة التجسيم، وقال إن الله تعالى فى صورة آدم عليه السلام. وأنه شيخ أبيض اللحية والرأس جالس على كرسى، والملائكة قيام بين يديه والكتب تقرأ بحضرته.

فانظر هذه العبارة الركيكة وهذه العقول السخيفة، وجعلوا لله تعالى شركاء فى الخلق لا شريكا واحدا، وأنه لا يستقل بخلق آدم لنقلهم عنه تعالوا وهى صيغة جمع. فيلزمهم أن هؤلاء كل منهم إله. إذ لا ميزة لله تعالى عليهم. بل الجميع يتساعدون فى الخلق ثم يلزمهم أنه لا يصلح واحد منهم للربوبية لعجزه عن الاستقلال. وهذا شر من قول النصارى بكثير. فإن النصارى جعلوا كل واحد مستقلا كاملا فأمكن أن يكون إلاها. وأما على قول اليهود فى هذه المقالة فلا. وهذا غلط عظيم وجرأة على الله تعالى.

السؤال السابع والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن الله تعالى لما خلق الخلق فى ستة أيام(٢)، ثم استراح فى اليوم السابع(٣)، واعتقدوا لغلط أفهامهم أن الله تعالى يعتريه التعب والنصب، حتى

(١) تكوين ١/ ٢٦ - ٢٧.
(٢) تكوين الاصحاح الأول.
(٣) تكوين ٢/ ١-٤.

نقل عن بعضهم فى غير التوراة أنه تعالى فى اليوم السابع: استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى.

وفى هذا جهالات:

منها التجسيم.

ومنها ضعف القدرة لطرآن التعب والنصب.

ومنها أنه يلزمهم أن يكون الاههم حادثا فإن محل الحوادث يجب أن يكون حادثا والتعب والنصب حوادث.

فأين هذا القول من قول المسلمين: إن خلق الله تعالى لجملة العوالم كخلقه لأقل جزء من جناح بعوضة. وإن إيجاده بأن يقول للشيىء كن فيكون. واعتقاد المسلمين أن صنعه للأشياء بلا علاج ومخالطة لها. وبلا مزاج - وأن علمه محيط[1] بكل شيىء صنعه ولا علة للصنعة.

فهذا هو قول التوحيد والتمجيد اللائق بجلال الربوبية وتعظيم الله تعالى.

وأما قول اليهود فتأنف منه دبغة الجلود. وهذه المواضع وشبهها من أعظم الأدلة على تبديل التوراة، وأنها غير المنزلة من الله تعالى، وهذا يجزم به كل عاقل.

السؤال الثامن والثمانون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن الله تعالى قال لآدم وحواء، إنكما فى اليوم الذى تأكلان فيه من الشجرة التى نهيتكما عنها تموتان موتا[2]، وفى التوراة أنهما عاشا بعد ذلك ورزقا الأولاد بعد دهر طويل. وهو تناقض فاحش دال على تبديل التوراة وتغييرها.

---

(١) فى نسخة أخرى (علة كل).

(١) سفر التكوين - الاصحاح الثانى ١٦ - ١٧ .

السؤال التاسع والثمانون:

قالت اليهود:

إن الجنة لا أكل فيها ولا شرب. والتوراة تكذبهم فى عدة مواضيع منها أن آدم وحواء كانا يأكلان من كل شيىء فيها إلا شجرة واحدة وقد تقدم نقل عدة مواضع من ذلك فى أجوبتهم تدل على أن الجنة فيها الأكل والشرب والنكاح.

السؤال التسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن نمرود لما بنى الصرح وشيده نزل البارى تعالى إلى الأرض حتى هدمه وحال بين نمرود وبين ما أراده من ذلك. وهذا تجسيم وتعجيز وتسوية ومقاربة بين الله تعالى ونمرود. فإن هذا إنما يكون بين الانسانين المتقاربين أما الملك العظيم مع من هو دونه فإنه لا يتحرك بنفسه له. بل يبعث بعض أعوانه. وهاهنا جعلوا الله تعالى لايهد هذا الصرح إلا بأن يأتى بنفسه.

وهذا كفر لم تصل له النصارى، وسخف كبير يقضى على توراتهم بالبعد عن الهداية واشتمالها على الضلالة، وأن الذى لفق فيها هذا من أهل الجهالة والغبارة.

السؤال الحادى والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن إبراهيم عليه السلام لما مرت به الملائكة لهلاك سدوم. وعامود مدائن لوط عليه السلام أضافهم وأطعمهم خبزا ولحما وسقاهم سمنا ولبنا ولما أتو عند لوط عليه السلام عشاهم فطيرا.

وهذا جهل عظيم ونقل كاذب قطعا فان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، بل أجسامهم روحانية وغذاؤهم روحانى لا يعرفه اليهود. ثم العجب أنهم نسوا أنهم يقولون: إن الناس فى الجنة مثل الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فشبهوهم

بالملائكة فى عدم الأكل والشرب ثم لم يلبثوا أن قضوا على الملائكة بالأكل والشرب وهو تهافت عظيم، وبهذا ونحوه يعلم أنه ليس بأيديهم من كتبهم إلا الرسوم.

السؤال الثانى والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة إن لوطا عليه السلام لما أمره الله تعالى بالخروج عن القرية الظالمة لم يسارع وتباطأ عن الامتثال حتى بقيت الملائكة تدفعه فى ظهره دفعا عنيفا حتى أخرجوه كرها.

وهذا يدل على تبديل التوراة، فان خواص المؤمنين لا يشكون فى أوامر الله تعالى لا سيما مع وجود الملائكة المشاهدين بالحس، فكيف حال الأنبياء حينئذ، فكيف بخواص الأنبياء عليهم السلام، كلا والله، بل بواطنهم مملوءة إجلالا وتعظيما، وهم المخصصون بدوام المراقبة لأوامر الله تعالى. انقيادا وتسليما. وما هى بأول جراءة من اليهود على الأنبياء عليهم السلام.

السؤال الثالث والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن إبراهيم عليه السلام لما حضرته الوفاة ورَّث ماله ولده إسحاق وحرم باقى أولاده[1]، وهو من المواضع الدالة على تحريف التوراة، فإن حال القدوم على الله تعالى يكون إبراهيم عليه السلام فى غاية الأدب مع ربه وحسن المعاملة مع خلقه، لا سيما أولاده الذين أوجب الله تعالى عليه برَّهم. وحرم أذية قلوبهم.

فكيف تجعل إبراهيم عليه السلام - وهو خليل الرحمن هذا المؤثم خاتمة عمله عند حضور أجله، وأنت تعلم أيها المسلم المصدق بالرسالة المحمدية قوله

---

(١) جاء فى سفر التكوين ٢٥/ ٥ - ٦ (أعطى ابراهيم اسحاق كل ما كان له. وأما بنو السرارى اللواتى كان لإبراهيم فاعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن ابنه اسحق شرقا إلى أرض المشرق وهو بعوحى).

عليه السلام نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. فنجزم بكذب ما حكاه اليهود.

السؤال الرابع والتسعون:

قالت اليهود في التوراة:

إن يعقوب عليه السلام احتال على أبيه إسحاق حتى أخذ دعوته المستجابة التي كان إسحاق عليه السلام يريدها للعيص[1]، لأنه كان يحبه أكثر فإن لبس يعقوب عليه السلام حلة أخيه العيص، وجعل في دراعه وعنقه جلد ما عز، فتمت مكيدته على أبيه ودعا له، وإن إسحق عليه السلام ما أطلع على الحال تعجب وقال: ليت شعرى من هذا الذى ذهب بدعوتى، فجعلوا يعقوب عليه السلام كذابا، قولا وفعلا، ودلّس وعق أباه وأخاه.

ثم العجب كيف يعتقدون صحة هذا مع أنه إذا سلم لهم وقوع مثل هذا، فما دعا إسحق عليه السلام إلا للعيص، لأنه هو الذى اعتقده إسحق عليه السلام وأراده حالة الدعاء، فهذه الحيلة لا تفيد شيئا وكيف يدعو إسحاق عليه السلام للعيص فينصرف ليعقوب عليه السلام من غير قصد إسحاق عليه السلام. فجمعت اليهود فى هذا النقل بين سوء الأدب في حق الأنبياء عليهم السلام وبين الجهل بالحقائق.

السؤال الخامس والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم آدم عليه السلام[2]، وأنه نزل إلى الأرض حين أنقذ بنى إسرائيل من سحرة فرعون، ونزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق. ونزل إلى الأرض عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد ونزل إلى الأرض حين قاتل النمرود وقومه ومنعهم من بناء الصرح.

---

(١) تكوين ٢٧ / ٢ – ٢٩.
(٢) تكوين ٣ / ٨.

وهذا جهل عظيم منهم والحامل لهم عليه أنهم يسمعون إن الله تعالى كلم هؤلاء الأنبياء عليهم السلام. فأعتقدوا أن هذا إنما يكون منه تعالى بالحركات والتنقل فى الجهات، فأثبتوا ذلك فى توراتهم، وهذا يقتضى أن كتبهم ملفقة على حسب أهوائهم، لا على حسب ما أنزل الله تعالى إليهم.

السؤال السادس والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن هارون عليه السلام وأخته مريم وقعا فى موسى عليه السلام وحسداه وأذياه، فنزل الله تعالى إلى قبة الزمان. ودعا هارون عليه السلام ومريم وتوعدهما وبرص مريم فصارت برصاء من ساعتها[١].

فنسبوا الأنبياء صلوات الله عليهم إلى الحسد ومراغمة مقدور الله تعالى ولا خلاف عندهم فى نبوة هارون ومريم. والأنبياء معصومون، ونسبوا إلى الله تعالى الحلول فى قبة الزمان لقصد الانتصار، وأنه لا يحكم على أحد حتى يحضره عنده، ولذلك استحضرها بين يديه، وهذا من قبيح كذب اليهود على الله تعالى وعلى رسله، وأعظم الدلائل عل تحريف ما بأيديهم.

السؤال السابع والتسعون:

قالت اليهود فى التوراة:

إن الله تعالى حين أراد قتل أنصار فرعون وجنوده، قال لموسى عليه السلام: قل لبنى اسرائيل يذبحون جملا ويضمخون من دمه على أبواب دورهم حتى إذا جُزْت الليلة فى أرض مصر ورأيتُ الدَم عَرَفْتُ أبوابَكم من أبواب المصريين لئلا أهلككم معهم[٢].

فنسبوا إلى الله تعالى أنه لا يعلم إلا ما يراه بأمارة، ولا يتحقق شيئا إلا

---

(١) سفر العدد ١١/ ٢٥، ١٢/ ١-٥، ١٦/ ١٩.
(٢) خروج ١٢/ ٢١ - ٢٨.

بإشارة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، بل هو تعالى احاط بكل شيىء علما، أحصى كل شيىء عددا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء.

السؤال الثامن والتسعون:

قالت اليهود:

إن الذى أمرنا بعبادة العجل واتخاذه هو هرون عليه السلام[1]، مع أن موسى عليه السلام أستخلفه للإصلاح فأمر بالكفر الصراح وكذبهم دانيال فى نبوته. فقال إن الذى صنع العجل منحا السامرى، وكان آباؤه يعبدون البقر فاستتابه موسى عليه السلام ونفاه إلى الشام، ولذلك كان أهل الشام أكثر سحرة من غيرهم. وهذا موافق للقرآن الكريم.

السؤال التاسع والتسعون:

قالت اليهود:

إن الله تعالى امرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم، وأنه اقترح عليهم صفتها، فبنوا له ذلك، لأن موسى عليه السلام قال يارب إن هذه الأمة القاسية لا تمضى إليك إلى الشام حتى تمضى معها كما وعدتها. فقال الله تعالى. اعلموا أن القبة فعلها موسى عليه السلام. وسماها قبة العهد. ونزل الله تعالى فى عرشه ونزل معهم فى داخل القبة ينزل بنزولهم ويرحل برحيلهم. هذا نص التوراة[2].

ومما وقع فى التوراة من أمر هذه القبة، أن المال الذى جمعوه لإنفاقه على

---

(١) خروج ٣٢/ ١-٦.

(٢) هناك فى التوراة نصوص كثيرة تدور حول هذا المعنى والنص أعلاه غير موجود بلفظه مما يدل على أن النسخة التى أخذ منها المصنف رحمه الله تختلف عما فى أيدى اليهود والنصارى اليوم وهذا يدل على دأبهم على التغيير والتبديل (راجع موضوع نزول الرب إليهم وسفره معهم بزعمهم سفر الخروج - الإصحاحات ١٣، ٢٩، ٣٣/ ٩-١١).

هذه القبة صرف على يد موسى عليه السلام، فلما كملت ادعوا عليه أنه قد نقصهم من المال ألف رطل وستمائة وخمسة وسبعون رطلا، وقالوا لموسى عليه السلام تشريفا له أين ذهب هذا، فسمعوا صوتا من السماء أن هذا العدد دخل في رؤوس الأعمدة - والتغشية فحينئذ كفوا عنه.

فأنظر لجرأة هذه الطائفة على الله تعالى ولم يقدروه. ولم يعاملوه بما يليق بجلاله فويل لهم مما كتب أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

قالوا فيها: وكان موسى عليه السلام إذا أراد الرحيل قال انهض إلينا يارب لنكبت شانئك، قالوا فكان تعالى يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم، وقالوا إن الله تعالى أبى مرة السير معهم، وقال اظعنوا أنتم فإني لا أظعن أنا، بل أبعث معكم ملكا يغفر ذنوبكم.

فأنظر استخفافهم بالله تعالى إلى هذه الغاية. تحويه القباب ويسير مع الركاب وهذه غاية الإسهاب في السباب، فيما لا يليق برب الأرباب، بل هو تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تحويه الجهات ولا يوصف بالحركات والسكنات ولا يشبهه شيء من المخلوقات.

السؤال المائة:

قالت اليهود:

إن يعقوب عليه السلام عند منصرفه طالبا بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب عليه السلام. وتألم وِرْكُ يعقوب عليه السلام. وصار الملك في يده مقهورا[٢] حتى قال له: دعني وأبارك لك، فترك اليهود أكل عرق الفخذ لذلك،

---

(١) هذا النص غير موجود بالتوراة الحالية، ولعل المؤلف نقله من نسخة أخرى غير هذه وجدت في زمانه.

(٢) تكوين اصحاح ٣٢/ ٢٢ - ٢٨.

فجعلوا الملائكة والأنبياء عليهم السلام مثل الصبيان يتصارعون وأنهم فى حبه من تفرغ من يفزع قلبه وقالبه. وأعرض عن مراقبة هؤلاء واشتغل بهواه.

السؤال الحادى والمائة:

إن النصارى مصدقون التوراة، وهو كتابهم وعمدتهم فى الأحكام. والإنجيل إنما جاء بالمواعظ.

وقال لهم فى الإنجيل: تزول السموات والأرض ولا يزول شيء من الناموس[1]، يعنى أحكام التوراة. ومع ذلك فهم مصرون على مخالفتها متمادون على معاندتها، نابذون لأحكامها مطرحون لأعلامها، ففى التوراة أن الله حرم الميتة والدم والخنزير والنطيحة والمخنقة والموقوذة والقردة والشحوم غير المختلطة باللحم والأرنب والأسد والذئب والكلب والفرس والحمار والبغل وكل دابة ليست مشقوقة الحافر. ومن الطير البازى والعقاب وكل طير يبقى بمخلبه أكل. ومن حيوان الماء كل حوت ليس له سفانق. كذا وقع ف يكتبهم بالنون، وهو تصحيف منهم، وإنما هى سفاسق. وهى الطريق عند العرب، ومنه سفاسق السيف لطرايقه وفرنده. [ذكره أبو عبيد فى الغريب (المصنف)].

وحرم حرث الثور مع الحمار. وحمل الخيل على الحمير. والحمير على الرجال وطبخ الجدى فى لبن أمه وأخذ الطير من أعشاشها بفراخها وأكل الجزارة والملتصقة ربها. وأكل الخبز المختمر فى الفصوح. ولا يقربا قربانا إلا بخبز فطير. وحرم شحوم البقر. وشحم الشاة ومنع قربان الحمام واليمام.

وهذه نصوص لا تقبل التأويل وعمل بها النبييون وأقروها، كذلك عيسى عليه السلام، فإن ادعوا نسخها طالبناهم بالدليل الناسخ، ولن يجدوه أبدا، بل تركوها بأهوائهم الفاسدة.

---

(١) متى ٥/ ١٧ - ١٩.

ولقد ذكر بعض كتب عقايدهم لهم هذه المحرمات، ثم تأولوها بالوقاحة والجهل، فقالوا هذه أمثلة ضربت فى التوراة، وفسرها المسيح فى الإنجيل، فعنى بالميتة أن لا تميتوا الأحياءولا تعموا الحق فى الشهادة. وأراد بالدم أن لا يقتل أحد بربٍ وبالخنزير الزنا والكفر. وبالنطيحة أن لا يناطح ملك جبار فقير أو مسكين. وبالموقوذة أن لا تزدرى بمن هو تحت ظلم غيرك، وبالمنخنقة أن لا تخنق أحدا لك قبله حق فتضغطه وبالقردة أن لا تحكى أحدا فتفعل لفعلها وبالذئب والأرنب أن لا تأكل مع غيرك بالهجم. والفارة. والأرنب. أن لا تفعل فعلها فعل قوم لوط فأن ذكورها يأتى بعضها بعضا لغلبة شهوتها. وبالبازى ونحوه. أن لا تهرق دم أحد ولا تغلبه على متاعه. وبالدابة التى ليست مشقوقة الحافر، الكفرة عبدة الأوثان، يعبدونها أيام حياتهم. ولا يقسمون عمرهم مشاطرة.

وبالحوت الذى ليس به سفانق الإنسان المتلون فى دينه، وبحرث الثور مع الحمار، الإنسان الكافر، وبالحمير على الخيل، زواج الكافر بالمؤمنة والمؤمن الكافرة، وبالجدى فى لبن أمه أكل مال اليتيم ظلما، وبالمتلصقة الربعة. الإنسان الحسود الذى يوسوس الشرُ فى صدره وبالخبز المختمر التى ينفخ فيها الشيطان. ويهيج فيها الكبرياء وبالفطير، أن يكون أنفسنا ضامن بغيركبر، وبالحمام واليمام المؤمنين الذين جعلوا أنفسهم قربانا لله تعالى، وأما أكل الخنزير والميتة وغيرها فما فيها مضرة ولا منفعة من شاء أكلها ومن شاء تركها.

فهذا مذهب النصارى إلا القليل، فما الذى حمل هؤلاء الجهال على تحريف كتاب الله تعالى وتغيير أحكامه، وحل نظامه بغير شرع منقول ولامدرك معقول، فكيف فهم هؤلاء الجاهلون ما لم يفهمه النبيون. لله العجب، قد زادت عقولهم حتى فهموا ما لم يفهمه موسى بن عمران، مع أن الرسالة إليه.

كلا والله، هم لكتب الله تعالى محرفون، وعلى الله تعالى وعلى رسله متجرؤون – سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. وإذا فتحوا هذا الباب من الهذيان فى التأويل بغير دليل. لم يبق على ما يحتجون به على نبوة عيسى أو

ألوهيته أو غير ذلك من مقاصدهم تعويل. لأن يحضهم أن يبدى مثل هذه التأويلات الباطلة. ويهتف كما هتفوا بالأحاديث الفاسدة.

السؤال الثانى والمائة:

اطبقت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بماء المعمودية.

وصفته أن الذى يريد أن يدخل فى دينهم أو يتوب منه تمنعه الأقسة من اللحم والخمر أياما. ثم يعلمونه – اعتقادهم ثم يجتمع القسيسون فيكلمون بعقيدة إيمانهم. ثم يغطسونه فى ماء يغمره. واختلفوا هل يغمس واحدة أو اثنين أو ثلاثة. ثم يدعو له الأسقف بالبركة بعد خروجه من الماء. ويضع يده على رأسه. ومن لم يقبل هذه القاعدة كافر عندهم.

وتأويل الغطسات مدة مكث المسيح عليه السلام فى قبره، ثلاثة أيام. والخروج من الماء هو الخروج من القبر.

ومنهم من يقول: بل الغطسات الثلاث إشارة إلى التثليث.

ولم يذكر التعميد فى التوراة، بل كتبوا فى الإنجيل أن يوحنا عمد المسيح عليهما السلام بوادى الأردن، فخرج منه روح القدس[1] كالحمامة على الماء.

وزعمت النصارى أن المسيح عليه السلام قال للحواريين إذا مررتم بالأجناس فعمدوهم. بالأب والابن والروح القدس. فهذه المعمودية عندهم ظاهرة المستند، أسندوها للنبيين والحواريين. ومع ذلك فعليهم فيها استدراكات فنقول:

سلمنا جدلا صحة ما ذكرتموه من النقل، فلِمَ قلتم إنه إذا عمد يحيى عليه السلام والحواريون نعمد نحن. فلعله مخصوص بهم، فما الدليل على أن ما فعلوه كان شرعا عاما، والمسلمون لم يعتمدوا على مثل ذلك، حتى ورد عليهم قوله تعالى ﴿وَمَا آتَاكُم بِرَسُولٍ فَخُذُوهُ﴾ [2] وقوله عليه السلام. خذوا عنى مناسككم ونحو ذلك، فأين لكم مثله؟ ولن تجدوه أبدا.

---

(١) متى اصحاح ٢٨ فقرة ١٨، ١٩.

(٢) سورة الحشر آية ٧.

ولعلهم إنما عمد ذلك لأن ماءهم مقدس ودعاءهم متقبل، ولستم مثلهم. فأضفتم مالهم لكم شرعا بالتوهم من غير دليل. سلمنا عموم شرعيتها، فلم زدتم العدد، ووضع اليد على الرأس والنفخ فى الوجه، ولم ينقل ذلك عمن تقدم، ولم تكفرون مخالفيها من غير دليل على تكفيره.

ثم نقول: ماء معموديتكم مقدس أم لا؟ فإن قلتم مقدس. فمن قدسه؟ فإن قلتم الله قدسه فما الدليل عليه؟ فلعله نجسه. فان قلتم نحن قدسناه، قلنا ومن أنتم حتى تقدسون المياه، وما الدليل على أهليتكم لذلك، فليت الفجل يهضم نفسه، ولم خصصتم المعمودية بالماء؟ ولم لا يكون بالبول؟ فانه ليس بنجس عندكم وهو والماء سواء.

ثم إن قولكم: إن يحيى عليه السلام عمد المسيح عليه السلام، فهل كان عيسى عليه السلام قبل ذلك مقدسا أم لا؟ فان قالوا مقدسا فلا أثر لتعمده، وإن قالوا: لا. فكيف يعتقدون أن من ليس بمقدس إله أو ابن الاله. وأنتم تقولون: إن أرواح القدس مثل الحمامة البيضاء. وهل هذا كله إلا هذيان وضرب من الخذلان. وعلى هذا أكثر أحكام شريعتهم وأقواها مستندا فكيف بأضعفها.

السؤال الثالث والمائة:

وضعت النصارى لأنفسهم قوانين من غير دليل من التوراة والانجيل ومن خالفهما سموه خارجا تارة، وكافرا أخرى، والخروج عن قوانينهم ذنوب. وينقسم إلا مالا يغفرونه وإلى ما يستقلون بغفرانه، فإذا غفر به له أدخلوه الكنيسة وقبلوا قربانه – وإذا لم يغفروا له أبعدوه عن كنائسهم، وطردوه وهولوا عليه. ولم يقبلوا قربانه.

ولا بد للذنب المغفور له من كفارة بحسب ما يظهر لأقستهم ويوافق غرضهم، فتارة يقدم الكنيسة، وتارة لا يدخلها، بل يقف عندها متذللا، وربما بتي أعواما، وتارة يقدم مالاً لملكهم أو لهم ولكنائسهم وأمثل لك هذا القسم بمثال.

فالعبث بالصبيان لا يغفرونه أبدا، وإن كان فاعل هذه الفاحشة أسقفا عزلوه وأبعدوه إبعادا شديدا. وإذا لم يكن أسقفا نكل نكالا شديدا، ويضرب الفاعل والمفعول مائة سوط، وينفيان النفى الدائم. ولا يعطه أسقف توبة أبدا، ومن أعطاه توبة عزل، ولا يعطى هو أيضا توبة، وأغرموه خمسة أرسال ذهب للملك، وهذا قانونهم فى بلاد الإفرنجية وممالك النصرانية بتلك الجهة[1].

ومثال ما يغفرونه نكاح القرابات لتحريمه بنص التوراة بزعمهم فان أصر الفاعل على ذلك لا يغفر له أبدا، وإن أقلع عنها حرم القربان خمس عشرة سنة، وكلفوه أعدادا من النقود والصلوات والعبادات وربما زادوه خمسا، فكملوا له عشرين سنة بحسب سنه عندهم.

وأما المرأة فلا تعط توبة إلا عند وفاتها.

وأما الذى يأتى البهيمة وله زوجة، لا يعطى التوبة إلا بعد ثلاثين سنة، وإن لم تكن له زوجة بعد خمس وعشرين سنة.

ومثال ما يغرمونه فيه الأموال، من تزوج بغير بركة القسيس يغرم للملك مائة دينار ويضرب الزوجان مائة سوط.

وقد حكموا على قاتل عبده بحرمان القربان عامين، وعلى قاتل العبد غير عبده بحرمان القربان وبخضوعه عند الكنيسة إلى وفاته.

ومن اطلع على كتب فقههم رأى فيها غرائب من التحكمات، وعجائب من الموضوعات، لم ترد بها النبوات بل جعلوا أنفسهم شارعين. ونزلوا أنفسهم منزلة رب العالمين، فان الحكم والتحكم من خصائص الربوبية، وإنما الأنبياء عليهم السلام مبلغون لأوامر الله، وأعجب من هذا كله. استهزائهم بكتاب الله تعالى. فان هذه الذنوب المتقدمة، جعل الله تعالى فى التوراة فى أكثر العدل. ولم يغير ذلك فى الإنجيل ولا فى غيره، ومع ذلك نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وأتبعوا ما تتلوا عليهم شياطين أنفسهم، فحقت عليهم لعنة الله تعالى وغضبه أبد الآبدين .

---

(١) لاويين ٣٠ - ١٣ وحكم اللواط هنا القتل.

فإن ادعوا النسخ قلنا لهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين وكيف يأتون به. وفى الإنجيل قال المسيح عليه السلام. إنما جئت متما ولم آت لأنقض شريعة من قبلى، ثم نقول: لما شرعتم فى العابث مائة سوط ولم تشرعوه فى ناكح قريبته، مع أن التوراة حكمت بقتلهما، فينبغى أن تضربوهما، بل رفضتم كتاب الله وحكمتم بالجور.

ثم جوزتم تسهيلكم الفواحش على أنفسكم وتصعيبها على غيركم، فجعلتم فى الأسقف إذا عبث بصبى أن يبعد فقط، وغيره يبعد وينكل ويجلد، ولو عكستم لكان أشبه. فإن صدور الفاحشة من العظيم أقبح، ولذلك - قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين، بل راعيتم بعضكم بعضا لمجرد الرياسة، وتحاملتم على الضعفاء، بل عظم هؤلاء القسيسون أنفسهم، حتى جعلوا أنفهسم أعظم من الأنبياء، فحكموا فى الشرائع وليس ذلك للأنبياء، وقالوا للعوام إن غفران أحدنا لكم غفران الله وحرمانه وحرمان الله. وإن أعطينا القربان قبله الله وإن لم نعطه لم يقبله الله وليس للأنبياء عليهم السلام شيء من ذلك، بل الحكم كله لله عند كل نبى من الأنبياء عليهم السلام.

وقد انتهى بعضهم إلى أن جَزَم بأنه لعظم منصبه عند الله تعالى بالقسيسية لا يحرم عليه شيء من الفواحش. فعليهم لعنة الله أجمعين ولعنة اللاعنين. بل الحق ما قال رب العالمين فى كتابه المبين ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ (١).

السؤال الرابع والمائة:

فى أعيادهم من حيث الجملة. قال قسيسهم حفص. الأعياد السبعة التى أمر القانون بصيانتها.

---

(١) سورة المائدة آية ١٨ .

أول يوم منها كان إذا بشر جبريل الملك صلوات الله عليه مريم رضى الله عنها بايلاد المسيح عليه السلام.

واليوم الثانى مولد المسيح عليه السلام.

والثالث حنانه إلى ثمانية أيام.

والرابع يوم ظهوره للمنجمين وأهدوا إليه ذهبا ولبانا مرا وهو يوم النجم.

والخامس: يوم الفصح إذ قام من القبر.

والسادس يوم غطته السحابة ورقى إلى السماء بمحضر الحواريين.

والسابع: إذ نزل روح القدس على الحواريين وتكلموا بجميع الألسن، وأما غير هذه من الأيام التى استشهد فيها الشهداء ويصومها الناس ويتصدقون فيها فواجب صومها، إما فى مدينة أو قرية.

وهذه الأعياد عندهم يصومونها حتى إذا كان أحدهم فى موطن أو قرية لا يرتحل حتى يتمها، فقد التزموا ما ليس بلازم، وأوجبوا ما ليس بواجب، ولا يجدون لا فى التوراة ولا فى الإنجيل ما يوجب شيئا من ذلك، فإن قالوا هب أنه ليس فيها نقل إلا أنه اتفق فيها هذه الأمور العظيمة.

قلنا: ومن أين لكم أن كل يوم اتفق فيه أمر عظيم يجعلونه عيدا، هذا بمجرد التحكم فى شرع الله تعالى. ولو أن هذا الباب صحيح لكان كل يوم ولد فيه نبى أو نصر فيه على أعدائه عيدا، ويلزمكم أن الأيام التبى أقامها عيسى عليه السلام فى بنى إسرائيل وكانت له مشاهد، وأحيى فيها الموتى فظهر له الظفر وأقام الحجة بل أيامه كلها كانت لا تخلو عن بركة أو كرامة تعيد فتعد تلك الأيام وتجعلونها كلها أعيادا، بل حكمتم وما أصبتم ولا أنصفتم.

ثم إن عيسى عليه السلام. كان عالما بهذه الأيام، وما كان يلتزم فيها ما تلتزمونه، فدل ذلك على أنكم أحدثتم فى دين الله تعالي ما ليس فيه، وهو جرأة عظيمة على الله تعالى، وعلى شرعه.

وما مثالكم ومثالنا إلا مثل عبدين أمرهما سيدهما، فأما أحدهما فأطاع ولم يزد ولم ينقص، وأما الآخر فزاد ونقص، فقال السيد للأول ما صنعت؟ قال لم أزد على ما أمرت، ولا على ما فعلت لأنى خفتك، ولأنى عظمتك وأجبتك، فحملنى ذلك على الاتباع وترك الابتداع، وقال الآخر: تركت بعض ما أمرتنى به، وفعلت بعض ما لم تأمرنى له، فزدت ونقصت فلا يمكنه أن يقول لأنى أحببتك ولا عظمتك، لعدم المناسبة، فلا شك أن العقلاء يحكمون بأن الأول مطيع دون الثانى، وأن الثانى مستوجب لنكال سيده، وهو مثالكم مع المسيح عليه السلام تدعون تعظيمه وتخالفونه فى أفعاله، وتزيدون عليه فى أحكامه وأقواله، فأنتم مستحقون لتوبيخه ونكاله.

السؤال الخامس والمائة:

فى قربانهم قال قسيسهم حفص فى كتاب الفقه لهم:

إن الذى أردت معرفته من خبر القربان، فإن الأنبياء وبنى إسرائيل كانوا يقربون القربان على ما فى التوراة، العجول والجزر والخرفان، فأما ملك صدق فإنه أول من قرب القربان من الخبز والخمير، وكان قسيس الله فى البدء، وإليه ورى إبراهيم العشرات المفروضة.

وقال داود عليه السلام فى الزبور: خبز ملك صدق إذ بشر بالمسيح سيدنا وأنزله منزلته. وجعله قسا فى الأبد، فقال الرب أقسم يمينا ليس بندم أنت أبدا قسيس فى خطة القسيسين ملك صدق، فأما الحواريون وأتباعهم فرضوا هذا القربان الذى قدسته الأساقفة والقسوس على المذبح من الخمر والخبز لأجل فعل ملك صدق.

وكما قال المسيح فى الإنجيل من أكل لحمى وشرب دمى كان فى وكنت فيه، وأنا الخبز النازل من السماء. فمن أكلنى يحيى بحياتى، فانظر هؤلاء، كيف ينقلون عن التوراة أن المشروع فى القربان الأنعام، وهم يغيرونه ويبدلونه بالخبز والخمر لأنهم متبعون لهواهم، فاستغلوا. الأنعام لغلو ثمنها. فعدلوا إلى الخبز

والخمر لقلة ثمنهما، ولما يجدونه فيه من اللذة فى الخمر، ولا شك أن القوم ضموا إلى جهلهم البخل، ثم يحتجون لرفضهم التوراة وفعل النبيين بها إلى بعد عيسى عليه السلام، بفعل القسيس ملك صدق والحواريين.

مع أن المسيح عليه السلام لم ينسخ شيئا من التوراة[١]، وملك صدق ليس نبيا يجب اتباعه، ولو ادعو نبوته احتاجوا إلى دليل عى نبوته، وأن شرعه شرع لهم، ولن يقدروا على ذلك أبدا. بل تركوا التوراة بمجرد الوهم والهواء.

وأما قول عيسى عليه السلام، من أكل لحمى وشرب دمى كان فى وكنت فيه. وأنا الخبز النازل من السماء[٢]، فقدحمله النصارى على ظاهره، وكانوا على المسيح أشد من اليهود فإن اليهود قتلوه وتركوه. والنصارى يأكلون لحمه ويشربون دمه، ومعلوم أن هذا فى العداوة – والنكاية أشد من نكاية اليهود، وإنما ينبغى لهم أن يسعو فى صحة النقل أولا: فإذا صح حمل ما يليق بمنصبه وهو أنه عليه السلام عبر عن المعنى المعقول بمثال محسوس وشبه غداء الأرواح بغداء الأجساد وهو عليه السلام أتى بأنواع الهدايات، وتفاصيل الأحكام، وأحيا ما أماته بنو إسرائيل من ذلك، فمن اتبعه اغتذت روحه وتوفرت قواها وحصلت لها مسراتها ونعماها، وأشبعها من المعارف ورباها، وأميت شقاها وخيبة مسعاها، وليس المراد الخبز المحسوس ولا الدم المشاهد، لأن ذلك كفر اتفاقا، وما ذكرناه معنى جليل يناسب منصبه فيتعين أنه الحق، وذكرت هذا التأويل، ليعلموا أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام منهم فى جميع الأحوال، ولكلامه عليه السلام محامل أخرى حسنة، ولا يحتاج معها إلى إبطال التوراة التى صرح عليه السلام بأنه لا يبطل شيئا منها.

وأما الحواريون فلم يصح لكم النقل عنهم. ولو صح فليس لغير الأنبياء عليهم السلام أن ينسخوا التوراة بل لابد للنسخ من شرط معلوم عند أهل العلم

---

(١) متى اصحاح ٥ فقرات ١٧ – ١٩.
(٢) متى ٢٦/ ٢٦.

بالله تعالى وبرسله وأحكامه ولم يحصل ها هنا، ولو سئلتم عن شروط النسخ لما عرفتموها. بل أنتم تجاهرون باستحالة النسخ على الله تعالى، وقد بينا فيما تقدم صحته ووقوعه فى التوراة.

ومن العجب أن فى الأنجيل أن عيسى عليه السلام قال للمبروص الذى شفاه أمضى وأعرض نفسك على القسيسين وأنفذ قربانك الذى أمر به موسى عليه السلام فى عهده، وهو نص على أن القربان عند عيسى عليه السلام هو ما شرع على لسان موسى عليه السلام[١] لا ما شرعتموه من الهذيان بل نقلتم عنه الزور. والبهتان فظهر أنهم تركوا التوراة لغير شىء بل للهوى والتحكم فى الشرع.

السؤال السادس والمائة:

النصارى تقدس دورهم بالملح:

قال قسيسهم حفص، لأن وجدنا أن إلياس الذى تلميذه اليسع مكث بمدينة أريحا، فشكا أهلها أن عينا يخرج منها ماء كثير لا ينتفع به لذلك، فأمر أن يؤتى باناء جديد، فأدخل فيه الملح وقدس به ماء العين فعذبت[٢]، فلذلك صرنا نقدس بالملح،.

وهذا فاسد، لأن إلياس عليه السلام فعل ذلك على وجه المعجزة والكرامة، لا أن يكون حكما شرعيا. كما روى فى الأنجيل أن عيسى عليه السلام، سأله أعمى أن يرد بصره، فأخذ قطعة طين فجعلها فى عينه فأبصر[٣]، فكان ينبغى أن تقدسوا بيوتكم بالطين. لأن عيسى أولى من إلياس عليهما السلام.

السؤال السابع والمائة:

النصارى تصلب على وجوهها، وقد تقدم اختلاف أحوالهم بالأصبع

---

(١) مرقس ١/ ٤٠ - ٤٤.
(٢) الملوك الثانى ٢/ ١٩ - ٢٢.
(٣) يوحنا ٩/ ١-٧.

والإصبعين والعشرة وهو شنيع على المسيح عليه السلام. وإظهار لشعائر الإهانة العظيمة الحاصلة لمن يزعمون أنه ربهم، وهذا لا يرتضيه الإنسان لغلامه فكيف لنبيه فكيف لربه.

قال قسيسهم وكبيرهم حفص، سبب تصليبنا أن الملك قسطنطين رأى فى السماء صورة صليب من ذهب وملكا يقول له[1]: إن كنت تريد غلبة أعدائك فأجعل هذه الصورة علامة قدامك فإنك غالب بها جميع أعدائك، وآمن وفعل ما قاله الملك فنصر وهو الذى بحث عن صليب المسيح حتى وجدوه مدفونا وعمل من المسامير التى كانت فيه لجاما لفرسه وزين جبينه بصليب من ذهب، فاستمر ذلك لنا علامة على النصر والظفر.

قلنا: كلام حفص هذا يصدق ما حكيناه فيما تقدم من قسطنطين، فان كذب ذلك أحدمنهم فليكذب أسقفه حفصا، على أن ما ذكرناه مشهور عندهم، ثم نقول لهم من أين وثقتم بصدق قسطنطين، ولعله كذب لإصلاح رعيته، وهو من سيئات من لا يتقيد بالشرعيات، وكثيرا ما نشاهد من الملوك مثله، سلمنا صدقه فلعل الذى خاطبه شيطان لا ملك قصد إضلالكم حتى تعتقدوا الصلبويته التى هى أعظم بلية.

سلمنا أنه ملك، فلما زدتم ذلك فى صلاتكم، وزدتم على ما علمكم عيسى عليه السلام استظهارا عليه وتسفيها فى فوات هذه المنقبة، ثم الصلاة المصلب فيها إن كانت أفضل لزم أن يكون صلاتهم أفضل من صلاة عيسى عليه السلام أو ليست أفضل، فينبغى أن لا يفعل المفضول أو ما لا فضل فيه، فان العبث فى العبادات قبيح، وهذا كله دليل على أن القوم لهم غرض فى اتباع رسل الله تعالى. ولا فى الاقتداء برسله، بل الأهواء منهم والشياطين قادتهم والنار منزلتهم. وإلى شر الأحوال عاقبتهم.

---

(١) ليس هناك دليل على أنه ملك فقد يكون شيطانا بل ليس هناك دليل على صحة القصة من اساسها.

ولنقتصر على هذه الأسئلة فهذا مهيع واسع، وضلال شاسع، كلماتهم الركيكة أكثر من الحصى وهفواتهم أكثر من أن تحصى.

وأنا أستغفر الله العظيم من نقل كفرهم وسوء أدبهم. وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر فى هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام. وأنه هو الدين المتعين للحق الجارى على نسق التوحيد والصدق. كما قال الشاعر:

وبضدها تتميز الأشياء

وقال غيره:

والضد يظهر حسنه الضد

وليفهم معنى قوله عليه السلام: جئتكم بها بيضاء نقية. أى لا يشوبها ما يتوهم أنه نقص ولا مايناقضها. جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن لئامها وقد استبدلت عن هذه الركاكات فى العبارة بالفصاحة الفائقة، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة، فهذا بياضها الناصع ونقاؤها الجامع وامتثالا لقوله تعالى: ﴿ **وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ** ﴾ (١). ﴿ **فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ** ﴾ (٢).

ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهتهم ربما تكون قوية. فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم فى أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنهم فى دركات النار مرتهنون، فزاد لذلك فى قلبه الإيمان، وعظم لله تعالى عليه الامتنان والله تعالى يجعلنا من حزبه المهديين وخاصته المرضيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(٣).

* * *

(١) سورة الحج آية ٤٠.
(٢) سورة محمد آية ٣٥.
(٣) آمين... آمين.

الباب الرابع
فى صحة دين الإسلام والبشارة بمحمد ﷺ

فيما يدل من كتب القوم على صحة ديننا ونبوة نبينا عليه السلام. وأنهم بمخالفته كافرون، وبمعاندته من الله تعالى مبعدون، معارضة لاستدلالهم بكتابنا على صحة دينهم، بعد بيان بطلان توهمهم صحة ما اعتمدوا عليه.

وقد نصت الأنبياء عليهم السلام من إبراهيم عليه السلام إلى المسيح - عليه السلام على نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام. ورسالته، وأنه أفضل النبيين والمرسلين، ونصوا على اسمه ونعته وحليته وأرضه وبلده وجميل سيرته وصلاح أمته وسعادة ملته وأنه من ولد إسماعيل عليه السلام، وأن دعوته تدوم إلى قيام الساعة.

فمن لم يعتقد وقوع هذا كله لزم الطعن على هؤلاء الأنبياء كلهم صلى الله عليهم أجمعين، فلا جرم نحن المؤمنون حقا بجميعهم الشاكرون لصنيعهم، وغيرنا هم الكافرون بجملتهم والمكذبون لأخبارهم.

وأنا أذكر من البشائر الدالة على ذلك خمسين بشارة.

البشارة الأولى:

فى السفر الأول من التوراة فى الفصل العاشر، قال الله تعالى لإبراهيم - عليه السلام. فى هذا العام يولد لك ولد. اسمه إسحق، فقال إبراهيم عليه السلام: يا ليت إسماعيل هذا يحيى بين يديك بمجدك، فقال الله تعالى قد استجبت لك فى إسماعيل وإنى أباركه وأنميه وأعظمه جدا جدا بما قد استجبت فيه، وأصيره

أمة كثيرة، وأعطيه شعبا جليلا، وسيد أثنى عشر عظيما[١]، واتفقت الأمم على أنه لم يظهر من قبل إسماعيل عليه السلام إلا نبينا صلوات الله عليه، فان الأنبياء إنما كانوا يكونون من ذرية إسحق عليه السلام، ولما ظهرت بركته ونمت أمته، كان الشعب الجليل الذى أعطيه إسماعيل عليه السلام، فملأت منه المشارق والمغارب، ودوخت الجبابرة بالقواضب، وعلى توالى الأيام لا يبلى جديدها ولا يقصم عودها، فتحققت البشارة الربانية لإسماعيل عليه السلام. وظهرت أمنية الخليل عليه السلام بالإحسان والإكرام.

البشارة الثانية :

قالت التوراة، لما حضرت إسرائيل الوفاة بمصر عند يوسف عليه السلام دعا أولاده صلوات الله عليهم أجمعين بين يديه فباركهم واحدا واحدا، ودعا لهم، ولما انتهت النوبة إلى يهوذا قال فيه: لا يعدم سبط يهوذا ملك مسلط وأفخاذه بنو إسرائيل حتى يأتى الذى له الكل[٢]، ولم يأت من بعد للكل إلا محمد رسول الله ﷺ، فيكون هو المراد صونا لكلام يعقوب عليه السلام عن الخلل.

البشارة الثالثة :

قالت التوراة فى السفر الخامس. قال موسى عليه السلام لبنى إسرائيل لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين فسيقيم لكم الرب نبيا من إخوانكم مثلى فأطيعوا ذلك النبى[٣] وهذا الموعود به ليس هارون عليه السلام. لقول التوراة، إنه مات

---

(١) سفر التكوين – الاصحاح ١٧ عدد ١٨–٢٠ ونص البشارة (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه وهانذا أباركه وأنميه وأكثره جدا جدا ويلد اثنى عشر رئيسا وأجعله أمة عظيمة) ص ٩٢ طبع دار المشرق.

(٢) سفر التكوين – اصحاح ٤٩ عدد ٨ – ١٠، وفى النسخة التى أرجع إليها.
لا يزول الصولجان من يهوذا ولا عصا القيادة إلى أن يأتى صاحبها وتطيعه كل الشعوب) أى صاحب الصولجان والقيادة، ومعنى هذا أن تنتقل النبوة من بنى إسرائيل إلى غيرهم وقد انتقلت إلى بنى إسماعيل ص ١٤٥ من الكتاب المقدس.

(٣) سفر التثنية اصحاح ١٨ عدد ١٥، يقيم لك الرب الهمك نبيا مثلى من وسطك من اخوتك فله تسمعون راجع الكتاب المقدس طبع دار المشرق ص ٣٨٦ .

قبل موسى[1]، فما أقيم لهم، بل كان القائم موسى عليه السلام، ولأن نبوته أقيمت قبل هذا الخطاب، ولا يوشع ابن نون عليه السلام لأنه أقيم نبيا قبل هذا الخطاب ولأنهما صلوات الله عليهما من بنى إسرائيل وموسى عليه السلام قال: من إخوتكم ولم يقل من أنفسكم، فتعين أن يكون من ولد اسماعيل أخى إسحاق أبى إسرائيل فإنهما أخوان، وأولاد أحدهما إخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ. فيكون هو الموعود به، وأما عيسى عليه السلام فعند النصارى رب، وعند اليهود كآحاد الناس وليس الموعود به إجماعا[2].

البشارة الرابعة:

قالت اليهود فى هذا السفر: قال الله تعالى لموسى: إنى سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك أجعل كلامى فى فيه، ويقول لهم ما آمرهم به والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه ومن سبطه[3]، ولم يخرج من إخوة بنى إسرائيل من أولاد اسماعيل غير سيد المرسلين، ولم يأت برسالة مستأنفة غيره، لا من بنى إسرائيل ولا من غيرهم، والله تعالى يقول لهم: ما آمره به يجعله أمرا مستأنفا، ولأنه قال مثلك، ولم يخرج مثله فى الجلالة والرسالة العظيمة المبتكرة إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه، فيكون هو الموعود به.

البشارة الخامسة:

قالت التوراة فى الفصل التاسع من السفر الأول: إن الملك ظهر لهاجر وقد فارقت سارة، فقال: يا هاجر من أين أقبلت وإلى أين تريدين، فلما شرحت له الحال قال ارجعى فانى سأكثر ذريتك ورزقك حتى لا يحصون، وها أنت تحبلين

---

(١) سفر العدد - اصحاح ٢٠ عدد ٢٧ - ٢٨.

(٢) والمسيح عليه السلام من بنى إسرائيل فهو منهم وليس من اخوتهم.

(٣) سفر التثنية - اصحاح ١٨/ ١٥: ١٩(راجع النص فى هامش الصفحة السابقة).

وتلدين ابنا وتسميه إسماعيل لأن الله تعالى قد سمع بذلك وخضوعك، وولدك تكون يده فوق الجميع، وآمر الكل ويكون مسكنه على تخوم جميع إخوته[١]، ولم يأت من ذربتها من يده على جميع الخلق وآمر الكل إلا سيد المرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

البشارة السادسة:

فى التوراة فى السفر الأول قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام - إنى جاعل ابنك إسماعيل أبا لأمة عظيمة[٢]، لأنه من ذرعك. ولم يكن أمة عظيمة مضافة إلى إسماعيل دون إسحاق إلا أمة محمد عليه الصلاة والسلام فيكون الموعود به.

البشارة السابعة:

قالت التوراة فى السفر الخامس. أقبل الله من سينا وتجلى من ساعير وظهر من جبال فاران. معه ربوات الأطهار عن يمينه[٣].

فسينا هو الجبل الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام، وساعير هو جبل الخليل بالشام، وكان المسيح عليه السلام يتعبد فيه ويناجي ربه، وفاران جبل بنى هاشم الذى كان محمد عليه الصلاة والسلام يتحنث فيه ويتعبد.

فاقبال الله تعالى من سينا إقبال رسالته، وتجليه من ساعير وظهور فضله بإرسال عيسى عليه السلام بإحياء ما فى التوراة، وظهوره من جبال فاران، وفاران مكة باتفاق أهل الكتاب.

ولذلك عندهم أن اسماعيل وهاجر كانا ببرية فاران وهما كانا بمكة، فظهوره تعالى منها ظهور الرسالة المحمدية إلى جميع البرية، وخصص موسى عليه

---

(١) تكوين ١٦ / ٧: ١٥. (راجع الكتاب المقدس ص ٩١ ط دار المشرق بيروت عام ٢٠٠٠).

(٢) تكوين ١٧ / ٢٠ (وأما إسماعيل فقد سمعت قولك فيه، وهأنذا أباركه وأنميه وأكثره جدا جدا، ويلد اثنى عشر رئيسا وأجعله أمة عظيمة) ص ٩٢ من الكتاب المقدس.

(٣) التثنية ٢٣ / ٢: ٣.

السلام نبينا عليه السلام بما لم يذكره لغيره، وهو ربوات الأطهار عن يمينه وهم أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، هذا نص ظاهر يقوى جميع ما تقدم، ويزيده بيانا وتعين المراد به بحيث يصير كالشمس، فهذه سبع بشائر فى التوراة.

البشارة الثامنة:

فى إنجيل يوحنا قال يسوع المسيح عليه السلام، فى الفصل الخامس عشر: إن الفارقليط روح الحق الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيء[1]، والفارقليط عند النصارى الحمّاد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المخلص ونبينا ﷺ مخلص الناس من الكفر، وهو المعلم لكل نبى. ولذلك قال يهودى لبعض الصحاب - رضوان الله عليهم أجمعين - لقد علمكم نبيكم كل شيىء حتى الخرأة. فقال أجل. لقد نهانا أن يستقبل أحدنا القبلة ببول أو غائط وسماه المسيح عليه السلام روح الحق، وهو غاية المدح.

البشارة التاسعة:

فى الإنجيل قال المسيح عليه السلام. إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم فارقليطا آخر يثبت معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه[2]، والذى يثبت إلى الأبد هو رسالة الرسول لا ذاته ورسالة نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام باقية على مر الأيام والدهور. ومستمرة إلى يوم البعث والنشور فيكون هو الموعود به صونا لقول المسيح عليه السلام عن الخلل.

---

(١) يوحنا - الاصحاح ١٤ عدد ٢٦ (وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد) ١٤/١٦، وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى فهو يعلمكم كل شئ) ١٤/٢٦ العهد الجديد - طبع دار الكتاب المقدس بمصر ص ١٤٤.

(٢) يوحنا - ١٤/ ١٥: ١٨، كلمة الفارقليط ترد فى الطبعات الحديثة باسم المعزى الروح القدس (العهد الجديد ص ١٤٤) أو المؤيد الروح القدس (الكتاب المقدس طبع دار المشرق ص ٣٣٨، وهكذا تجد اختلافا فى الطبعات، فلا تكاد تتطابق بعضها مع بعض.

قال النصارى إن الفارقليط الموعود به ألسن نارية تنزل من السماء على التلاميذ فيفعلوا الآيات والعجائب وهو غير صحيح، إما لأنه لم يثبت نزول هذه الألسن، ولا مجال لتصديق المسيح عليه السلام على أمر لم يثبت، أو لأن سير التلاميذ تشهد بأنهم عذبوا وأهينوا بأنواع الهوان، فكذب قولهم: إن ألسن النار ترد عنهم أعدائهم.

ثم قول المسيح عليه السلام أنه روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه لأنهم لم يعرفوه يشير إلى أنه – عليه السلام – بعث بالتوحيد فى زمن غلب فيه الجهل وعبادة الأوثان وبيوت النيران، والقول بالثالوث وهو غاية المنافاة والبعد عما جاءت به، ولذلك قالوا ﴿ **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ** ﴾[1].

وأما التلاميد فلم يتحدثوا إلا مع اليهود، وكانوا يوحدون غير أنهم بدلوا الشريعة وبعضهم عبد النجوم والأصنام، لكن التوحيد كان معلوما شائعا على وجه الأرض، بخلاف زمانه – عليه السلام –[2] فتعين أن يكون هو الموعود به، ثم التلاميذ جماعة وقت واحد، والمسيح عليه السلام يشير لواحد عظيم منفرد، فقولهم فى التلاميذ هذيان بل الخطاب مع التلاميذ أنفسهم.

البشارة العاشرة:

فى إنجيل يوحنا قال المسيح عليه السلام: من يحبنى يحفظ على كلمتى وأبى يحبه، وإليه يأتى، وعليه يتحد المنزل، كلمتكم بهذه لأنى عندكم غير مقيم والفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى هو يعلمكم كل شيىء، وهو يذكركم كلما قلت لكم[3].

---

(١) سورة ص الآية ٥ .

(٢) أى زمان سيدنا محمد ﷺ .

(٣) يوحنا ١٤/ ١٥ – ٢٦ – قلنا إن اسم الفارقليط يرد فى الطبعات المتداولة الآن باسم المعزى أو المؤيد.

فحمل المسيح عليه السلام أصحابه هذه الأمانة ليؤدوها إلى من بعدهم كما هى سنة الأنبياء عليهم السلام، والذى جاء بعده يعلم كل شيىء عنده هو نبينا عليه الصلاة والسلام كما تقدم بيانه.

وسماه روح القدس كما سماه روح الله الحق، وهو غاية التعظيم، والمدح - له والتأكيد فى اتباعه صلوات الله عليهم أجمعين.

البشارة الحادية عشر:

فى إنجيل يوحنا. قال المسيح عليه السلام: إذا جاء الفارقليط الذى أبى يرسله روح الحق الذى من أبى هو يشهد لى، قلت لكم هذا حتى إذا كان تؤمنون به و لا تشكون فيه ووصفه له بأنه يشهد له ويصدقه، يكذب النصارى فى قولهم: إن الفارقليط هو ألسن نارية فان تلك الألسن آية مقوية لا يصدر عنها قول.

ثم إن المسيح عليه السلام. إشارة إلى نصرته على اليهود فى تكذيبهم له، وأنه به شيطان، وأنه من زُنى بأمه [يقول أنه] (١). سيأتى بعدى من يشهد لى، فتظهر براءتى وصدقى، وكذب اليهود فيما رمونى به، وكذلك كان، صرح القرآن الكريم بأن أمة صديقة، وأنها حملت بالقدرة الربانية من غير بشر وأنه جاء بالبينات لليهود. فقال ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾ (٢). وهذا تنصيص فى غاية الظهور على نبوة سيد المرسلين وعلو شأنه ﷺ.

البشارة الثانية عشر:

فى إنجيل يوحنا، قال المسيح عليه السلام: إن خيرا لكم أن انطلق لأنى إن

---

(١) زيادة عن الأصل لاستقامة المعنى.

(٢) سورة النساء آية ١٧١ .

لم أذهب لم يأت الفارقليط، فإذا انطلقت أرسلته إليكم، فإذا جاء هو يوبخ العالم على الخطية وإن لى كلاما كبيرا أريد قوله. ولكنكم لا تستطيعون حمله لكن إذا جاء روح الحق، ذلك الذى يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بعلم ما يأتى ويعرفكم جميع ما للأب[١].

ففى هذه البشارة عدة مقاصد منها:

أنه عليه السلام أخبر أن الآتى أفضل منه لقوله: إن خيرا لكم أن أنطلق ليأتى الفارقليط.

ومنها معنى قوله إذا انطلقت أرسلته إليكم إما لأن المصطفى عليه السلام موقوف على ذهاب المسيح عليه السلام، فالمسيح عليه السلام تحقق إرساله بذهابه أو على حذف مضاف أى أرسله أبى.

ومنها إن الآتى يوبخ العالم على الخطية. وقد وبخ عليه السلام اليهود والنصارى والمجوس والعرب، فانه وجد الجميع ظالمين.

ومنها أنه أخبر أن الآتى يرشد إلى جميع الحق، ويقول ما لم يقله المسيح عليه السلام، لأنه جعل الحوالة عليه وذلك كان لا يأت بجميع الآداب الربانية وكل الأخلاق المرضية وتحصيل جميع مصالح الدنيا والآخرة على ما تقدم بيانه فى آخر أجوبة الرسالة وأول هذا الكتاب إلا رسول الله ﷺ وهذا فى غاية التكذيب للنصارى فى قولهم إنه ألسن نارية.

ومنها الشهادة لنبينا عليه الصلاة والسلام أنه لا ينطق عن الهوى، وإنما يتكلم بما يوحى عليه ولذلك قال الكتاب العزيز ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٢] ولم يأت من هذه صفاته ولا يأتى إلا نبينا صلوات الله عليه وسلامه فيكون هو الموعود به جزما.

---

(١) يوحنا ١٦/ ٥ - ١٥ (راجع الكتاب المقدس ص ٣٤٤ العهد الجديد ص ١٤٤/١٤٥).

(٢) سورة النجم آية ٣، ٤ .

البشارة الثالثة عشر :

في إنجيل يوحنا . قالت امرأة من أولاد يعقوب للمسيح عليه السلام : يا سيدى آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون إنه فى أورشليم، فقال المسيح عليه السلام، يا هذه متى؟ فانه سيأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم يسجدون للأب(١).

وهذا من المسيح عليه السلام إشارة إلى تغيير البيت المقدس بالكعبة الحرام . فإنها ناسخة لما تقدمها من جهات الصلاة . وصار السجود لله - تعالى فيها لا فى أورشليم ولا فى غيره .

البشارة الرابعة عشر :

فى الإنجيل قال المسيح عليه السلام لمن حضره : الحق أقول لكم إنه سيأتى قوم من المشرق إلى المغرب فيكون معهم إبراهيم وإسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، ويخرج بنو الملكوت إلى الظلمة الترابية خارجا هناك يكون البكاء وصرير الأسنان .

فأشار المسيح عليه السلام إلى هذه الأمة، فان دعوة عيسى عليه السلام كانت خاصة بأولاد يعقوب عليه السلام وهم بنو إسرائيل أولاد الأنبياء(٢)، (٣)، ولذلك سماهم بنى الملكوت .

ودعوة نبينا عليه السلام عامة لأهل الأرض، فآمن به أهل المشرق والمغرب،

---

(١) يوحنا - اصحاح ٤ فقرة ٢٠ - ٢٢ . قال لها يسوع «يا امرأة» صدقينى إنه تاتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للأب) العهد الجديد ٤ / ٢١ ص ١٢٥ وفى الكتاب المقدس (العهد الجديد) (قال لها يسوع : صدقينى أيتها المرأة تاتى ساعة فيها تعبدون الأب لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم) ص ٢٩٩ .

(٢) متى - اصحاح ١٠ فقرة ٦ .

(٣) ويقول عيسى عليه السلام (بعثت إلى خراف بنى إسرائيل الضالة) وقال للتلاميذ (اذهبوا إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل) الكتاب المقدس ص ٦٤ والعهد الجديد ص ١٣ .

وكان منهم العلماء والنجباء والصالحون والصديقون والأولياء. فكانوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء.

وكفر اليهود والنصارى وهم بنو يعقوب عليه السلام فكانوا فى ظلمات الجهالات ودركات العقوبات. فلقد نصحهم المسيح عليه السلام غاية النصيحة[1]. وبالغ فى إرشادهم غاية المبالغة.

البشارة الخامسة عشر:

فى إنجيل متى: سأل التلاميذ المسيح عليه السلام، فقالوا يا معلم لماذا تقول الكتب إن إليا يأتى، فقال عليه السلام: إن الياء يأتى ويعلمكم كل شيىء وأقول لكم. إن إلياء قد جاء فلم يعرفوه بل فعلوا به الذى أرادو.

وفسر النصارى إلياء بأنه النبى وفيه ثلاثة مقاصد:

أحدهما: أنهم أخبروه أن الكتب تقتضى ورود نبى آخر عن عيسى عليه السلام فصدقهم على ذلك.

ثانيهما: أنه عليه السلام صرح بتكذيب النصارى واليهود فى أنه ليس ابنا وسما نفسه عليه السلام إليا. وأنهم فعلوا معه ما أرادوا ولم يتبعوه.

ثالثها: أنه أخبر أنه سيأتى نبى يعلمهم كل شيىء ولم يوجد ذلك إلا فى نبينا عليه السلام فيكون هو الموعود به، ومنها كذب النصارى فى دعوى نزول ألسن نارية لتصريحه بأنه نبى.

البشارة السادسة عشر:

فى إنجيل يوحنا أن أركون العالم سيأتى وليس لى شيىء. والأركون بلغتهم هو المعظم والأركانه العظماء. يريد عليه السلام أن ملك الفارقليط، إذا أتى لم يبق على وجه الأرض لنبى من الأنبياء لا هو ولا غيره آثار دعوة بل قوم ضلال

---

(١) فى الأصل (النصاحة).

ينسون السنة.

البشارة السابعة عشر:

فى الإنجيل قال يحيى بن زكريا عليهما السلام لأصحابه: إن الذى يأتى من بعدى هو أقوى منى، وأنا لا أستحق أن أجلس مقعداً خلفه.

وهو نبينا ﷺ لا يحيى عليه السلام ابن خالة عيسى عليه السلام وكان فى زمنه لا بعده(1)، فلم يبق غير نبينا عليه السالم.

البشارة الثامنة عشر:

فى إنجيل متى قال المسيح عليه السلام أن تقرؤوا أن الحجر الذى أزاله البناؤون صار رأس الزاوية من عند الله كان هذا، وهو عجيب فى أعيننا ومن أجل ذلك أقول لكم، إن ملكوت الله سيُؤْخذ منكم ويُدْفع إلى أمة أخرى، لتأكل ثمرتها، ومن سقط عليه هذا الحجر سيتشدخ وكل من سقط عليه يمحقه(2).

فليت شعرى من هى هذه الأمة التى دفع لها ملكوت الله تعالى بعد نزعه من النصارى، أتراهم اليهود؟ فهم نحن قطعا، ومن ذا الحجر الذى من عداه شدخه، ومن عانده قتله، إلا محمد ﷺ وأمته، وهو الذى أريد بالحجر الذى صار أفضل البشر بكونه رأس الزواية المشار إليها.

ومن المحال أن يقال: إنه عيسى عليه السلام، لأنه على زعم النصارى رب، وعندهم وعند اليهود أنه لم يقدر على الانتصار، ولا ظهرت له صورة الاقتدار على أحد من الأشرار.

فهذه إحدى عشرة بشارة من الإنجيل، وتقدم سبعة فى التوراة، وهذه بقية التحريف والتبديل سلمت من أيدى الأعادى، وإلا فكان الأمر أشهر. والحق أظهر كما قال الله تعالى ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ (1) ولذلك أخبر من أسلم،

---

(1) متى - اصحاح 3 فقرة 11 فى كتاب العهد الجديد ص 3 (لست أهلا أن أحمل حذاءه) والكتاب المقدس ص 42 (لست: أهلا أن أخلع نعليه).

(2) متى - اصحاح 21 فقرة 43 (أن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمه تثمر ثمره) الكتاب المقدس ص 96 وفى رواية كتاب العهد الجديد (تعمل أثماره) ص 31.

من أحبار اليهود والنصارى، وإنما يد العدوان أزالت بشائر الإيمان.

البشارة التاسعة عشر:

فى المزامير قال داود عليه السلام، ليفرح بالخالق ممن اصطفى الله تعالى، وأصطفى له أمته، وأعطاه النصر وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله تعالى بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه[٢].

يشير صلوات الله عليه إلى هذه الأمة، ورفع أصواتهم بالآذان فإنه لم يكن لغيرها من الأمم والسيوف العربية ذوات شفرتين. والعجمية لها شفرة واحدة، وانتقم الله تعالى بهم من جملة الأمم – لأن دعوته ﷺ عامة. وغيرهم لم ينتقم الله تعالى بهم إلا من أمة واحدة كموسى عليه السلام، ولم يقاتل إلا جبابرة الشام.

البشارة العشرون:

قال داود عليه السلام فى مزمور له: إن ربنا عظيم محمود جدا. وفى قرية إلاهيا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا[٣]. فنص عليه السلام على أسم محمد وبلده وسماها قرية الله تعالى. وأخبر أن كلمته تعم أهل الأرض وكان ذلك.

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٦ .

(٢) المزمور ١٤٩ – ٥ : ٩ نص الكتاب المقدس (فإن الرب يرضى عن شعبه، يزين الوضعاء بخلاصه، يبتهج الأصفياء بالمجد، يهللون على أسرتهم، تعظيم الله ملء حلوقهم، وسيف ذو حدين بأيديهم، لا نزال الانتقام بالأمم، والعقاب بالشعوب لُربط ملوكها بالقيود، وأشرافها بكبول من حديد، لتنفيذ الحكم المكتوب فيهم هذا فخر لجميع أصفيائه، ص ١٣١٣ .

(٣) لا يوجد اسم محمد ﷺ صريحا فى الميزامير المتداولة حاليا، فقد أمتدت إلى اسمه الشريف أيدى التبديل والتعديل والتحريف.

يقول القس دافيد بنجامين أن اسم محمد موجود بالإنجيل الأصلى ولكن المترجمين غيروا فى الترجمة فالنص الذى يقول (المجد لله فى الأعالى وبالناس المحبه وعلى الأرض السلام) ترجمته الصحيحة (المجد لله فى الأعالى وللناس أحمد وعلى الأرض إسلام). راجع كتابه عن المسيح والصليب نشر مكتبة النافذة.

البشارة الحادية والعشرون:

قال داود عليه السلام فى مزاميره، سيكون من يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منطقع الأرض، تخر أهل الجزائر بين يديه ويجلس اعداؤه التراب، وتسجد له ملوك الفرس، وتذعن له الأمم بالطاعة والانقياد، ويخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له، ويرأف بالمساكين والضعفاء، ونصلى عليه ونبارك فى كل حين[1].

وهذه صفات محمد عليه الصلاة والسلام. ولم توجد لغيره، خرت الملائكة بين يدى أصحابه. ودانت لطاعته الأمم، ويصلى[2] عليه مع طول الأيام.

البشارة الثانية والعشرون:

قال داود عليه السلام، لترتاح البوادى وقواها ولتصير أرض قيدار مروجا، ولتسبح سكان الكهوف، ويهتفون من قلل الجبال بمحامد الرب ويذيعون تسابيحه فى الجزائر[3].

ولم يظهر دين بالبوادى. سوى دين الإسلام، وقيدار اسم ولد اسماعيل جد رسول الله ﷺ، فهو تنصيص على أن الحق يكون فى غاية البهجة فى جزيرة

---

(١) مزمور ٧٢ / ٧ : ١٧ (البر فى أيامه يزدهر، والسلام يعم إلى أن يزول القمر، ويملك من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض، أمامه أهل البادية يركعون، وأعداؤه التراب يلحسون، ملوك ترشين والجزر الجزية يؤدون، وملوك شبأ وسبأ الهدايا يقدمون. جميع الملوك له يسجدون، وكل الأمم له يخدمون، لأنه ينقذ المسكين المتغيث، والبائس الذى بلا نصير، يعطف على الكسير والمسكين، ويخلص نفوس المساكين ... إلخ) الكتاب المقدس ص ١٣١١ وهذه النبوءة لا تنطبق إلا على سيدنا محمد ﷺ.

(٢) فى الأصل (وصلى).

(٣) نفس المزمور السابق وكذا سفر أشعياء - اصحاح ٤٢ / ١٠ : ١٢. سفر أشعياء - الاصحاح ٤٢ تحت عنوان نشيد ظفر وفيها ذكر الصحارى والجبال ومساكن قيدار والنص قريب مما فى مزامير داود وكلها بشارات بالنبى محمد ﷺ (راجع الكتاب المقدس ص ١٥٩٤).

العرب، ولم يكن ذلك إلا محمد عليه السلام ولا يسكن الكهوف ولا قلل الجبال سوى العرب، فهذا تنصيص على صفة أمته عليه الصلاة والسلام.

البشارة الثالثة والعشرون:

قال داود عليه السلام فى المزامير: أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك، سلنى أعطيك شعوب ميراثك وسلطانك، إلى أقصى الأرض ترعاهم بقضيب من حديد. ومثل آنية الفخار تستحقهم(١).

ومحمد عليه السلام هو الذى ورث، وبلغ سلطانه أقطار الأرض، وحاط الأمم وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشر به، وسمى ابنا على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا، كما قال فى التوراة فى إسرائيل عليه السلام ابنى بكرى.

البشارة الرابعة والعشرون:

قال داود عليه السلام فى المزامير(٢): إلهى من الرجل الذى ذكرته، والإنسان الذى كرمته وألبَسْتَه الكرامات والمجد. وملَّكْته على خلقك، ومن هذا الذى جعل أميرا ملكا من قبل الله - تعالى على جميع الخلق فى جميع الأرض.

ولم يوجد ذلك إلا بمحمد عليه السلام فيكون هو المبشر به.

البشارة الخامسة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام: قيل لى قم ناظرا. فانظر ماذا ترى فقلت أرى راكبين متقلبين أحدهما على حمار، والآخر على جمل(٣)، يقول أحدهما لصاحبه: سقط بابل وأصنامها للمنجر(٤).

---

(١) مزمور ٢ / ٧:٩. راجع الكتاب المقدس ص ١١٢٠ .

(٢) مزمور ٨ / ٤ : ٧. راجع الكتاب المقدس ص ١١٢٦ .

(٣) هذه بشارة بسيدنا محمد ﷺ. راجع أدلة الوحدانية فى الرد على النصرانية للمؤلف بتحقيقنا ونشر مكتبة النافذة. وما ذكر فى النص من أنواع الإبل والأغنام تشير إلى نسك الأضحية فى الحج.

(٤) اشعياء اصحاح ٢١ (راجع الكتاب المقدس ص ١٥٥٩ تحت عنوان سقوط بابل).

فراكب الحمار المسيح عليه السلام، وراكب الجمل محمد عليه السلام، فشهرته بركوب الجمل أكثر من شهرة المسيح عليه السلام بركوب الحمار.

فإن المسيح عليه السلام، كان كثير السياحة على رجليه، وأما فى الإنجيل فإنه دخل المدينة راكبا الحمار. والصغار حوله يقولون مبارك الآتى باسم الرب. ومحمد عليه السلام أسقط أصنام بابل وغيرها.

البشارة السادسة والعشرون:

فى شرف مكة والبيت الحرام، قال أشعيا عليه السلام فى نبوته: ارفعى إلى ما حولك بصرك فستبتهجين، وتفرحين من أجل أن الله بعث إليك دخائر البحرين وتحج إليك عساكر الأمم حتى يعم بك قطر الإبل المؤلية، ويضيق أرضك عن القطرات التى تجمع إليك، وتساق إليك كباش أهل مدين ويأتيك أهل سبأ. ويسير إليك أغنام فاران، ويخدمك رجل مأرب[1]، يريد سدنة الكعبة.. وهم أولاد مارية من إسماعيل، وهذه الصفات كلها لم تحصل إلا لمكة، حملت إليها ذخائر البحرين. وحج إليها الأمم على اختلاف أصنافهم، وسيق إليها الإبل والغنم هدايا وضحايا، وهذا التعظيم لها، إنما حصل بمحمد علي السلام، فيكون دينه حقا وهو المطلوب.

البشارة السابعة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام فى نبوته: أيتها المتعلقة الغيوم التى لم تحصل حظوة إنى جاعل حجرك بكورا وموثق أثاثك بالحجر الأسمانجوتى ومزين حيطانك باللازورد. ومزخرف[2] خدودك بالأحجار النفيسة. وأعم أبناءك بالسلام

---

(١) اشعياء: ٦٠/ ٤: ٧. (راجع الكتاب المقدس ص ١٦٢٣ والنصوص بها بعض الاختلافات اللفظية والمعنى متقارب).

(٢) نرى أن هذه بشارة بالنبى ﷺ لأن مكة مبعثه والإشارات عن المبانى والزخرفه يقصد بها الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وهى لا زالت تزان وتزخرف حتى الآن وآخرها ما تولاه خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله وجزاه خيرا على ما قدم للإسلام والمسلمين وعلى ما أولى البيت الحرام من عناية وعظيم اهتمام وتوسعه تحتضن ما يزيد على ثلاثة ملايين حاج ولا وجه لاقحام موضوع المهدى ولا غيره هنا.

وأزينك بالصلاح والبر، وأبعد عنك الأذى والمكاره، وأجعلك آمنة، ومن ابتعث إليّ فاليك قصده، وفيك حوله. وتصيرين ملجأ لقاصديك وسكانك.

ولم توجد هذه الصفات إلا لمكة لأن المهدى من بنى العباس والملوك قبله وبعده تأنقوا فى بناء البيت والمسجد الحرام بالأحجار النفيسة، والذهب والأصباغ واللازورد وحملت تيجان الملوك وذخايرهم فُحلِّيَتْ بها الكعبة، حتى إن سقوف الحرم تأخذ بالبصر، وليس على وجه الأرض كذلك غيرها.

ولا يمكن صرف هذا لبيت المقدس لأنه لم يكن متعلقا فى الهموم من الكفر وعصيان الرب وعبادة الأصنام وأنواع الفجور والبهتان على الله تعالى سواه ولم يكن أمنا قصده إلا مكة فإنها محال إلا من فى الجاهلية والإسلام. وتعظيمها من خصائص الإسلام. فيكون منها الإسلام حقا. وهو المطلوب.

البشارة الثامنة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام مخاطبا للناس عن محمد عليه السلام فى نبواته: افهمى أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمى. وأنا فى الرحم وجعل لسانى كالسيف الصارم، وأنا فى البطن، وخاضنى بطل يمينه، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته[1]، وحزننى لمسره وقال لى أنت عبدى فصر فى عدلى حق قدام الرب، وأعمالى بين يدى الهى، فصرت محمدا عبر الرب، وبالهى حولى وقوتى.

وهذا الفصل العظيم فيه إشارات عظيمة قوية جدا. منها: أنه خاطب جميع الأمم فتكون رسالته عامة، فلم يوجد ذلك إلا لمحمد عليه السلام.

ومنها أن الله تعالى أهاب به من بعيد. إشارة إلى أنه لم يبعثه من بنى إسرائيل الذين عادوا الأنبياء عليهم السلام منهم وهذه صفته عليه السلام.

ومنها الإشارة إلى عظيم فصاحة لسانه حتى عاد كالسيف، ولم يؤت جوامع الكلم إلا هو عليه السلام.

---

(١) أشعياء ٤٩ / ١ : ٣. (راجع الكتاب المقدس ص ١٦٠٦).

ومنها الإشارة إلى أنه عليه السلام خير الرسل وأعظمها كلها شأنا بقوله. جعلنى كالسهم المختار من كنانته.

ومنها الإشارة إلى أن شريعته أعظم الشرائع، حازت من المصالح ما لم تحزه شريعة لقوله وخزننى لمسرة. أى كمال الحكمة الالهية إنما ظهرت فى شريعته، وقد تقدم بيان هذا آخر الباب الأول.

ومنها أن أشعيا عليه السلام صرح باسم محمد ولم يعجم[1]. وأعرب عنه ولم يعجم – فلا حاجة بعد هذا الاتضاح إلى مترجم، فهذه ست إشارات عظيمة من نبى عظيم. اتفق أهل الكتاب على صدقه وتعظيمة ونبوته.

البشارة التاسعة والعشرون:

قال أشعيا عليه السلام فى نبواته: فى حق هاجر أم العرب. سيحيى أيتها النذور الرقوب واغبطى بالجمال. لقد زاد ولد الفارغة المجفرة – على ولد المشغولة المحظية وقال لها الرب أوسعى مواضع خيامك. ومدى مضاربك وطولى أطنابك، واستوثقى من أوتادك، فانك ستنبسطين وتنتشرين فى الأرض يمينا وشمالا، وترث ذريتك الأمم، ويسكنون القرى المعطلة البنيان[2].

وهذا بيان عظيم وتصريح جليل، فإن سارة أم إسحاق عليه السلام. والدة بنى إسرائيل والدة إسرائيل حرة وهاجر أم اسماعيل، أمة أنها مجفرة محقورة، فبشرها الله تعالى أن ذريتها تكون أعظم من ذرية سارة، وتملك مشارق الأرض ومغاربها، وتستولى ذريتها على جميع الأمم. ولم يتفق ذلك لبنى إسماعيل قط إلا فى الأمة المحمدية. فتكون بنى الموعود بها وهذا نص لا يحتمل التأويل.

---

(١) لا يوجد اسم محمد ﷺ صريحا الآن فى الكتاب المقدس بعهديه، وربما وجد فى عصر المؤلف أو نقل عن نسخ غير المتداولة الآن وراجع فى الهوامش السابقة ما قاله دافيد بنجامين (عبد الأحد داود)

(٢) اشعياء ٥٤/ ١:٣. (راجع الكتاب المقدس ص ١٦٦٥).

البشارة الثلاثون:

قال أشعيا عليه السلام[1]: في نبوته منبها على محمد عليه السلام: عبدي الذي يرضى نفسي أعطيه كلامي. فيظهر في الأمم عدلي. ويوصيهم بالوصايا ولا يضحك ولا يصخب. يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم ويحيي القلوب الميتة، وما أعطيه لا أعطيه غيره، أحمد. يحمد الله تعالى حمدا جديدا. يأتي من أفضل الأرض. فتفرح به البرية وسكانها، ويوحدون الله تعالى على كل طرف ويعظمونه على كل رابية، لا يضعف ولا يغلب ولا يميل إلى الهوى، ولا يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف، بل هوى الصديقين والمتواضعين، وهو نور الله تعالى الذي لا يطفى، أثر سلطانه على كتفه.

وهذا كلام عظيم مشتمل على علامات قوية جدا:

١ – منها الإشارة إلى كونه أفضل الرسل. لقوله عبدي الذي يرضى نفسي، وهذه صيغة حصر كقولك الله خشية[2] – كقوله تعالى ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾[3]. أي لا يرزقكم غيره.

٢ – ومنها الإشارة إلى عموم رسالته بكتاب من عند الله تعالى إلى جميع الثقلين بقوله: أعطيه كلامي فيظهر في الأمم عدلي ويوصيهم بالوصايا، وهذا لم يكن قط إلا لمحمد عليه السلام.

٣ – ومنها أن الله تعالى ينشر هديه. وييسر على الأمم إجابته وتصديقه، لقوله يفتح العيون العور، ويسمع الآذان الصم، ويحيي القلوب الميتة. وهي صيغة عموم وشمول في جميع الخلائق، ولم يتفق ذلك إلا لمحمد عليه السلام.

٤ – ومنها أن شريعته أفضل الشرائع وكتابه أفضل الكتب. وأمته أفضل الأمم لقوله وما أعطيه له لا أعطيه لغيره.

---

(١) اشعياء ٤٢/ ١:١١ – راجع الكتاب المقدس ص ١٥٩٣/ ١٥٩٤ .

(٢) في بعض النسخ (الله خشية هو الذي يرزقني أي لا يرزقني غيره).

(٣) سورة الملك آية ٢١ .

٥ – ومنها التصريح باسمه أحمد. كما صرح باسمه محمد قبل هذا. ولم تكن هذه الأسماء لغيره عليه السلام.

٦ – ومنها أن مكة أشرف الأرض. لقوله يأتى من أفضل الأرض وقد تعين أنه أحمد فتكون أفضل الأرض مكة.

٧ – ومنها أنه يفرح به البرارى والقفار وسكانها. وهذه الصفة لم تكن لغير العرب – ولم يهد العرب وينشر فيهم ذكر الله تعالى إلا محمد عليه السلام. فيكون هو المقصود.

٨ – ومنها أن هذه الرسالة تقتضى عبادة الله تعالى على كل رابية وشرف، وهو من خصائص هذه الأمة. فان الأمم قبلها لا يصلون إلا فى البيع والكنائس وهذه الأمة حيث أدركتها الصلاة صلت وأذنت وسبحت وهللت فتكون هذه الأمة هى الموعود به.

٩ – ومنها أن دينه يدوم إلى يوم القيامة لقوله: وهو نور الله الذى لا يطفى.

١٠ – ومنها أن بكتفه علامة نبوته. لقوله: أثر سلطانه على كتفه. ولم يكن على كتف أحد علامة نبوته إلا محمد عليه السلام فهو المبشر به، وهذه عشر علامات من أشعياء عليه السلام، لا يحتاج معها فى الرد على أهل الكتاب إلى غيرها ومن أنصف منهم لا يجد محيدا عنها.

البشارة الحادية والثلاثون:

قال أشعياء عليه السلام[1]: لتفرح البادية العطشا ولتبتهج البرارى والفلوات ولتزهو، فإنها ستعطى بأحمد مجلى لبنان حتى تصير كالدساكر. والرياض. وسيرون جلال الله. تعالى إلهُنَا.

---

(١) اشعياء ٣٥ / ١ : ٢ النص الحالى: (لتفرح البرية والقفر، ولتبتهج البادية وتزهر كالنرجس، لتزهر أزهارا، وتبتهج ابتهاجا مع هتاف، قد أوتيت مجد لبنان ... إلخ) راجع الكتاب المقدس ص ١٠٨١، ويلاحظ أن كمة أحمد استبدلت بكلمة مجد!!

فصرح عليه السلام باسمه[١]، وأن مكة يصير براريها محجوجا إليها من الأقطار، حتى يكثر فيها العمران، فقد صرح باسمه واسم أرضه، فما يسع أهل الكتاب إلا الإيمان بذلك، وكيف لا يؤمنون بأشعياء عليه السلام ويكذبون أخباره ويردون أقواله.

البشارة الثانية والثلاثون:

قال أشعياء عليه السلام[٢] فى نبوته قال إبراهيم خليل الله الذى قويته ودعوته من أقاصى الأرض، لا يخاف ولا يرهب معك ويدى الغزيرة مهدت لك، جعلتك مثل الجرجر الحديد، يدق ما يأتى عليه دقا، ويسحقه سحقا، حتى يجعله هشيما يلوى به هوج الرياح: وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمد فصرح عليه السلام باسمه ونصره فى الحروب وبسط مملكته بالتمهيد والإعانة. ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه. كأنه عليه ضرب لازب. وحتم واجب وإذا كانت الأنبياء والأصفياء يصرحون باسمه. وجميع صفاته. انقطعت أعذار أهل الكتاب.

البشارة الثالثة والثلاثون:

قال أشعياء عليه السلام فى نبوته معلنا باسمه عليه السلام: إنى جعلت اسمك محمدا يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود من الأبد.

البشارة الرابعة والثلاثون:

قال أشيعاء عليه السلام فى نبوته منبها على مكة[٣]: سرى واهتزى أيتها

---

(١) حتى ولو لم تصرح الكتب الحالية باسمه ﷺ، فإن الإشارات والبشارات تشير كلها إليه وإلى دعوته وانتشارها فى الآفاق وإلى موطنه وغير ذلك مما ورد بالنصوص التى جمعها المؤلف رحمه الله.

(٢) اشعياء اصحاح ٤١ / ٨ : ١٩ راجع الكتاب المقدس ص ١٥٩١، ١٥٩٢ والنص الحالى خالى من اسم محمد ﷺ، والألفاظ فيها بعض الاختلافات والبشارة عنه ﷺ حتى ولو لم يذكر اسمه صراحة.

(٣) اشعياء اصحاح ٥٤ / ١ : ٢ راجع الكتاب المقدس ص ١٦١٥.

العاقر التى لم تلد وانطقى بالتسبيح وافرحى إذ لم تحبلى. فان أهلك يكونون أكثر من أهلى.

يعنى بأهله بيت المقدس، وبالعاقر مكة، لأنها لم تلد قبل نبينا عليه السلام نبيا، وأهلها أكثر لأن المراد أهل الحق من الجميع دون أهل الضلال. فيخرج النصارى كلهم واليهود، ولم يبق إلا من كان على حقيقة التوراة، وهم قليلون جدا بالنسبة إلى المسلمين، بل الأمم المحقة كلها أقل من المسلمين، لقوله عليه السلام: «إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة».

البشارة الخامسة والثلاثون:

قال أشعياء عليه السلام فى نبوته، ولد لنا غلام يكون عجبا وسيراد. والشاملة على كتفه[1] أركون السلم، إله جبار، سلطانه السلام، وهو ابن عالم يجلسه على كرسى داود.

والأركون هو العظيم بلغة الإنجيل. فنص على أخفى علاماته، وهى الشامة خاتم النبوة الذى بين كتفيه. وإن كان لبنى إسرائيل من الملك والنبوة – أقل من ذلك ويصير على كرسى داود بدلا منهم.

البشارة السادسة والثلاثون:

قال أشعيا عليه السلام فى نبوته. حاكيا على الله تعالى: أشكر حبيبى وابنى أحمد.

فصرح باسمه عليه السلام وسماه ابنا على اصطلاح لسان اليونان. وأمر أشعيا عليه السلام بشكره هو وقومه وسماه ابنا وحبيبا. وهذا غاية التكريم والتعظيم بما يجب له وأنه سيكون.

---

(١) اشعياء ٩/ ٦: ٧.

البشارة السابعة والثلاثون:

قال اشعيا عليه السلام فى نبوته، إنا سمعنا فى أطراف الجبال صوت محمد.

فصرح باسمه عليه السلام، ومكانه تصريحا لا يحتمل التأويل.

البشارة الثامنة والثلاثون:

قال أشعيا عليه السلام فى نبوته، لتستحين تمجدنى حيوانات البر من بنات آوى حتى الأنعام. لأنى أجريت الماء فى اليد، ولتشرب منه أمتى المصطفاة التى اصطفيتها.

فكنى عن العرب والحجاز بالبرارى وبنات آوى والأنعام. وسمى الهدى ماء لأنه يزيل عطش الضلالة. وأخبر أنه تعالى اصطفى هذه الأمة من بين سائر الأمم[1].

البشارة التاسعة والثلاثون:

قال أشعياء عليه السلام فى نبوته منبها على شرف مكة:[2] قومى وازهرى مصابيحك، فقد دنا وقتك، وكرامة الله تعالى طالعة عليك، فقد حلل الأرض الكلام وغطا على الأمم كلها الضباب، والرب يشرق عليه إشراقا، ويظهر عليك كرامته فتصير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طوعك، سيأتون ويحجون إليك من البلدان البعيدة[3]، ويتربى بنوك وبناتك على السرر والأرائك.

وليس على وجه الأرض مكان لم يكن له وقت، وقد قرب وقته وهو يحج إليه الناس من أقطار الأرض إلا مكة، فان البيت المقدس ما زال معظما محجوجا.

---

(١) فى اشعياء أيضا نصوص أخرى تؤيد ذلك وكذا النصوص السابق ذكرها فى الهوامش. راجع الكتاب المقدس اصحاح ٢١/ ص ١٥٦٠، ١٥٦١.

(٢) اشعياء ٦٠/ ١: ٢١ والمؤلف أحيانا ينقل نصوصا تختلف فى ألفاظها عن المتداول حاليا – راجع الكتاب المقدس ص ١٦٢٣.

(٣) اشارة إلى فريضة الحج.

ولم يعظم مكة وجعل الحجيج إليها من أقطار الأرض إلا محمد ﷺ فتكون نبوته حقا وهو المطلوب.

البشارة الأربعون:

قال هو شاع وهو أحد الاثنى عشر. بنوا إسرائيل واليهود قد عتوا بالكذب والخيانة حتى نزلت أمة الله. الأمة المقدسة المؤمنة.

فصرح بأن بنى إسرائيل واليهود على الكذب والضلال حتى تأتى الأمة المقدسة ولم يأت بعد بنى إسرائيل أمة غيرنا، فان النصارى داخلون فى بنى إسرائيل. فيكون نحن الأمة المقدسة المذكورة وهو المطلوب.

البشارة الحادية والأربعون:

قال ميخا النبى عليه السلام منبها على البيت الحرام[1] إنه يكون فى آخر الأيام بيت الرب مبنى على قلل الجبال وفى أرفع رؤوس العوالى. يأتيه جميع الأمم يقولون تعالوا نطلع إلى جبل الرب.

وهذه صفة البيت الحرام وجبل عرفة. ولم يشرعه لجميع الأمم إلا محمد عليه السلام. فيكون دينه حقا وهو المطلوب.

البشارة الثانية والأربعون: قال النبى حبقوق عليه السلام فى نبوته[2]: إن الله تعالى جاء من الشمس، والقدوس من جبل فاران، ولقد أضاءت السماء من بهاء محمد ﷺ وامتلأت الأرض من حمده، شاع منظره مثل النور يحوط بلاده بعزه تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده، قام فمسح على الأرض فتضعضعت له الجبال القديمة. ونزعزعت ستور أهل مدين، ثم قال زجرك فى الأنهار واحتدام صوتك فى البحار يا محمد ادنو لقد رأتك الجبال فارتاعت.

---

(١) ميخا ٤ / ١ : ٥.

(٢) حبقوق ٣ / ٣ - ١٤ والنص كما يلى: الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران. سلاه جلاله غطى السموات، والارض امتلأت من تسبيحه راجع الكتاب المقدس ص ١٩٨٧ .

ونحرت المهادى[1] بغير أودلك أو رعب، وسار العساكر في بريق سهامك، ولمعان نيرانك تدوخ الأرض غضبا وتدوس الأمم زجرا.

فمن رام صرف هذا الكلام رام ستر النهار وحبس الأنهاء، فإنه سمى محمدا عليه السلام مرتين، ووصفه لمقابلة أهل الأرض وأنه من جبل فاران، وفى التوراة إن إسماعيل عليه السلام وأمه كانا فى برية فاران ولم يخرج من الحجاز غير محمد عليه السلام، ووصفه بالجهاد براً وبحراً، وتدويخ جميع الأمم، وهذا لم يكن إلا له عليه السلام.

البشارة الثالثة والأربعون:

قال حزقيال – النبى عليه السلام فى نبوته – إن كرمة أخرجت ثمارها وأغصانها. فأشتت على أغصان الأكبار والسادات – وارتقت وبسقت أغصانها فلم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخط والرمى بها على الأرض. فأحرقت السماء ثمارها. وتفرقت قواها. ويبست عصا غرسها. وأتت عليها النار وأكلتها. فعند ذلك غرس غرسا فى البدو، وفى الأرض المهملة المعطلة العطشى. وخرجت من أغصانه نار فأكلت تلك. حتى لم يوجد فيها غصن قوى ولا قضيب ينهض[2].

فالغرس الأول يريد به شرع بنى إسرائيل وملكهم.

والغرس الثانى يكون بعد السخط عليهم فى البادية وهى أرض الحجاز.

وهذا تصريح منه بأنا نحن الغرس الموجود لله تعالى على وجه الأرض، وأن من عدانا سخوط عليه.

---

(١) اشارة إلى شعيرة الهدى فى الحج.

(٢) حزقيال ١٩ / ١٠ : ١٤ أمك كانت تشبه الكرمة، غرست على المياه، فصارت كثيرة الثمار والأفنان من غزارة المياه، وصارت لها قضيان صلبة، صوالجة للسلاطية وارتفعت قامتها بين الغيوم ثم قال: والآن مغروسة فى البرية فى أرض فاحلة عطشى فخرج من غصنها نار التهمت ثمرتها فلم يبق فيها غصن صلب، صولجان للتسلط. هذا رثاء، وكان للرثاء) اكتاب المقدس ص ١٨٠٠ طبع دار المشرق ببيروت.

البشارة الرابعة والأربعون:

قال حزقيال عليه السلام فى نبوته يتهدد اليهود بنا: إن الله مظهرهم عليكم، وباعث فيهم نبيا، وينزل عليهم كتابا، ويملكهم رقابكم فيقهرونكم ويذلونكم بالحق، ويخرج رجال بنى قيدار - فى جماعات الشعوب معهم ملائكة على خيل بيض متسلحين، فيحيطون بكم وتكون غايتكم إلى النار.

وقيدار هو ابن إسماعيل عليه السلام جد العرب، ولم يخرج من بنى إسماعيل من له الحرب والغلبة لبنى إسرائيل ومن معهم نبى سوى نحن بالضرورة.

البشارة الخامسة والأربعون:

قال دانيال عليه السلام فى نبوته مخاطبا لمحمد عليه السلام: سينزع فى فسيد إغراقا يرتوى السهام بأمرك يا محمد ارتواء.

البشارة السادسة والأربعون:

فى نبوة دانيال عليه السلام. لما سأله بختنصر عن تأويل رؤياه التى نسيها. قال له: رأيت أيها الملك صنما عظيما قائما بين يديك. رأسه من ذهب وساعداه من فضة. وبطنه وفخداه من النحاس. وساقاه من حديد. ورجلاه من خزف.

ورأيت حجرا لم تقطعه يد انسان قد جاء وصك ذلك الصنم فتفتت وتلاشى. وعاد رفاتا. ثم نسفته الرياح فذهب. وتحول ذلك الحجر فصار جبلا عظيما حتى ملأ الأرض كلها[1].

قال صدقت. فما تأويله؟ قال له أنت الرأس الذهب. ويقوم بعدك ولداك. وهما دونك فهما فضة وبعدها مملكة دونهما تشبه النحاس. والمملكة الرابعة فى غاية القوة. فهى الساقان الحديد. والرجلان الخزف مملكة ضعيفة، والحجر الذى صدع الصنم. نبى يقيمه الله إله السماء والأرض. من قبيلة شريفة قوية. فتدق

---

(١) دانيال الاصحاح الثالث ص ١٨٦٢ من الكتاب المقدس ط دار المشرق.

جميع ملوك الأرض وأممها حتى تمتلىء منه الأرض ومن أمته ويدوم سلطان ذلك النبي إلى انقضاء الدنيا(١)، ولم يوجد بعد دانيال إلى يومنا من فعل له هذا إلا محمد عليه السلام.

البشارة السابعة والأربعون:

قال دانيال عليه السلام في نبوته: رأيت في نومي كأن الرياح الأربع قد هاجت. وتموج بها البحر واعتلج اعتلاجا تصور منه أربع حيوانات عظام مختلفة الصور. الأول مثل الأسد. وله أجنحة نسر. والثاني مثل الدب وفي فمه ثلاثة أضلاع. وسمعت قائلا يقول قم فكل من اللحم واستكثر منه. والثالث مثل النمر في جنبيه أربعة أحنجة وله أربعة رؤوس وقد أعطى قوة. والرابع عظيم قوى جدا وله أسنان من حديد عظام. فهو يأكل ويدق برجليه ما بقي ورأيته مخالفا لتلك الحيوانات وكانت له عشرة قرون فلم يلبث أن نبت له قرن صغير من بين تلك القرون ثم صار لذلك القرن عيون. ثم عظم القرن الصغير حتى صار أكبر من سائر القرون. فسمعته يتكلم كلاما عجيبا. فكان ينازع القديسين ويقاومهم.

قال دانيال: فقال لي الرب تعالى: الحيوان الرابع مملكة رابعة في آخر الممالك وهي أفضلها وأجلها تستولي على جميع الممالك وتدوسها وتدقها وتأكلها رغدا(١).

فقد عهد دانيال عليه السلام بأن أمتنا أفضل الأمم، وأنها دائمة إلى الأبد.

وقال المفسرون لكتب دانيال. إن الحيوان الأول. دولة أهل بابل، والثاني أهل المابين. والثالث دولة الفرس والرابع دولة العرب، وهو تصديق قول التوراة لإبراهيم عليه السلام. إني أبارك إسماعيل ولدك، وأعظمه جدا جدا، ومن تولى الله تعظيمه كيف لا يكون عظيما.

---

(١) دانيال ٢/ ٣٢/ ٤٦. راجع الكتاب المقدس ص ١٨٦١.

(٢) دانيال: ٧. راجع الكتاب المقدس ص ١٨٧٤/ ١٨٧٦ تحت عنوان حلم دانيال: الحيوانات الأربعة.

قلت وأرى العشرة قرون هى أصحابه عليه السلام العشرة، ثم حصل بسببهم ومن بينهم وبالنقل عنهم وعن بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، والتابعين وعلماء الأمة – شيء غير قليل كثروا وعظموا واشتغلوا بالعلوم وناظروا أهل الملك وعظمت بصائرهم واشتهرت تصانيفهم. فيها من كل عجيب وعلم بديع غريب حتى ملأت خزائن المدائن من تصانيفها وعمت سائر أنواع العلوم بتأليفها. فلم يبق علم لغيرنا من القرون السالفة، حتى حققته بعد سقمه، ولم تترك ما يحتاج إليه من العلوم التى لم تكن حتى أخرجته بعد عدمه.

ولا شك أن مجموع الأمة أفضل من واحد من العشرة، وإن كان كل واحد من العشرة خيرا من كل واحد ممن بعده إلى قيام الساعة. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصفه فلم يجعل الفضل إلا بين الواحد منا والواحد منهم، أما الجمع فلم يتعرض له وتفرقت إليه.

البشارة الثامنة والأربعون: قال دانيال عليه السلام: سألت الله تعالى وتضرعت إليه أن يبين لى ما يكون من بنى إسرائيل، وهل يتوب عليهم ويدر عليهم ملكهم، ويبعث فيهم الأنبياء عليهم السلام، أو ينقل ذلك فى غيرهم، فظهر لى الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال السلام عليك يا دانيال: إن الله يقول لك إن بنى إسرائيل أغضبونى وتمردوا على، وعبدوا من دونى آلهة آخرى، فصاروا من بعد العلم إلى الجهل، ومن بعد الصدق إلى الكذب، فسلطت عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى ذراريهم وهدم بيت مقدسهم وحرق كتبهم. وكذلك فعل من بعده بهم، وأنا غير راض عنهم ولا مقيلهم عثرتهم، فلا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى من العذراء البتول، فأختم عليهم بعد ذلك اللعن والسخط فلا يزالون ملعونين عليهم الذلة والمسكنة، حتى أبعث – نبيا من بنى إسماعيل الذى بشرت به هاجر وأرسلت إليها أملاكى يبشرونها، فأُوحى إلى

ذلك النبى وأزينه بالتقوى وأجعل البر شعاره والرشد سنته، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب وناسخ لبعض ما فيها، أسرى به إلى، وأرقيه من سماء إلى سماء حتى تعلو ذريته وأسلم عليه، وأوحى إليه، ثم أرده إلى عبادى بالسرور والعطية، حفاظا لما استودع، صادعا بما أمر يدعو إلى توحيدى وعبادتى ويخبرهم بما رأى من آياتى فيكذبونه ويؤذونه[1].

ثم سرد دانيال صلوات الله عليه قصته عليه السلام حرفا حرفا مما أملاه عليه الملك حتى وصل إلى آخر أيام أمته عند نفخ الصور. وأنقضاء الدنيا ودلائل نبوته عليه السلام كثيرة موجودة فى أيدى اليهود، والنصارى يقرؤنها ويكتمونها ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [2].

البشارة التاسعة والأربعون:

قال يوحنا[3] فى كتاب رسائل التلاميذ المسمى بفرانكسيس: إياكم أن تؤمنوا بكل روح، لكن ميزوا الأرواح التى من عند الله عن غيرها. واعلموا أن كل روح تؤمن بأن يسوع المسيح قد جاء وكان جسدا نبيا فهو من عند الله تعالى، وكل روح لا تؤمن بأن اليسوع المسيح جاء وكان جراء نبيا فليست من عند الله، بل المسيح الكذاب الذى سمعتم به وهو الآن فى العالم.

فشهد يوحنا أن محمداً بن عبد الله من عند الله تعالى. لأنه آمن بالمسيح وصدقه، وقال إنه كان جسدا نبيا، وأن اعتقادنا هو الاعتقاد الحق فى عيسى بن مريم، وأن اعتقاد النصارى واليهود فيه باطل.

واليهود الآن تنتظر مسيح الهدى يأتى غير مسيح الضلالة الذى أنذر به الأنبياء قوتها وقد تعداهم السعد وهم لا يشعرون.

---

(١) دانيال ٩ / ٣ – ٢٧. راجع نبوءة الأسابيع السبعين فى سفر دانيال ص ١٨٧٨ / ١٨٧٩.

(٢) سورة الصف – آية ٨.

(٣) رسالة يوحنا الأولى ٢ / ٢١ : ٢٣. راجع رسالة يوحنا الأولى فى كتاب العهد الجديد طبع دار الكتاب المقدس بالقاهرة الطبعة السابعة ٢٠٠٠ ص ٣٢١.

البشارة الخمسون :

قال آرميا عليه السلام فى نبوته : حاكيا عن الله تعالى «إنى مهيج عليكم با بنى إسرائيل من البعد أمة عزيزة - أمة قوية . أمة لا تفهمون بلسانها . وكلها مجرب جبار[1] .

وهو تصريح بهذه الأمة وبعدُها كونها ليست من بنى إسرائيل . وعزها اعتمادها على الحق . وقدَمها . إنذار الأنبياء بها قديما . ولسانها عربى لا يفهمه بنو إسرائيل . وتجربة العرب للحروب والغزوات والقفار والمهالك مشهورة قديما وحديثا لا تجارى . ولا تسابقها فيها أمة من الأمم - وهو جبروتها وصلابة قلوبها على المشاق .

البشارة الحادية والخمسون :

قال أشعيا عليه السلام فى نبوته، أنا الرب لا إله غيرى أنا الذى لا تخفى عليه خافية، بل أخبر العباد بما لم يكن قبل أن يكون . وأكشف لهم الحادث والغيوب، وأتم مشيئتى كلها، إنى سأدعوا طايرا من البدو واجسد شاسع .

فهذا الطائر هو محمد ﷺ، لأنه من البدو الشاسع عن إقليم بنى إسرائيل وسماه طائرا لطيران ملكه وهديه فى الآفاقه . والحمل على الطائر الحقيقى لا يبقى فى هذا الكلام العظيم فايدة . فتعين حمله على معنى نفيس لائق بهذا السياق العظيم . ولم يقع فى العالم ما يليق بهذا الخبر سوى محمد ﷺ فتعين .

ولنقتصر على هذه الخمسين بشارة خشية الإطالة وفى واحدة منها الكفاية لمن أنصف وقصد الحق، فكيف بخمسين .

فان قالوا كيف تتمسكون بهذه الكتب وهى غير صحيحة عندكم .

قلنا نبوة نبينا عليه السلام ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب . وإنما

---

(٢) قريب مما ذكر أعلاه ما جاء بسفر اشعيا اصحاح ٢ / ٢-٤ راجع ذلك فى الكتاب المقدس طبع دار المشرق ببيروت ص ١٥٣٢ تحت عنوان (السلام الدائم) .

نذكر ما فيها من الدلالة على نبوته عليه السلام، إلزاما لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها وهى مثل جميع كتبهم فى الصحة، فان كان يحسن الإشكال بها تم مقصودنا، وإن كانت لا يحسن بها الاستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب لأن جميعه مثلها، وكيف يسع أهل الكتاب أن يعتقدوا صحة هذه الكتب، ولا يقبلوا ما فيها من الدلالة على محمد عليه السلام والمواصل حد القطع من كثرتها، وأنها عميت منهم البصائر، وطمست السرائر، فلا يجد الحق من قلوبهم محلا، ولا سماع التذكر أهلا.

والله تعالى هو المحمود بما يليق بجلاله. الذى جعلنا مخصوصين بدينه القويم وصراطه المستقيم وهو حسبنا ونعم الوكيل. وعلى خير خلقه أفضل الصلوات والتسليم.

والحمد لله رب العالمين

الفهـرس

الموضوع — رقم اتصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الباب الثانى

الموضوع — رقم اتصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

فى صحة دين الإسلام والبشارة بمحمد ﷺ